

الخمير

في الحياة الجاهليّة وفي الشعر الجاهلي

T
198A

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

اعداد

بادية حسين حيدر

اشراف

الاستاذ الدكتور احسان عباس

حزيران ١٩٨٦

WINE IN THE PRE-ISLAMIC ARAB SOCIETY
AND LITERATURE

By

BADIA SULAYMAN-HAYDAR

A Thesis

Submitted to the
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

In partial fulfillment of the
requirements for the degree of

Master of Arts

June 1986

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

Wine in the Pre-Islamic Arab Society and Literature

الخمرة في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي

By

Miss Badia Sulayman-Haydar

(Name of student)

Approved:

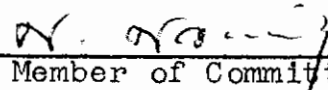
Prof. Ihsan Abbas


Advisor

Prof. Muhammad Najm


Member of Committee

Prof. Nadeem Naimy


Member of Committee

Member of Committee

Member of Committee

Date of Thesis Presentation: June, 1986

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Release Form

I, Miss. Badia Sulayman-Haydar

 authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

 do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

Signature: Badia

Date: 9/7/1986

تقديم

تتناول هذه الدراسة الخمر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأدبية في الجاهلية . فقد شكّلت الخمر إحدى اللذات الأساسية بين العرب ، فشاعت وانتشرت بينهم ، وتغلّغت في كثير من مرافق حياتهم . وكانت في أحيان كثيرة دافعاً هاماً لممارسة فضيلتيّ الجود والشجاعة ، وهما من صلب المفهوم الأخلاقي القبلي . ولعلّ هذا من الأسباب التي جعلتها مقبولة بين العرب ، وهو بالتالي يفسر انتشارها بينهم الى حدّ بعيد .

والمقصود بالخمر هنا خمر الأعناب وكافة الأشربة المسكرة . فالعرب لسم يطلقوا اسم الخمر إلا على تلك المصنوعة من الأعناب ، ولكنهم عرفوا أصنافاً مختلفة من الأشربة المسكرة المصنوعة من التمر والقمح والذرة والشعير والعسل وغيرها . وقتئذ جاء في كتب الحديث أنه لما أنزل تحريم الخمر عمد الناس الى الجرار والمهاريس فكسروها ، فجرت الخمر في سكك المدينة . وفي هذا إشارة الى صناعة العرب للخمر وللأشربة المسكرة واستعمالهم لمختلف أوانسبي الانتباد لذلك ، وفيه إشارة كذلك إلى وفرة هذه الأشربة بينهم .

وقد كانت صناعة الخمر وسائر الأشربة ممكنة بفضل زراعة العرب للمسواد التي صنعوا منها أشربتهم . أما خمر العسل فقد يَسْرَتها أمكنة في الجزيرة اشتهرت بوفرة العسل وتمييز أهلها في عملية اشتهاره . ومن ناحية أخرى شكّلت الخمرة إحدى أهم السلع المستوردة ضمن التجارة البرية لقوافل قريش ، واحتلت مكانة هامة في تجارة العرب الذين أولعوا بالخمر المستوردة .

وفي الفصل الأول من هذه الدراسة بحث لدور الخمر في حياة العرب الاقتصادية
أُي في الزراعة والصناعة والتجارة .

ويتناول الفصل الثاني الخمر ودورها في حياة العرب الاجتماعية والدينية .
وأثرها في اقتران فكرة الهروب من الموت بمعاقرة الذات عندهم . ولهذه الفكرة
دورها في انتشار الخمر بينهم ، وفي تفضيلهم لها على سائر لذات الجاهلية .

أما الفصل الثالث فيبحث في الصور الخمرية في الشعر الجاهلي ، ونميتها
في رقد نسيج هذا الشعر وتلوينه ، وفي قابلية هذه الصور لخدمة غالب أغراض
الشعر الجاهلي ، وفي أثر الصور الخمرية في بنية القصيدة الجاهلية وتطويرها .
ثم تجيء خاتمة بأهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث لتنظيم الفكرة
الأساسية وتخليصها من شتات التفصيلات الكثيرة المتشعبة .

وفي نهاية الرسالة ملحق بأسماء الخمر حسب صفاتها ومصادرها . وقد قُسمت
هذا الملحق أقساماً حسب صفات الخمر : كاللون والطعم والتعتيق وغيرها ، ثم
أُدرجت أسماء الخمر حسب الترتيب الهجائي ضمن القسم المناسب تسهيلاً للطلب ، واختصاراً
للوقت . وقد اعتمدت في تنظيم هذا الملحق على مصادر الحياة الجاهلية المختلفة ،
إلا أن الاعتماد الغالب كان على المادة الشعرية .

وإنني لأرجو أن تُوفق هذه الدراسة في إيضاح هذا الجانب من جوانب الحياة
العربية في الجاهلية ، وأن تُسهم في إبراز الملامح الحضارية للعرب في تاريخ
جاهليتهم ، والله الموفق .

الفصل الأول

=====

الخمر في الحياة الاقتصادية

١ - الزراعة :

=====

زراعة الأعناب والنخيل والحبوب (التي تمنع منها الخمر) في الجزيرة

العربية :

أ - في اليمن :

تضم الجزيرة العربية مناطق عرفت منذ القدم بالخصوبة ، وبوفرة المياه ، وبمناخ ملائم للزراعة ، وتعدّ اليمن من أهم تلك المناطق حتى لقد سمّيت باليمن الخضراء " لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها " (١). وفي هذه المناطق الخصبة قامت حياة زراعية منذ القدم ، احتلّت فيها زراعة الكروم والنخيل والحبوب مكانة تختلف في أهميتها بين منطقة وأخرى .

وتتكوّن اليمن من قسمين بارزين متفاوتين في المساحة : الأول هو ما يسمّى بتهامة اليمن : وهو سهول ساحلية منخفضة يتراوح عرضها ما بين خمسة وعشرين ميلاً ، وخمسة وأربعين ميلاً ، وتمتدّ على طول الساحل (٢). والثاني يتكوّن من جبال تتصل بتهامة اليمن ، وتمتدّ لتشكّل غالبية مساحة البلاد ويقطعها عدد كبير من الأودية العميقة .

وقد تميّزت أرض اليمن بالخصوبة ، ويذكر استرابون أنّ جنوب اليمن

(١) - الهمداني : صفة جزيرة العرب (تحقيق محمد علي الأكوغ ، ط. بيروت :

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) : ٩٠ .

(٢) Encyclopedia of Islam, (EI), 'Al Yaman', (1st ed. Leiden, 1913) vol. IV, p. 1156.

الأقصى يُزرع مرتين في السنة (١) ، ولعلّ الواسعي يشير إلى ظاهرة قديمة إذ يقول إنّ " وديان تهامة ومُسير تزرع في السنة ثلاث مرّات " (٢) . أما السفوح الشرقية للتلال الداخلية فكانت تزرع باستمرار لوجود مياه وينابيع دائمة ، وعلى أطراف هذه التلال بالقرب من حافة الوديان تقع واحات النخيل وأبرزها الجوف ومأرب (٣) .

وأما المناطق الجبلية فقد أدرك أهل اليمن القدماء صعوبة استغلالها في الزراعة بسبب شدة الانحدار ، وصعوبة ريّها بشكل دوري ، ولذلك أقاموا المدرجات الزراعية في الجبال من جهة ، والسدود والخزانات لتجميع مياه الأمطار ، وحبس مياه الأنهار من جهة أخرى . وتلك المدرجات ليست سوى مصطبات زراعية أقاموها في الجبال حتى قممها العالية ، ودعموا جوانبها بجدران من حجارة منعداً لانهايار تربتها . وقد تراوح طول الجدران بين ثمانية أقدام ، وخمسة عشر قدماً في القمم (٤) . وأطلقوا على تلك المدرجات اسم " جسروب " في المسند (٥) . كما أنّهم " لم يتركوا وادياً يمكن استثمار جانبيه بالسري إلاّ حجزوا مياهه التي تكثر في مواسم الأمطار ، وتنعدم في غيرها . وهكذا تكاثرت السدود كبيرها وصغيرها حتى تجاوزت المثات " (٦) ، وذكر الهمداني

(١) - Strabo, Geography (Harvard and Cvillian Henemann Ltd., London, 1954) 16.4. 1-2, p: 309.

(٢) - الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن (المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ) : ٢٨٩ .

(٣) - EI : Al Yaman, vol.IV, p. 1156.

(٤) - Semple, E.C, Influences of Geographic Environment, (London, 1947). 567.

(٥) - جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام (المجمع العلمي العراقي ، ١٣٤٥ هـ - ١٩٥٩ م) : ٨ : ٢١٥ .

(٦) - عدنان ترسيبي : اليمن وحضارة العرب (ط . بيروت) : ٦٠ .

في " يَحْصَبُ الْعَلُو " وهي إحدى مخاليف اليمن ثمانين سداً (١) ، ومن المعروف أنّ أحد هذه السدود وأشهرها على الاطلاق سد مأرب الذي كان يشكّل العمود الفقري لعملية الريّ في اليمن قديماً .

وقد رافق بناء السدود بناء الخزانات المائية التي عرفت بـ " الكرف " (جمع كريف وهو خزان ماء) ، وكذلك حفر الأقنية المائية ومدّها في الأراضي الزراعية (٢) . وكانوا يحسّون المياه في هذه السدود ، فإذا شاموا الريّ فتحوّ الصمامات التي تدفع بمياه السدّ إلى الأقنية (٣) .

وبهذه الأساليب تمكّن اليمنيون القدماء من استغلال كل بقعة من أرضهم في الزراعة مما أدّى إلى وجود نظام مطرّد للزراعة الكثيفة عندهم (٤) . وقد ساعد المناخ في اليمن على تنوع المنتجات الزراعية تنوعاً واسعاً ، فالمناخ " يختلف باختلاف المناطق الطبيعية الرئيسية ، ويتحوّل ويتبدّل على مسافات قصيرة ، وينتقل من المناخ الاستوائي الى معتدل ومعتدل بارد " (٥) ، وخصوصاً في رءوس الجبال حيث تنمو أنواع من الأعشاب يتطلّب نموها مناخاً بارداً (٦) .

(١) - عدنان ترسيحي : اليمن وحضارة العرب (ط . بيروت) : ٦٠ .

(٢) - المرجع السابق : ٦٠ .

(٣) - استعيرت هذه الصورة للريّ في الشعر ، فقال عمرو بن معديكرب يصصف جافل الخيل :

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْخَيْلَ زَوْرًا كَانَتْهَا جُدَاوِلُ زُرْعٍ أَرْسَلَتْ فَاسْبَطُورَتِ

ديوان عمرو بن معديكرب (سنة هاشم الطعان، وزارة الثقافة والاعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد) : ٤٣ .

(٤) - EI : Al Yaman, vol. IV, p. 1156.

(٥) - اليمن وحضارة العرب : ١٣٩ .

(٦) - تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢١٥ .

وقد وصف الأعشى برودة المناخ في بعض جبال اليمن بقوله (١) :

يَبْعَدَانُ أَوْ رَيْمَانٌ أَوْ رَأْسُ سُلَيْمِيَّةٍ شِفَاءٌ لِيَمَنِ يَشْكُو السَّمَائِمَ بِسَارِدٍ
وَبِالْقَمَرِ مِنْ أَرْيَابٍ لَوْ بَتَّ لَيْلَةً لَجَاءَكَ مَثْلُوجٌ مِنَ الْمَاءِ جَامِداً

وأدى تنوع المناخ في مسافات قصيرة الى تنوع المزروعات واختلاطها في الأرض الواحدة . وكانت الأعناب بأنواعها في طبيعة هذه المزروعات . ولعل خير مثال لذلك هو جبل هِنُوم في اليمن . ففي وصف الهمداني له دلالة على ارتفاعه ووعورته واحتوائه على أصناف عديدة من المزروعات المختلفة ومنها الأعناب ، وقد قارنه بجبل آخر هو تَخْلَى : " وهو قبالة تَخْلَى من شماليه وعلى وسطه من جبال السراة ، وهو أحسن وأتلع وأوسع ، وقعدته على بلد غير ذي أودية ، فهو يكون أكثر دهره صاحباً الا في أيام الأمطار ، ولذلك خالسف جبل تَخْلَى لما في رأسه من العنب والخوخ والتين وغير ذلك " (٢) .

ولم يقتصر هذا التنوع في المزروعات على الجبال وحدها ، فقد تميزت به الأودية وأهمتها واديا ضر والجنات . وفي طبيعة مزروعاتها كانت الأعناب والحبوب تحتل مكانة هامة : " فوادي الجنات يشابه في الصفة وادي ضر ، وهو كثير الغيول والمآجل والمسائل ، فيه الأعناب والورس مختلطة فسي أماليه مع جميع الطاكهة وأسفله جامع للموزوقصب السكر والأترج والخيار والذرة والقشء والكزبرة وغير ذلك " (٣) . أما وادي ضر فيمتاز عن وادي الجنات

(١) - الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الأعشى ، والأعشىين الآخرين تحقيق جاير ، بيانة : ١٩٢٧م) : ٢٣٩ ، والبيان في صفة جزيرة العرب :

١٩٨
(٢) - صفة جزيرة العرب : ٣١١ .

(٣) - المصدر السابق : ١٤٣ .

بالتركيز على زراعة الأمانب وتنويعها ، فقد وصفه الهمداني - إذ شاهدته
هيئاً - "فذكر فيه نهراً عظيماً يسقي جانبي الوادي وعليهما من الأمانب نحو
عشرين نوعاً" (١).

إن هذا الوصف السابق للجبال والأودية والسهول في اليمن ، وكيفية زراعتها ،
وتنوع ثمارها يعطينا صورة عامة من مكانة الأمانب والحبوب والنخيل بين
فروب المزروعات هنالك بحيث أصبحت اليمن بجمعها وتهاشمها أراضي خضراء ،
حتى أطلق القرآن الكريم عليها اسم " الجنة " :

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْجِدِهِمْ آيَةٌ جُنَّتَانِ مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (٢).

وقد أشار بعض اللغويين الى أنه " لا تكون جنة في كلام العرب الا وفيها
أمانب فإذا كانت أشجاراً لا نخل فيها ولا أمانب فهي الحدائق ، وسائر النبات
الرياحي " (٣) .

وتشبهت النقوش العربية الجنوبية ، وأخبار الجغرافيين القدماء أن الكروم
والنخيل قد زرعت في اليمن منذ عصور قديمة ، وأن الكروم بشكل خاص كثيرة
الذكر في هذه النقوش (٤) . ويشير الدكتور جواد علي الى قدم عهد زراعة
الأمانب بأنواعها المختلفة في اليمن بدليل ذكرها في النقوش القديمة فيقول :

(١) - جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام (بتعليق حسين مؤنس ، دار الهلال ،
القاهرة) : ١٦٠ .

(٢) - سبأ : ١٤ .

(٣) - ابن سيده : المخصص (طه بولاق ، ١٣١٦هـ) : ١١ : ١١٦ .

(٤) - EI, Al Yaman, vol. IV, p. 1156.

" كان أهل اليمن كما يظهر من نصوص المسند يكثرون من زراعة الأعناب ويرحسون من زراعتها كثيراً بدليل ورود كثير من النصوص الزراعية وفيها أن أصحابها قد فرسوا أعناباً في المناطق الغلانية والغلانية أو ورثوا المزرعة الغلانية وفيها أعناب كثيرة . وبدليل حفر صور أعضان العنب وعناقيد العنب في الأشجار، وإبرازها على الألواح المصنوعة من الجبس أو حفرها على الأخشاب للزينة والزخرفة وتفنيهم في ذلك . وما كانوا يفعلون ذلك لو لم يكن للأعناب وجود في اليمن ، ولو لم تكن منتشرة كثيراً في تلك البلاد " (١) . وقد أطلق أهل اليمن كلمة " أعناب " (٢) في المسند على الأراضي المزروعة أعناباً ، وكلمة " أنخل " (٣) على أراضي النخيل مما يدل على وجودها مفردة رغم اختلاط المزروعات .

ويذكر قدماء الجغرافيين أشهر الأمكنة التي امتازت بأعنابها في اليمن وهي (سرّوم راح) ، وخيوان ، وأثابت ، ووادي صهر (٤) .

(١) - تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢٦٣ . وقد كانت الأعناب من أهم المزروعات التي كان سد مأرب يروبوها . قال الأعمش واصفاً ذلك :

فَلَمَّا دَاكَ لِلْمَوْتِ سِي اسْوَةٌ وَمَأْرِبٌ قَلَى عَلَيْهَا الْعَرِمُ
رُحَامٌ بِنْتُهُ لَهُمْ جَمِيْرٌ إِذَا جَاءَهُ مَأْوَاهُمْ لَمْ يَسِرْمُ
فَأَرَوَى السُّدُوْعَ وَأَعْنَابَهَا عَلَى سَعَى مَأْوَاهُمْ إِذْ قَسِيْمُ
- الصبح المنير : ٣٤ .

(٢) - تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢١٨ .

(٣) - المرجع السابق : ٨ : ٢١٩ .

(٤) - (EI) Al YAMANA , Vol.IV , P. 1156 .

ويذكر صاحب المقال في مقدمة المناطق التي اشتهرت بالعنب في اليمن :
" Sarum Rāh " ، ولكنني لم أعر على هذا الاسم عند الهمداني في صفحة جزيرة العرب ، وإنما ذكر سرّوم السرح : " سرّوم هذه هي سرّوم السرح من بني جماعة من خوّلان " - صفة : ٣٦٩ . و " وادي سرّوم واد ذو زرع وكسرّم وعضاه من حضاه الثمار " - صفة : ٣٧٣ .

وَسُرُومِ الشَّرْحِ وَاذِي مِنْ حَوْلَانِ اشْتَهَرَ بِآبَارِهِ وَكُرُومِهِ مِنْذُ الْقَدَمِ ، وَاسْتَمْسَرَتْ
زِرَاعَةُ الْأَعْنَابِ فِيهِ إِلَى الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَظَفَتِ الْكُرُومُ فِيهِ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ
الْمَزْرُوعَاتِ :

" فَعَلَى مَأْرِبٍ فَنَجْرَانٍ فَالْجَوْ
فِ فُصْنَاءٍ صَبَّةٍ عَزْلَاءٍ
فَسُرُومِ الْكُرُومِ فَالْظُرْنَاءِ " (١)

وامتازت خيوان بالخصوبة في التربة ، وبزراعة الأعناب ، و " أرض خيوان
ابن مالك وهو من غرر بلد همدان وأكرمه تربة وأطيبه ثمرًا " (٢) .

وَأَشَافَتْ مِنْ قَرْيِ هَمْدَانَ الْوَاقِعَةَ شِمَالِ صَنْعَاءَ ، كَانَتْ دَارَ الْكَبَارِيِّينَ مِنْ
السَّبْعِ ، وَكَانَتْ تُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ دُرْنَى ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِكُرُومِهَا وَكَانَ الْأَعْشَى
كَثِيرًا مَا يَتَخَرَفُ فِيهَا : (٣)

فَقَلَّتْ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنَى وَقَدْ شَمِلُوا
شِيمُوا وَكَيْفَ بِشِيمِ الشَّارِبِ الشَّمْلِ (٤)

وفي اليمن مناطق أخرى زُرعت بالأعناب ، واشتهرت بها ، وإن لم تكن

-
- (١) - البيهتان للحزارة العامري ، شاعر من نجد يصف المنازل ويدعو لها بالخير
والمطر : صفة جزيرة العرب : ٣٣٣ .
- (٢) - صفة جزيرة العرب : ١١٥ .
- (٣) - صفة جزيرة العرب : ١١٤ ، والبكري : معجم ما استعجم (تحقيق مصطفى السقا ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ) : ١ : ١٥٥ ،
وياقوت : معجم البلدان (دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) : ١ : ٨٩ .
وفي معجم البلدان : ٢ : ٤٥٢ أن " دُرْنَا مِنْ نَوَاحِي الْيَمَامَةِ ، نُخَيْسَلَاتُ
لِبْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بِهَا قَبْرُ الْأَعْشَى وَذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ أَنَّ أَشَافَتْ الَّتِي بِالْيَمَنِ
كَانَ يُقَالُ لَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دُرْنَا " .
- (٤) - صفة جزيرة العرب : ١١٥ ، والبيهتان في الصبح المنير : ٤٤ .

لأعنايبها شهرة أَثَابَتْ وِوَادِي فَهْرٍ وَخَيْوَانٍ وَسُرُومِ السُّرْحِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْجُغْرَافِيُونَ
الْقَدَمَاءَ لَشَهْرَتِهَا . وَمِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِقِ جَرَشٌ (١) ، وَالْأُودِيَةُ الْوَاقِعَةُ فِي الطَّرِيقِ
مِنْهَا إِلَى مَخْلَافِ مَعْدَةَ أَهْمُهَا تَنْدُحَةٌ ، وَكَانَ فِيهَا أَعْنَابٌ وَأَبَارٌ سَاكِنَةٌ (٢) ،
وَمَعْدَةُ مَخْلَافٌ " فِيهِ أُودِيَةٌ فِيهَا زُرُوعٌ وَأَعْنَابٌ وَأَهْمُهَا عِلَافُ خَيْرِ أُودِيَةِ خَبْلَانِ
وَإَكْرَمُهَا كَرْمٌ وَأَكْثَرُهَا خَيْرٌ وَزَرْعٌ وَأَعْنَابٌ وَمَاشِيَةٌ " (٣) ، وَمَخْلَافُ دِمَارٍ وَ " فِيهِ
زُرُوعٌ وَأَبَارٌ قَرِيبَةٌ بَيْنَالِ مَاوَمَا بِالْيَدِ وَهُوَ مَخْلَافٌ نَفِيسٌ كَثِيرٌ الْخَيْرِ عَتِيقُ الْخَيْسَلِ
كَثِيرِ الْأَعْنَابِ " (٤) ، وَوَادِي نَعْمَانَ فِي سُرُومِ مَدَجَجٍ ، وَهُوَ وَادٍ كَثِيرِ الْأَبْصَالِ
وَالْأَعْنَابِ (٥) ، وَهَمْدَانُ شِمَالُ صَنْعَاءَ مِنْهَا أَثَابَتْ ، وَ " فِيهِ أُودِيَةٌ عَظَامٌ فِيهَا
الزُّرُوعُ وَالْعَنُوبُ " (٦) مِنْهَا يُنَاعَةُ ، وَهُوَ وَادٍ ذُو أَعْنَابٍ (٧) .

وَمِنْ الْأَمْكِنَةِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ كَذَلِكَ بِالْأَعْنَابِ : مَلَّاحٌ ، " وَالْيَهَا يَنْسَبُ الْعَنْسَبُ
الْأَبْيَضُ الْمَلَاخِيُّ الْمَشْهُورُ " (٨) ، وَجَبَلُ الْمُرَاشِيِّ فِي الْوَادِي الثَّلَاثِ مِنْ جُوفِ الْيَمَنِ ،
وَ هُوَ " جَبَلٌ خَصِيبٌ فِيهِ فَكَهَةٌ الْعَنْبِ الَّذِي يَوْمُتِي أَكَلَهُ مَرْتَيْنِ فِي السَّنَةِ " (٩) ،
وَرِئَعٌ ، وَهِيَ مِمَّا وَقَعَ بِالْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ السَّرَاةِ (١٠) ، وَهُوَ " مِنَ الْمَخَالِيفِ الْتَسِي

-
- (١) - صفة جزيرة العرب : ٢٣٠ .
 - (٢) - المصدر السابق : ٢٣٠ .
 - (٣) - المصدر السابق : ٢٢٤ .
 - (٤) - المصدر السابق : ٢٠٦ .
 - (٥) - المصدر السابق : ١٨٨ .
 - (٦) - المصدر السابق : ٢١٧ .
 - (٧) - المصدر السابق : ١٥٨ .
 - (٨) - المصدر السابق : ١٨١ ، وهي حاشية المحقق الاستاذ الاكوع .
 - (٩) - المصدر السابق : ١٦٠ ، حاشية المحقق .
 - (١٠) - المصدر السابق : ١٢٢ .

تعظم أعنابها حتى لا يحمل الرجل الجلد أكثر من عنقود" (١) ، ومنطقة صنعاء التي ذكرها الهمداني وعدد فيها ما يقرب عشرين نوعاً من الأعناب . (٢)

وهناك مواضع اشتهرت بالأعناب ولم تُذكر شهرتها فيها صراحة في المصادر ، وأعني بها تلك المواضع التي نُوّه الهمداني بشهرتها بصناعة الخمر وهي مخلّاف شات ، ووادي سُهر ، ومخلّاف " سُخْنِيم " (٣) .

يتّضح من ذلك كلّهُ أنّ الأعناب كانت تزرع في معظم أرض اليمن ، فـي التهامم والجبال والأودية ، وكانت زراعة الأعناب تشكّل قسماً وافراً من النشاط الزراعي في اليمن القديم ولها أصولها ومبادئها في الغرس والفلحة والـسـري خاصة التعريش ، وهو الأسلوب الأكثر نجاحاً للاهتمام بالكرمة ، وخاصة في الجبال وقممها ومدرجاتها الزراعية :

"والعناية بالكرمة فائقة ، وهي على الغالب ممتدة على شرة أي على أعمدة متّصلة بعضها بأسلاك تحمل العريشة ، وتتدلّى منها العناقيد بحيث يمكن للمزارع رعايتها بسهولة ومحاربة آفاتها وقطفها دون عناء ، ويظهر أن هذه الطريقة التقليدية القديمة في اليمن هي أحدث ما وصل إليه الفن الحديث بالعناية بالكرمة " (٤) .

ومما يدلّ على وفرة الأعناب في اليمن قديماً أن أهلها كانوا بعد قطف العنب يتاجرون بما يفيض عن حاجتهم ، وذلك بجعل العنب في حظائر خاصّة

(١) - صفة جزيرة العرب : ١٢٢ ، وهي حاشية المحقق .

(٢) - المصدر السابق : ٣١٤ ، وتاريخ المستبصر : ٢ : ١٨٥ .

(٣) - انظر ما يلي في الفقرة الخاصة بصناعة الخمر .

(٤) - اليمن وحضارة العرب : ٣٥ .

تمهيداً لبيعه ، وقد اشتهرت أشافيتُ بشكل خاص بأنها كانت تحنوي على حوق للعنب مؤلف من حفاثر معدة لحفظ الأعناب حتى يمار الى بيعها ، وكان يجعل على كسل حظيرة عنب حامٍ لها من السرقة (١) .

وكانوا يجعلون من الفائف زبيباً ، أو يعصرون الأعناب ويصنعون منها الخمر ، ويصنعون من الزبيب النبيذ . وكانوا يسمون الزبيب بالـ "فصيم" في اللهجة الحميرية ، والنبيذ بالـ "سقيم" (٢) .

والأعناب أنواع عديدة في اليمن ، وهي ذات ألوان مختلفة ، وأشكال متباينة . وقد عدّ الهمداني في منطقة صنعاء عشرين نوعاً من العنب تقريباً (٣) . ويطلق هذا العدد ما أورده الهمداني في وصفه لوادي فُهر وأنواع أعنابه . ومن هذه الأنواع : الملاحى والدوالي والأشهب والدَّرَج والنواسى والريسادى والأطراف والعيون والقوارير والجُرشي والنشاني والتابكي والرازقي والفروع ، " وكان يوتى الى صنعاء من خيوان بالرومي ومن الجوف بالوادي " (٤) . وقال الواسي (٥) : " ومن الفواكه العنب بمائر أنواعه وهو أربعة وعشرون نوعاً ،

(١) - لقد وردت في كتاب منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودوايه لكلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري : (ص ٢٤) رواية تتعلق بهاتم الطائي مؤداها أن طيوهاً نزلوا بحاتم فلم يجد لهم شيئاً ، فوهبهم نفسه ، ولا علم لهم أنه حاتم . فأخذه لبياعوه ، فظل يبيع من بلد الى بلد حتى بلغ أشافيت ، فاشتراه رجل من بني كبار من الشبييع وجعله حامياً لحظيرة عنبه لكن حاتم صاح بالناس يدعوهم لأكل العنب فلما علم الرجل بالأمر غضب . فقال حاتم :

" أَنْطَمَعَ مِنْهَا بَرَبَائِبَهُمْ _____ وَحَاتِمٌ طِيءٌ عَلَى بَائِبِهِمْ " فعرفته همدان ورفدته . وسار إلى بلاده ، ولم يمر بقبيلة إلا أكرمته ،

(٢) - تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢٦٢ .

(٣) - صفة جزيرة العرب : ٣١٤ .

(٤) - المصدر السابق : ٣١٤ .

(٥) - تاريخ اليمن : ٢٨٤ .

والمشهور بمنعاه وحولها (١٨) نوعاً البياض أنواع والأسود كذلك والأحمر، والسّد أنواعه في العنب الأبيض البياض وهو بلايزر ، أنواع الأبيض البياض ، القوارير الرازقي ، العرقي ، الجوفي ، القزاقز ، الأطراف ، بيض الحمام ، سيسبان ، أصابع زينب . ومنها الأسود : الحاتمي ، القهمي ، العيون ، الحسيني ، عذارى ذيبيني ، وهذا أحسن أنواع العنب الأسود لحلاوته وعدم وجود بزرّة فيه ، وتجسد حباته في العنقود مرصوفة . (ومن الأحمر) الزيتون وعاصمي . وهذا يسمّى في الشام حلواني ، وحلاوة الشامي دون حلاوة اليماني، وكل نوع من هذه الأعناب وله حلاوة " . هذا ، ولا يبعد أن يصح وصف الواسعي ، وهو متأخر ، على الحقبّة الجاهلية نظراً لشبوت زراعة العنب في اليمن القديم من جهة، ولتعدد أنواع الأعناب فيها من جهة أخرى .

وكان اليمانيون يتخذون الأسماء المختلفة لأنواع الأعناب اما من صفة فيها كاللون مثلاً : البياض ، أو الشكل : أصابع العذارى ، القوارير ، بيض الحمام ، أو نسبة الى أماكن زراعتها : كالجرشي والجوفي .

وفي العمور القديمة عرف السبايون والحميريون نوعاً من العنب الأسود أطلقوا عليه كلمة " غريب " في لهجتهم ، ويظهر من نقش أبرهة حول إصلاح سدّ مأرب أن هذا النوع من العنب كان متداولاً بكثرة ، ومعولاً عليه في إطعام العمال المشاركين في إصلاح السد ، وفي النبيذ الذي كان يصنع منه : " وبلغ ما صرفوه ، وأنفقوه على الأعمال من اليوم الذي بدأوا به لغزوهم وتقديس البيعة " الكنيسة " وبناء السدّ والجدار (٥٠٨٠٦) كيلة من الدقيق ، و٢٦٠٠٠ كيلة تمر . . ، و ٣٠٠٠٠ طبيخة من ذبيحة وبقرة من الماشية الصغيرة . . ، و ٣٠٠ حمل بعير من شراب الغريب والزبيب ، و ١١٠٠٠ كيلة " ال . حلب " مسن نبيذ التمر " (١) .

(١) - كتابة أبرهة . ترجمة د. جواد علي . مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد الرابع . ج ١ ، (١٩٥٦ م) ص : ٢١٨ .

أما النخيل فقد كان منتشراً في اليمن كما في باقي أنحاء الجزيرة .
وقد تميّزت به مناطق بعينها كواحات النخيل في الجوف ومأرب (١) ، ونجران (٢) .
وكانت منطقة رُحابة بشكل خاص " ذات نخل عظيم " (٣) ، وصنعاء (٤) ، وزبيد
وفيها تثليث التي كان للشاعر عمرو بن معديكرب فيها حصن ونخل (٥) ، وكذلك
منطقة عُسَيْر (٦) . ويذكر استرابون أن معظم خمر أهل اليمن القدماء كانت تُصنع
من التمر (٧) . ولعل ذلك يرجع الى كثرة النخيل والتمر في تلك المناطق .

أما الحبوب فقد انتشرت زراعتها في اليمن انتشاراً واسعاً، وتخصمت فيها
مناطق وافرة المياه كثيرة الأبار . واشتهرت السهول الساحلية بالذرة (٨) ،
كما عرفت حضرموت وهي في الجهة الشرقية من صنعاء بأنها كانت " بلاداً زراعية
يزرع بها النخيل والحبوب " (٩) ، وقد دخلت زراعة الحبوب في تلك الزراعة
المختلطة التي تميزت بها الجبال ، والأودية والسهول ، كوادي الجنّات ،
وجبل هِنوم الذي عدّه الهمداني من عجائب اليمن لزراعة الذرة في سفوحه ،
والاعناب والفواكه وغيرها في قمته (١٠) . ولكن أشهر مناطق اليمن قاطبة

(١) - EI, AL YAMAN, vol. IV, p. 1156.

(٢) - الواسعي : ٢٨٥ .

(٣) - صفحة جزيرة العرب : ٢٠٣ .

(٤) - المصدر السابق : ٣١٤ .

(٥) - المصدر السابق : ٢٢٨ .

(٦) - الواسعي : تاريخ اليمن : ٢٨٥ .

(٧) - Strabo: Geography, 16.4.25, p. 365.

(٨) - EI, AL YAMAN, Vol. IV, p. 1156.

(٩) - الواسعي : ٣٣٥ .

(١٠) - صفحة جزيرة العرب : ٣١١ .

بزراعة الحبوب " مخلاف ذي جره وخولان، وكان يسمى خزانة اليمن ، وذُمَّسَار
وَرُغَيْنَ والسَّحُولَ مصر اليمن : لأنَّ الذرة والبَسْر والشعير تبقى في هذه المواضع
المدة الكثيرة " (١) . وقد رأى الهمداني في أحد جبالها وهو مسوّر برآً (٢)
" أتى عليه ثلاثون سنة ولم يتغيّر ، وأما الذرة فانها لا تكون الآ في بلاد
حار ولا تختزن في البيوت لحال ما يسرع اليها من الفساد ، ولكن يحفر لها
في الأرض وتدفن في مدافن يسع المدفن منها خمسة آلاف تفيض الى ما هو أقل ،
ويُسد عليها حتى ربما نبت على السداد الشجر العريّ وتقيم العمر ولا تنفخش ولكن
تتغير رائحتها وطعمها فاذا كشف منها المدفن ترك أياماً حتى يبرد ويسكن بخاره
ولو دخله داخل لتلف بحرارته " (٣) .

وتدلنا هذه المدافن العظيمة التي صنعها أهل اليمن لاختزان الحبوب على
كثرة انتاج الحبوب ، فكانت الحبوب من السلع التي تصدّر من اليمن الى بلاد
الجزيرة الأخرى . وهذه المدافن استنبطها أهل اليمن قديماً لحفظ الحبوب ،
وكانوا يطلقون عليها لفظة " مدفن " في لغة المسند (٤) .

ب - في سائر مناطق الجزيرة العربية :

هذا شأن اليمن ، أما باقي أقسام الجزيرة فقد تميّزت بالطابع الصحراوي
في الغالب الأعمّ مع احتوائها على عدد غير قليل من الواحات والمناطق الزراعية
التي تميّزت بالنخيل بشكل خاص ، وبزراعة الحبوب كالقمح والذرة والشعير ،

(١) - صفة جزيرة العرب : ٢١٤ .

(٢) - " الحنطة وتسمى البُر ، وتسمى في غير اليمن القمح " - تاريخ اليمن : ٢٨٣ .

(٣) - صفة جزيرة العرب : ٢١٤ .

(٤) - جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢٦١ .

وكان النخيل ينمو في أنحاء الجزيرة بيسر لكونه يبصر على العطن، أما الأبناب فقد كانت لها أمكنة قليلة محدّدة أهمها الطائف . وباستثناء الطائف التي اشتهرت منذ القدم بكرومها وزبيبها لا يمكن القول إنّ هناك مناطق تخصّصت بزراعة الأبناب في الجزيرة ، وانما زرعت الأبناب في أمكنة مختلفة من الجزيرة ضمن المزروعات الأخرى من نخيل وحبوب ، ولم تكن لها المكانة الأولى في الزراعة .

وقد كانت أودية الهضبة النجدية التي ترتفع الى خمسة آلاف قدم موطناً لزراعة الحبوب والنخيل ، وذلك لأنّ مياه الأمطار تتجمّع فيها (١) . وامتدّ شمال الحجاز بخصوبة كبيرة كان سببها الآبار العديدة الموجودة في وادي القرى وفدك وخيبر وتيماهوتبوك وغيرها . وفي هذه المنطقة ، أقام اليهود مع القبائل العربية التي سكنت يثرب وشمال الحجاز مستوطنات زراعية (٢) . وكذلك امتدّت جبال السراة الحجازية ، وتحديداً جنوب مكة حيث سكنت قبيلة هذيل ، بخصوبة نسبية سمحت بالزراعة ، وكان من أهم مناطق الجزيرة خصوبة اليمامة ، وبعض قرى السيف بسبب وجود المياه والآبار والأفلاج .

وفي هذه المناطق زرعت الكرمة الى جانب غيرها من المزروعات ، وإن لم تنتشر بكثرة كما في اليمن ، لأنها تحتاج الى ظروف طبيعية خاصة كالمنساج المعتدل والخصوبة الى جانب توفّر المياه . ومما لا شك فيه أنّ أهل الحجاز عرفوا فرصة الكرمة بدليل وجود ذكرها في القرآن الكريم : فقد جاء في سورة النحل :

(١) - Semple: Influences of Geographic Environment, p.501.

(٢) - اسراييل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية والاسلام

(ط . مطر : ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧ م) : ١٧ .

﴿ وَمِنْ شُرُومِ النَّخِيلِ وَالْأَمْثَابِ تُتَّخَذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

وفي الشعر الجاهلي ما يدل على أن الكرم كانت من الأشجار التي اتصل وجودها بحياة عرب الشمال ، فقد " شبهوا الشعور بغرابيب الكرم ، وهي سود العناقيد واحدها غرابيب " (٢) ، وورد ذلك كثيراً في أشعارهم ، قال معن بن أوس (٣) :

وَوَحْفٍ يُّشْتَى فِي الْعِقَاصِ كَأَنَّه
عَلَيْهَا إِذَا دُنْتُ عَدَاوَتُهَا كُرْمٌ

وقال النابغة الذبياني (٤) :

وَبِفَاحِمِ رَجُلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ
كَالْكُرْمِ مَالٌ عَلَى الدَّعَامِ الْمُسْتَدِرِّ

قال عبد المسيح بن مسلمة يصف جسد المرأة (٥) :

جَسَدٌ بِهِ نَضْحُ الدَّمَاءِ كَمَا
قَنَّاتٌ أَنَامِلٌ قَاطِفِ الْكُرْمِ

-
- (١) - سورة النحل : ٦٧ .
 - (٢) - الدينوري : كتاب النبات : قطعة من الجزء الخامس (نشره پ . لويين ، ليدن ٤ ١٩٥٣ م) : ٩ .
 - (٣) - ديوان معن بن أوس (صنعة نوري القيسي وحاتم صالح الضامن ، بغداد ٤ ١٩٧٧ م) : ٥٥ .
 - (٤) - ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر) : ٩٦ .
 - (٥) - المفضليات (بشرح ابن الانباري ، تحقيق ليال ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت) : ١ : ٥٥٧ .

وهناك أمثلة أخرى على ورود هذه الصورة في الشعر (١) .

وقد يقال إنَّ عرب الشمال عرفوا الكروم في أسفارهم إلى الشام واليمن والعراق وفارس ، وفي وفادات القبائل وسفاراتها إلى تلك المناطق لأسباب مختلفة مسن أهمها التجارة ، ولكن هذا لا يكفي للقول إنهم لم يعرفوا العنب ولم يزرعوه — ودليلنا على ذلك شهرة الطائف بالكروم والزبيب .

وتتمتاز الطائف بمناخ معتدل بارد جعل منها ملاذاً مصطافاً لتجار مكة وأثريائها ، وقد ظلت الطائف والأودية المحيطة بها تمتد سائر مناطق الحجاز بمواد هامة كالخمر والقمح والأخشاب حتى سُميت بسوق مكة (٢) .

وللعنب ، حسب الروايات القديمة ، دور بارز في أصل ثقيف وبينما الطائف (٣) . وهذه الروايات ، وإن كان المعول عليها قليلاً ، تبرز المكانة

(١) - انظر مثلاً ديوان جران العود (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) : ٣٧ ، وديوان النمر بن تولب (صنعة نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد : ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) : ١١٦ .

(٢) - EI : Ta'if, vol. IV, p. 621.

(٣) - في رواية لابن الكلبي نقلها عن ابن عباس أن ثقيفاً والنخ من إيساد ، وأن ثقيفاً هو قسي بن منبه . فخرجا معاً ومعهما عنز لهما ، فعرض لهما مصدق لملك اليمن وأراد أخذها فقتله أحدهما ، وتفرقا في الأرض . فنزل قسي موضعاً قريباً من الطائف . ورأى جارية ترمى الغنم ، فأرشدته إلى مولاها ، فاتاه واستجار به ، فزوجه بنته ، وأقام بالطائف . فقيسل : " لله دَرَه ما أشقاه حين شقفاً مامراً فأجاره " . وكان قد مرَّ بيهودييَّة بوادي القرى فأعطته قسيان كرم فغرسها بالطائف . - الرواية في الأغاني لابي الفرج الاصفهاني (ط . دار الثقافة ، بيروت : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) : ٤ : ٣٠٥ ، وفي معجم ما استعجم للبكري : ١ : ٦٤ ، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي : ٤ : ٢٩ ، وفي تاريخ المستبصر لابن المجاور : ١ : ١٨ .

الهامة التي احتلتها الكروم ضمن العملية الزراعية التي ترجع في الطائف إلى عهد قديمة ، مما حدا بالروايات إلى إشراكها في أصل ثقيف .

وقد حمل أهل الطائف على أنواع من الأضباب من الشام وفارس ، وعلى وجسه أخفى من اليمن إذ كان للطائف ملاقات متينة معها (١) . وقد تشابهت أنواع الأضباب في الطائف وأنواع أضباب اليمن والشام وفارس كما سنرى ، مما يتدل على اهتمام الطائفيين بزراعة الكروم . وقد ذكرت زراعة الأضباب في الطائف في الشعر الجاهلي ، قال أبو القلت (٢) :

وَيَانِعُ مِنْ صُوفِ الْكُرْمِ عِنْدَنَا
قَدْ اذْهَامَتْ وَأُمْسَتْ مَاؤُهَا عُذِقُ
إِلَى خُضَارِمٍ مِثْلِ اللَّيْلِ مُتَّجِسًا
مِنْهُ ، وَنَعْمِرُهُ خَلَا وَلَدَانَا
يَمْشِي مَعًا أَصْلُهَا وَالْفَرْعُ إِبَانَا
فَوْمًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَرُمَّانَا

وقال ابنه أمية (٣) :

وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمْتُمْ مَعْنَدُ
بِوَجِّ وَهِيَ قُبَيْرِيٌّ وَطَلْحُحُ
فَالْقَيْنَا بِسَاحَتِهَا حَلُولًا
فَأَنْبَتْنَا خُضَارِمٌ فَأَخْرَجَتْ
أَقْمَمْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تَخَالُ سَوَادٌ أَيْكْتَهَا عَرِينَا
حَلُولًا لِلْإِقَامَةِ مَا بَقِينَا
يَكُونُ بِتَاجِهَا عُنْبًا وَتِينَا

وكانت مكة تلالاً جرداً لا زرع بها ، ولهذا كانت ترفدها الطائف بالفاكهة

(١) - EI : Ta'if, vol. IV, p. 621.

(٢) - معجم البلدان : ٥ : ٣٦١ .

(٣) - ديوان أمية بن أبي القلت (تحقيق عبد الحفيظ السطلي ، ط. دمشق :

١٩٧٧م) : ٥٠٦ .

والحبوب، وأهمها الأعناب والزبيب . وكان أثرياء قريش يملكون أراضي فسيحة الطائف ويزرعونها (١)، وقد كان " للعباس بن عبد المطلب أرض بالطائف وكان الزبيب يُحمل منها ، فيُنْبذ في السقاية للحاج ، وكانت لعامة قريش أمسوال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها " (٢) . ومما يدل أيضاً على كثرة أعناب الطائف أن الرسول (ص) بعد فتحها " أمر أن تُخْرص أعناب ثقيف كخرص النخيل ، ثم تؤخذ زكاتهم زبيباً كما تؤخذ زكاة النخل " (٣) ، وفي رواية للمدائني أن " سليمان بن عبد الملك لما حجّ مرّ بالطائف فرأى بيادس الزبيب فقال : " ما هذه الحور ؟ " فقالوا ليست حرارا ولكنّها بيادس الزبيب ، فقال لله درّ قسيّ بأي أرض وضع سهامه .. " (٤) .

وفي معجم البلدان صورة حيّة لوصف الطائف وكرومها : قال عسّام :
" والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية تنصبّ منها الى تبالة .. وهي على ظهر جبل غزوان " (٥) ، وجاء في تفضيل أعنابها :

" وبيوتها لاطئة حرجة وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان . وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل ، وهي طيبة الهواء شمالية ربما جمد فيها الماء في الشتاء وفواكه أهل مكة منها " (٦) . ولا بد أن ينطبق هذا الوصف على الطائف في الجاهلية

(١) - EI : Ta'if, vol. IV, p. 621.

(٢) - كتاب فتوح البلدان للبلاذري : ١ : ٦٦ .

(٣) - المصدر السابق : ١ : ٦٦ .

(٤) - معجم البلدان : ٤ : ١١ ، والمستبصر : ١ : ٢٣ .

(٥) - معجم البلدان : ٤ : ٩ .

(٦) - المصدر السابق : ٤ : ٩ .

نظرا لشهرتها القديمة بالكروم والزبيب .

هذا ، وإنّ ما وصلنا من أخبار زراعة العرب للأعناب منذ الجاهلية فسـي كتب النبات منسوب في معظمه الى الطائفيين ، مما يدل على اهتمامهم بزراعة الكروم دون غيرهم من العرب . وفي المعاجم اللغوية - كما في كتب النبسات ، نعثـر على عدد كبير من المفردات التي تتعلّق بالمراحل المختلفة لنمو شجرة الكرّم ، والعناقيد بشكل خاص . وكذلك نجد الكثير من الألفاظ المتعلقة بأدوات قطف العنب ، والأجزاء المستعملة في عملية التمريش وإقامة حواشـط الأعناب بالإضافة الى الألفاظ المتعلقة بأجزاء نظام الري المتبع فيها (١) . ويـدّل هذا الموروث اللفظي الواسع على وجود زراعة مستقرة للأعناب في الطائف كانت لها أصولها ومبادئها التي درجت عليها منذ عهود قديمة .

ويسمّي الطائفيون شجرة العنب الكرّمة والحبلة (٢) . وفي طريقة غرس الحبلة روي عن الطائفي قوله : " اذا غرس الحبل أخذت ثلاث نوامي طول كـل نامية ثلاثة أشبار ثم تحفر حفرة قدر ذراع فتشني النوامي في الأرض وتترك منها عينين عيين . ويقال للعيون الأبن ، ثم تكبس عليها التراب وتترك لها حويضاً ثم تسقيها طوف القصب (٣) (والطوف قدر ما يسقى القصب وهو العلف السـرطـب) ، فإذا كان إبان غرسه الذي يغرس فيه تركت له فوق الأرض عيناً واحدة ثم صرمت ما فوقه ثم وضعت

(١) - على سبيل المثال لا الحصر راجع كتاب النخل والكرم المنسوب للاصمعيي والمطبوع في كتاب البلغة في شذور اللغة (نشرها أوغست هفتر ولويس شيخو، ط. المطبعة الكاثوليكية ، بيروت: ١٩٠٨م) : ٧٣ - ٩٤ ، والمختص لابن سيده : ١١ : ٦٥ - ١٠١ .

(٢) - البلغة : ٧٣ .

(٣) - " كل نبت كانت ساقه أنابيب وكعوبا فهو قصب " : - فقه اللغة للشعالبي (تحقيق الشيخ رشيد الدحداح ، باريس : ١٨٦١م) : ٩٠ .

شحطة وهو عود من الشجر تفرزه الى جنب القصب حتى يملو فوقه . فاذا كسان
العام المقبل حطته على طول أربع أصابع ثم فرسته " (١) .

وقد أطلق الطائفيون اسم الزُّجُون على شجر العنب أيضاً ، قال الليث :
" الزرجون بلغة أهل الطائف وأهل الغور قضبان الكرم وأنشد :

بَدَلُوا مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْحِ وَالْإِدِّ خِرٌّ تَيْنًا وَيَانِعًا زُرْجُونًا

وربما كان الزُّجُون فارسيًّا مقرباً وأصله " زُرْكَون " (٢) .

وقد تابع أهل الطائف مراحل نمو الكرم ونضج ثماره ، وأطلقوا عليها
الفاظاً محدّدة : " فاذا بدت عيونها قيل : قد صَوَّتْ ، فاذا رأيت فيه الطلع قلت :
أُرْمَعُ ، فاذا التقى قلت : اسْتَطَلَّ ، واذا انفتحت مناقيده قلت : نَفَسَ .
ويقال مَنفُودٌ وَمِنْقَادٌ " (٣) . قال تَابُطُ شَرًّا (٤) :

وَقَدْ لَهَوْتُ بِمَمْتُولٍ مَوَارِثَهَا بَكَرٍ تَنَارَعَنِي كَأَسَا وَعِنْقَادًا

" فاذا فرغ من نفعه قيل : حُرِّرٌ وَفَعَلُ ، فاذا كبر حبه قيل : قد غَصَنَ وَأَغْصَنَ .
فاذا رأيت في الحب ماء قلت : قد أَرَقَّ ، فاذا أدرك قلت : أَيْنَعَ ، فاذا رأيت
العود يبس والماء قد انتهى قلت مَقَّدُ ، وذلك حين يقطف " (٥) .

(١) - البلغة في شذور اللغة : ٧٣ .

(٢) - المعرب للجواليقي (تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية ،
القاهرة ، ١٣٦١هـ) : ١٦٥ .

(٣) - البلغة : ٧٤ .

(٤) - شعر تَابُطُ شَرًّا (تحقيق القره قولي وجاسم ، ط . العراق : ١٣٩٣ هـ -

١٩٧٣م) : ٨٠ .

(٥) - البلغة : ٧٤ .

وكانوا يفرسون الكرم ويرفعونها على عمد لنسهل العناية بها. والتعريش هي الطريقة التقليدية القديمة التي اتبعت في اليمن . قال الطائفيون : " فاذا غرسنا العنب ممدنا الى دعام فحفرنا لها في الأرض من هذا الجانب دعامة بحبال هذه الدعامة لكل دعامة شعبتان . ثم جيء بخشبة فنعرضها عليها طرفها بين شعبتي تلك الدعامة الأخرى وتسمى هذه الخشبة المعروضة بالأطر المسطح . ونجعل على المساطح أطراً من أدناها الى أعلاها فتسمى المساطح بالاطر مساطح . . والشحطة عود تُرفع به الحبله حتى تنتقل الى العريش " (١) ، ودعام الكرم هو الخشب الذي ترفع به الغصون . قال الشاعر :

كَالْكُرْمِ مَالٍ عَلَى الدِّعَامِ الْمَسْنَدِ (٢)

كما أطلقوا عليه لفظ الدقّران : وهو " الخشب الذي ينصب في الارض ويُسَمَّرُ عليه العنب ، والواحدة دِقْرَانَة " (٣) . وكانوا بشكل عام يستعملون السواد لاختصاص التربة ، ويسمونه الدّمّن (٤) ، ويقطعون من العنب كل عام شيئاً من أعاليه فيسمونه الجطاب (٥) .

وقد اعتمد الطائفيون أسلوبيين رئيسيين في زراعة الكروم : الأول هو حواظ الأعناب القائمة على التعريش ، والثاني هو زراعة الكرمة وسط الأشجار

(١) - البلغة : ٨٣ ، والمخصص : ١١ : ٦٥ .
(٢) - ابن دريد : الاشتقاق (تحقيق عبدالسلام هارون ، مصر ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) : ١٦٩ ،
والشعر للنايفة الديباني ، ديوانه ١٩٦٦هـ ومدره :

وَبِقَاحِمِ رَجُلٍ أَتَيْتُ نَبِيئَةً

(٣) - البلغة : ٨٩ .
(٤) - المصدر السابق : ٨١ .
(٥) - المصدر السابق : ٨١ .

العالية . أما حواشئ الأعناب ، فقد كانوا يعمدون الى الرُّكاييا : يحفرونها على نسق واحد بحيث تُفضي الى بعضها البعض ثم ينصبون فيها القضبــــــــــــــــان ويسمونها الجُبَّايا (١) . وقناة الري في الحاشئ تُسمى الكِطامة ، والّا استعيف عنها بالفجّ (مجرى السيل) ، والخلج (القنوات التي تتشعب فيها الساقية) ، والفلج ، وهي الساقية بعينها (٢) . ونجد أنهم قد أطلقوا الألفاظ الخاصة على التفاسيل الدقيقة في أجزاء نظام الري ، وجدران السواقي وغيرها .

وكانوا يحظرون على الكرم بالشجر وهو الوشيع (٣) حتى لا تدخله الناس أو الماشية . وكان بعضهم يستعيف عن استعمال أسلوب التعريش لرفع الكرمة عن الأرض بالجّم ؛ " وناس من أصحاب الكرم يجمّون العنب كلّ عام ولا يعرّشون . والجّم أن تُقطع من وجه الأرض ثم تنبت ، وناس يعرّشون " (٤) . وفي كُتب اللغة أنّ العرب قد أطلقت على التعريش ألفاظاً أخرى ، فقد ورد في اللسان أنّ المُفردس هو المُعرّش من الكروم ، والفردوس أصله رومي أعرب وهو البستان . وقد قيل الفردوس تعرفه العرب وتسمى الموضع الذي فيه كرم فردوساً . وقال الفراء : " وهو عربي أيضاً والعرب تسمي البستان الذي فيه الكرم فردوساً " ، وقال عبدالله ابن الحرث : الفردوس : الأعناب (٥) .

أما الأسلوب الثاني وهو غرس شجيرات الكرم في أصول الشجر العظام ، فقد كانوا يطلقون عليها اسم العوادي ، ولا يسمونها الحبله كما في الحواشئ :

(١) - البلغة : ٩٠ ، والمخصص : ١١ : ٦٥ .

(٢) - البلغة : ٧٧ .

(٣) - المخصص : ١١ : ٦٦ .

(٤) - البلغة : ٨٩ .

(٥) - الجواليقي : المعرب : ٢٤٠ .

" وذلك أنهم يعمدون الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد التفَّ شجره الذي لا يخلو أصله من الظلّ ولا تصيب الشمس ما تحته فيسمونه المارّ ، فاذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كل شجرة من الكرم الى الشجرة التي فطتْ عليها ، ولا يسمونها الحُبلة كما يسمونها في الحواشط ، ولكن يقولون عادية العتمسة ، وعادية العرمرة وعادية الثومة . ويسمّون العوادي الجفن " (١) ، ويسمّون تلك التي تُعلّق بها الجفنة بالشجر العِظفة (٢) . وهذه الطريقة ، كما نرى ، طريقة ناجحة في خلق الظروف الطبيعية المناسبة لنمو العنب كالظلّ وبرودة المناخ .

وقد تشعبت العناية بالكرمة عند أهل الطائف فكانت لها مواعيد دقيقة : فبعضهم يحتم الكرمة كلّ عام ، وكانوا يعزقون حاشط الكرم كل سنة : والمعزقة لها شعبتان يجمعهما رأس واحد يعزق بها حاشط الكرم في وقت الحطاب ، والحطاب : حين يجري الماء في العود ، فاذا جرى الماء في العود أتوا الحاشط فقطعوا الشُّكر : وهي العيدان ، يقطعون ما تيسر منها حتى ينتهوا الى ما جرى فيسه الماء (٣) .

وكانت العرب تفرق الزراعة بالأنواع ، فتربط بين بعض الأنواع وزراعة الكرم ، ونموه ، ومراحل نضجه ، وتلقون عناقيده : " واذا طلع الدبران هبتت السمايم واسودّ العنب " (٤) ، و " اذا طلع سعد الاخبية لم يكذب يخطئ النوع الذي هو فيه وهو نوع الزبرة مطراً شديداً ، وقلما اخلف المطر ، وفيه يورق الكرم " (٥) ،

(١) - البلغة : ٨٠ .

(٢) - المصدر السابق : ٧٧ - ٧٨ .

(٣) - المصدر السابق : ٧٧ - ٧٨ .

(٤) - الازمنة والامكنة للمرزوقي (ط. حيدر آباد : ١٣٣٢هـ) : ٢ : ٢٨٠ .

(٥) - المصدر السابق : ٢ : ٢٨٢ .

و" إذا طلعت البلدة نقي البساتين وكرب الكروم " (١) .

وكانت لهم أدوات استعملوها في الزراعة ، وفي جني الثمار وتقليبهم الكرم : منها المِحطَب ، " وهو المنجل الذي تقطع به نوامي الحَبُّسِل " (٢) ، والمِقْطَف ، وهو ما تقطف به العناقيد (٣) ، والمِكْتَل (٤) : الرِّبِيل يحمل به العنب الى الجرين . والجرين هو الرَّحْبَة (٥) ، وهو للزبيب بإزاء البَيْسَدَر للحنطة ، والمِرْبُد للتمر (٦) .

واختبروا عيوب الأعناب ونتائج الاهمال لها على ثمارها : " اذا لسم يرو الغصن خرج حبه متفرقا ضعيفا فهو الخمصة والحصرم ، واذا لم يرو لم يدرك ولم يعظم " (٧) . وأطلقوا الصفات على الثمار ذات العيوب مثل خدلة : " وهي الحبة اذا نبتت كانت صغيرة قميئة وجاءت عيدانها جعدة من العطش أو غيره " (٨) ، وعنب جأيد : " إذا كان صغيراً مشققاً وقف ورقه " (٩) ، كما نعتوا العنب بحسب حملته في المواسم مثل : " حوّل العنب اذا ما أتمر في عام ، وأحال في الآخر " ، وعنب مَعْرُوم : " اذا ما حمل عاماً وقل حمل عاماً " (١٠) .

والعنب أنواع كثيرة بالطائف ، عدد السجستاني منها ستة عشر نوعاً تتدل

(١) - الازمنة والامكنة للمرزوقي : ٢ : ٢٨٢ .

(٢) - البلغة : ٧٥ .

(٣) - المصدر السابق : ٧٥ .

(٤) - المصدر السابق : ٨٤ .

(٥) - المصدر السابق : ٧٩ .

(٦) - فقه اللغة : ١٥ .

(٧) - البلغة : ٨٧ .

(٨) - المصدر السابق : ٨٢ .

(٩) - المصدر السابق : ٨٢ .

(١٠) - المصدر السابق : ٨٢ .

أسماءها على أنّ الطائفيين قد شاركوا فيها اليمن والشام وفارس ، وتختلف ألوانها فمنها الأبيض والأسود والرمادي والأحمر ، وكذلك تختلف أحجامها وأشكالها ، فمنها الصغير الحب ، ومنها عظيمه . وضروب العنب بالطائف هي : الجُرشي : وهو أبيض ، صغير الحب ويعتبر أول العنب إدراكاً ، والأقماعي الفارسي ، والأقماعي العربي : أبيض عظيم الحب كثير الماء ، والفارسي أعظم حباً من العربي وأقل ماءً وأكثر شحماً منه ، والشوكي : يشابه الأقماعي أبيض ينشقق حبه على شجره ، والرغناء ، والرازقي ، والضرع ، والنوّاسي ، وحبله عمسرو ، بيضاء محددة الأطراف متداخلة العناقيد ، والشامي : عنب أبيض فاذا أينع احمر ، والبيضة : بيضاء عظمة الحب ، والأطراف : أبيض طوال رفاق الحب .

أما أنواع العنب الأسود بالطائف فهي : أم حبيب : سوداء زرقاء تعظم عناقيدها ويعظم حبها ، والدوالي : أسود يضرب إلى حمرة ، عظام الحب ، والرمادي أسود أغبر ، والغريب : وهو أشد العنب سواداً ، والخمّان : وهو أسود أحمر ، وهو أصغر العنب حباً . (١)

وقد فضل السجستاني أطراف العذارى والضرع على غيرهما من ضروب العنب الأبيض لجودتهما وتشابههما ، كما فضل الأسود الغريب على سائر أنواع العنب الأسود لرقته وجودته (٢) ، والغريب أخذته أهل الطائف عن أهل اليمن الذين اشتهروا به منذ القدم . وذكر السجستاني أنواعاً أخرى من الأعناب ، ولكنه لسم يخصص بها الطائف : كالحنشي ، وعيون البقر ، والملاح ، والجوزة . وهي أنواع قد تكون في الطائف وفي غيرها من مناطق الجزيرة . وقد فضلت العرب العنب

(١) - ضروب العنب وأوصافها بالطائف في البلغة في شذور اللغة : ٧٥ - ٧٦ .

(٢) - البلغة : ٨٥ .

المَلّاحي الأبيض المنسوب الى ملاح في اليمن لجمال تكله وبيافه حتى لقد شبهت
به الثريا: (١)

وَلَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثَّرِيَا لِمَنْ يَرَى كَمَنْقُودٍ مَلّاحِيَةٍ حَيْثُ نُسُورًا

هذا ، وقد زرعت الاعناب في مناطق أخرى من
الجزيرة منها شمال الحجار والودية الواقعة
بين مكة ويشرب ، أما يشرب فان زراعة
الاعناب فيها قبيل الاسلام
ليمت موعدة ، اذ ليس في ما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي ، ومن مصادر
الحياة الجاهلية ما يشير الى زراعة الاعناب فيها ، وانما هناك ما ينفي
زراعتها للاعناب : " فعن عبد الله بن عمر انه قال : والذي نفسي بيده لقد
أنزل تحريم الخمر بالمدينة وما بها زبيبة واحدة " (٢) . ولو كانت الاعناب
تزرع في المدينة لما احتاج أهلها الى الزبيب الذي كان يحمل إليهم في
التجارة ، وكذلك لما شاع بينهم نبيذ التمر دون خمرة العنب : " وقد صحّ
بالأخبار المتواترة أن نبيذ التمر كان فاشياً بالمدينة يشربه أهلها فنيهم
وفقيرهم ، ويجري عندهم مجرى اقواتهم فلولا أنه أراد إطلاق الأشربة لهم لنسّق
عليه كما نسّق على الخمر لان النسق عليه أولى من الخمر لشهرته وكثرة متناوليه
ولقلة الخمر فانها لا تكاد توجد عندهم " (٣) .

(١) - البلغة : ٨٥ ، والبيت لابي قيس بن الأسلت : ديوانه (تحقيق حسن باجودة ،
القاهرة ، ١٩٧٣) : ٧٣ .

(٢) - قطب السرور في أوصاف الخمر للرقيق النديم (تحقيق احمد الجندي ، مجمع
اللسغة العربية بدمشق) : ٥٠٦ .

(٣) - المصدر السابق : ٤٧٥ . والحديث في معرض الأشربة المحرمة .

من الممكن أن يكون العصب قد زرع في يشرب الى جانب غيره من المزروعات ، ولكنه لم يتوفر بشكل يعول عليه في صناعة الخمر ، ودليلنا على ذلك أنه كان يزرع في شمال الحجاز ، وفي الأودية الواقعة بين يشرب ومكة ، ولا يعقل أن يوجد في تلك المناطق ويستخدم في المدينة تماماً .

أما النخيل فقد كانت زراعته غالبية على الزراعة في يشرب ، وقد امتدّت المدينة بحواض النخيل العديدة (١) . وكان سكانها من اليهود الذين نزلوا العالية ، وهي بطحان ومهزور : واديان من حرة على تلال أرض عذبة بها مياه عذبة تنبت حرّ الشجر ، ففي مهزور نزل النضير ، وكان معهم بطون من العرب (٢) . ثم نزل الخزرج وسط المدينة وبعض مناطقها الغربية والجنوبية ، ونزل الأوس الجنوب والشرق في النبييت (٣) . قال حسان بن ثابت : (٤)

أُولَئِكَ قَوْمِي فَإِنْ نَسَّابِي	كِرَامٌ إِذَا الضَّيْدُ يَوْمًا أَلَمَّ
بِيشْرِبٍ قَدْ شِيدُوا فِي النَّخِيلِ	خَمُونًا وَدَجْنٍ فِيهَا النُّعْمُ
نَوَاحٍ قَدْ عَلَّمَتْهَا يَهُودُ	دَعَلُ إِلَيْكَ وَقَوْلًا هَلُمَّ
وَمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَافِ	وَعَيْشِ رَحْطِي عَلَى غَيْرِهِمْ

(١) - كانت شرب محافظة بالحرار واللابات : أراض بركانية ذات حجارة سوداء ،

والأودية في هذه الحرار كانت تشتهر بخصوبة عظيمة وتمتاز بزراعة

النخيل : EI, 'Al Madina', Vol. III, P. 83

(٢) - تاريخ اليهود في بلاد العرب : ١٤ .

(٣) - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي (مكتبة الآداب والمؤيد بمصر)

١٤٠ هـ : ١٤٠ ، وفيه نزل الأوس الشوط ، و EI : Al Madina, vol. III, P. 85.

(٤) - ديوان حسان بن ثابت (تحقيق وليد عرفات ، لندن ١٩٧١م) : ١ : ٥٧ .

وقال قيس بن الخطيم من الأوس (١) :

وَبِالشَّوْطِ مِنْ يَثْرِبِ أَعْبَسْتُ سَتَهْلِكُ فِي الْخَمْرِ أَثْمَانُهَا
يَهُونَ عَلَى الْأَوْسِ أَثْمَانُهُمْ إِذَا رَاحَ بِخَطِيرِ نَشْوَانُهَا

اذن فقد نزل الأوس والخزرج يثرب وكان بها اليهود، وأقاموا فيها الأطم والحصون في النخيل والمرتفعات . ويؤخذ مما أورده اسرائيل ولفنسون أن اليهود قد أدخلوا الى بلاد العرب أنواعاً جديدة من الأشجار ، وطرقاً للحراثة والزراعة والآلات حتى عدوا من أجل هذا أساتذة لعرب الحجاز . (٢) . وقد نزل اليه سود أيضا القرى الواقعة شمال يثرب وكانت هناك عدة قرى في أرض خيبر شمال المدينة آهلة بأكثرية مطلقة من اليهود ، وكذلك وادي القرى الغني بأشجاره وعنبه (٣) ، وتيماء التي اشتهرت كذلك بنخيلها وعنبها (٤) . أما خيبر ووادي القرى فقد اشتهرت منطقتاهما بالنخيل والحبوب ، وكانت بساتين الذرة والحبوب والنخيل كثيرة هنالك (٥) ، " حتى يمكن أن يقال إن تجارة البلح والشعير والقمح كانت خاصة بهم (أي باليهود) في شمال الحجاز " (٦) . وبعد فتح خيبر كان الرسول (ص) " يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام ، وعشرين

(١) - ديوان قيس بن الخطيم (تحقيق ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٣٨١ هـ -

١٩٦٢ م) : ٢٩ .

(٢) - تاريخ اليهود : ١٧ .

(٣) - تاريخ اليهود : ١٧ ، ومعجم البلدان : ٤ : ٣٣٨ : " وادي القرى بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة كانت منازل عاد وشمود ثم نزلها اليهود واستخرجوا كظائمه ، وأساحوا عيونها وفرسوا نخلها ، فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفاً " .

(٤) - EI: 'TAIMA', vol. IV, p. 622.

(٥) - Ibid : 'Arabia', vol. I, p. 368.

(٦) - تاريخ اليهود : ١٨ .

وَسَقًا مِنْ شَعِيرِ خَيْبَرَ " (١) ، مما يدلُّ على شهرة خيبر بالتمر والحبوب . وفسي
أمثال العرب : (٢) كَمَسْتَبْعِ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَ .

كما كَثُرَ النخيلُ في فُدك وتَبوك (٣) ، ويرجع ذلك إلى الآبار العظيمة التي
كثرت في شمال الحجاز . وإذا كان النخيل يمبر على العطش طويلاً فإنَّ الحبسوب
تحتاج إلى كميات من المياه لريِّها .

واحتوت الأراضي الواقعة بين مكة والمدينة على مناطق توفرت فيها
المياه ، فسمحت بمقدار من الزراعة فيها ؛ منها السَّوَارِقِيَّةُ منزل بني سُلَيْم :
" السَّوَارِقِيَّةُ قَرْيَةٌ غَنَاءٌ كَبِيرَةٌ كَثِيرَةٌ أَهْلٌ وَهِيَ لِبَنِي سُلَيْمٍ ، وَيَسْتَعْذِبُونَ مِنْ
آبَارٍ مِنْ وَادٍ يُقَالُ لَهُ سَّوَارِقٌ وَوَادٍ يُقَالُ لَهُ الْأَبْطَنُ مَاءٌ خَفِيفٌ عَذْبٌ ، وَلَهُمْ
مَزَارِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَوْزٍ وَتِينٍ وَعَنْبٍ وَرَمَانَ وَسَفْرَجِلٍ وَخَوْخٍ " (٤) ، وهي قرب جبال
أَبْلَى " وحذاء أبلَى من غربيتها قننة يقال لها السُّورَةُ لبني خُفَافٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ
وَمَا وَهُمْ آبَارٌ يَزْرَعُ عَلَيْهَا مَاءً عَذْبٌ وَأَرْضٌ وَاسِعَةٌ " (٥) وَالصَّحْنُ جَبَلٌ فِي بِلَادِ بَنِي
سُلَيْمٍ فَوْقَ السَّوَارِقِيَّةِ وَفِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْهَبَاءَةُ ، " وهي أفواه آبار كثيرة
مخرقة الأسافل يفرغ بعضها في بعض الماء العذب الطيب ويزرع عليه الحنطة
والشعير " (٦) .

-
- (١) - فتوح البلدان : ١ : ٢٧ .
(٢) - جمهرة الأمثال للعسكري (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد
قطامش ، ط. القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) : ٢ : ١٥٣ .
(٣) - معجم البلدان : ٤ : ٢٣٨ .
(٤) - معجم البلدان : ٣ : ٢٧٦ ، ومعجم ما استعجم : ١ : ١٠٠ .
(٥) - معجم ما استعجم : ١ : ٩٨ .
(٦) - معجم البلدان : ٥ : ٣٨٩ .

وبين مكة والمدينة وادي الصَّفْرَاء ، وهو من أخصب أودية الحجاز، وهي "قرية كثيرة النخل والزرع ماؤها عيون كلها وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وهي لجهينة والانصار وليني فهر ونهد" (١). وقرب الصَّفْرَاء قرية يَلِيل ، " وفيه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من الميرون. وتصب في البحر عند ينبع فيها نخيل وتتخذ فيها البقول والبطيخ" (٢) . وفي أسفل وادي الصَّفْرَاء ماء يَدْر المشهور بين مكة والمدينة (٣) ، وهو على بعد ثمانية وعشرين فرسحاً من المدينة في طريق مكة . وقد انمرد البكري بقوله إن في يَدْر عينين جاريتين عليهما المـسـوز والعنب والنخل (٤) .

وشاية وادٍ خصب من حدود الحجاز يقع بين حرتين سوداوين ، وبه قرى كثيرة منها الطارِع : قرية فيها نخل ومزارع وموزورمانوعنب (٥) "بعدها جبلان يقال لهما سُوَانَان .. وهو جبال شوامخ وفيها الأعناب وقصب السكر". (٦) . وأمّج قرية أخرى على ساية كثيرة المزارع والنخل ، وفيها يقول حميد الأمّج (٧) :

أخو الخمر ذو الشيبة الأملع

حميد الذي أمّج دارة

وكان كريمًا فما ينزع

علاه المشيب على شربها

-
- (١) - معجم البلدان : ٣ : ٤١٢ ، وانظر معجم ما استعجم : ٣ : ٨٣٦ .
(٢) - معجم البلدان : ٥ : ٤٤١ .
(٣) - المصدر السابق : ١ : ٣٥٧ .
(٤) - معجم ما استعجم : ١ : ٢٣١ .
(٥) - معجم البلدان : ٣ : ١٨٠ ، وانظر معجم ما استعجم : ٣ : ٧٨٧ .
(٦) - معجم ما استعجم : ٣ : ٧٨٧ .
(٧) - معجم البلدان : ١ : ٢٥٠ ، وانظر معجم ما استعجم : ١ : ١٩٠ .

وعُسفان قرية على بعد ثلاثين ميلاً من مكة كثيرة النخيل والمرار (١) ، كانت مناخاً للقوافل .

أما جبال السّراة فهي " أكثر أرض العرب صلاباً وعنباً وتيناً وزبيباً " (٢) ، وخاصة في جنوب مكة حيث سكنت قبيلة هُدَيْل ، فقد كانت هذه المنطقة أكثر نواحي الحجاز خصوبة (٣) ، وقد اعتمد أهلها على صنع المدرجات الزراعية على غرار المدرجات اليمينية ، وكذلك استخدمت المدرجات الزراعية في الأودية الضيقة لهضبة نجد وسط الجزيرة (٤) . وقد زرعت الأعناب في جبال السّراة الغربية ، ولم تقتصر زراعتها على سراة اليمن . وكانت أعناب السّراة تعظم مما يدل على قدمها وملاءمة المناخ لها ، فقد أشار الدينوري إلى أنّ نوعاً من العنب هو أصابع العذارى ينبت فسي السراة ، وقال في وصفه : " هو صنف من العنب أسود طوال كأنه البلوط يشبّهه بأصابع العذارى المخضبة وعنقوده نحو الذراع متداحس الحبله زبيب جيسد ، ومنابته السّراة " (٥) . ويبدو أن الكرم كانت تعظم كثيراً في السّراة فتتخذ من سيقانها الصحف والآنية : " وأخبرني بعض الأعراب أنه ينتحت بالسراة صحاف من سيقان الكرم ومن عجر تظهر فيها فتجء خلجاً موشاة حساناً جيداً ، والكرم تغلظ ساقه عندهم غلظاً شديداً . وأخبرني بمثل ذلك رجل من أهل الشام لأن الكرم يعبل بأرض بيت المقدس خاصة حتى يمكن أن تُخرط منه الأواني " (٦) .

(١) - معجم البلدان : ٤ : ١٢١ .

(٢) - كتاب النبات للدينوري (حقه لفين وشتايتز ، فسادن : ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) :

٣ : ٢٦٦ .

(٣) - EI : 'Arabia', vol. I, p. 368.

(٤) - Semple : Influences of Geographic Environment : 567.

(٥) - كتاب النبات ، قطعة من الجزء الخامس : ٤٤ .

(٦) - الدينوري : كتاب النبات ، قطعة من الجزء الخامس : ١٦ - ١٧ .

ومن مناطق الجزيرة الخصب منطقة اليمامة وما جاورها . والأرض الممتدة في جنوب غرب اليمامة الى حدود الدهناء هي وادي فُلج أو فلج الأفلاج (١) : "مدينة بأرض اليمامة سميت كذلك لأنها أفلاج كثيرة وأعظمها هذا الفلج - فلج الأفلاج - لأنه أكثرها نخلاً ومزارع وسيوحاً جارية " (٢) . وفي اليمامة وادي يشقها يسمى العرُض : مرض اليمامة يشقها من أعلاها الى أسفلها ، والى جانبه منفوحة : قرية مشهورة من نواحي اليمامة كان يسكنها الأعشى وبها قبره (٣) . " وكانت اليمامة أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً " (٤) . ودرنا التي باليمامة اشتهرت بالخمر وجزاعة العنب ، قال الأعشى (٥) :

فإن تمنعوا منا المشقر والصفاء فأننا وجدنا الخط جفماً نخيلها
وإن لنا درنئ فكل عشيبة يحط إلينا خمراً وخميلها

ومما يدل على وجود الأعصاب في منطقة اليمامة ما جاء في تفسير ابن دريد لكلمة عنجد : " وعنجد مأخوذ من حب العنب . وقال قوم : رديء العنب . وأحسب أن باليمامة قوماً يقال لهم العنجد ، كأنهم منسوبون إلى عنجد " (٦) .
وقد احتوت منطقة السيف على أراض زراعية خصبة تميزت بزراعة النخيل كهجر ، وهي مدينة بالبحرين (٧) ، وقد كان أهل البحرين يزرعون العنب

(١) - (EI) Arabia , Vol. I . PP. 370-371 .

(٢) - معجم البلدان : ٤ : ٢٧١ .

(٣) - معجم البلدان : ٥ : ٤٤١ ، ومنفوحة لبني قيس بن ثعلبة .

(٤) - معجم البلدان : ٥ : ٤٤٢ .

(٥) - الصبح المنير في شعر أبي بصير : ١٢٤ . وفيها إشارة الى أن درنا باليمامة ، وقد تكون غير أشافت التي باليمن ، والتي كانت تسمى في الجاهلية درنسى

كما ورد في صفة جزيرة العرب : ١١٤ .

(٦) - الاشتقاق : ٥٥٥ .

(٧) - معجم ما استعجم : ٤ : ١٣٤٦ .

ببني نخيل . قال لبيد : (١)

نَخْلٌ كَوَارِعٌ فِي خَلِيجٍ مَحْلَمٍ حَمَلَتْ فَمِنْهَا مَوْقِرٌ مُكْمَرٌ
سَخَقٌ يَمْتَعُهَا الصَّفَا وَسَرِيحُهُ عَمَّ نَوَاعِمَ نَسِيهِنَّ كَسْرُومٌ

والصفا نهر بالبحرين ينحليج من عين محلم الذي يسقي نخيل هجر كلها (٢) .
وتذكرنا زراعة المنب بين النخيل في هذه المنطقة بأسلوب مشابه أتبع فسي
الطائف هو أسلوب العوادي : زراعة الجفن في ظل الشجر الكثيف الملتف .

ومن قرى السيف قطر . وهي بين البحرين وعمان (٣) ، ويميزها البكري
" بأنها أكثر بلاد البحرين خمراً (٤) " ، مما يؤمنه إلى امكانية زراعتها للعنب
وإن لم يأت على ذلك صراحة ، لأن العرب لم تطلق كلمة خمرة على نبيذ التمسر ،
وإنما على خمرة الأعناب .

ولا شك أن الشهرة الغالبة على منطقة اليمامة والبحرين في الزراعة
ترجع في الدرجة الأولى الى زراعة النخيل ، وأصناف التمر الموجودة في عرض

(١) - شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق احسان عباس ، ط . الكويت ، ١٩٦٢م) : ١٢٠ ،
كوارع : أراد اللواتي في الماء . محلم نهر بالبحرين . موقر : حامل ،
مكموم : مغطى بالكمامة من برد أو داء . يكم ويشوك حوله بالسلاة مخافة
أن يسرق . السحق : الطوال احدها سحوق . يمتعها يرببها ويحسن نباتها
ويطيبها . والصفا نهر يعني صفا المشقر بالبحرين . سريه نهره يعني
الصفا . عم : طوال عظام واحدها عميمة . يقول بين النخل كروم .
(شرح ديوان لبيد : ١٢٠) . وورد البيت الثاني في غريب الحديث لابي عبيد
القاسم بن سلام (بمراقبة محمد عبد المعيد خان ، الهند ، ١٣٤٨هـ - ١٩٦٤م) :

١ : ٢٩٦ .

(٢) - معجم البلدان : ٣ : ٤١١ ، وانظر ما جاء في معجم ما استعجم : ٤ : ١١٩٣ .

(٣) - معجم البلدان : ٤ : ٣٧٣ .

(٤) - معجم ما استعجم : ٣ : ١٠٨٢ .

البيمامة والخَطُّ (فإِنَّا وَجَدْنَا الخَطَّ جَمًّا نَخِيلَهَا) (١) . وهجر . وقد كانت شهرتها بالتمر سبباً لشهرتها بنبيده : ففي رواية الأصمعي عن العجاج أنه قال : " أين تريد ؟ قال : البحرين ، قال : لتوافقن بها نبيداً خضراً " (٢) - أي كشيئراً . وكانت لهم منه صنوف اختلفت شدتها وسورتها : " فقد أجمع أهل البحرين أن لهم تمراً يُسمَّى النابجي ، وأن من فضحه وجهه نبيداً ثم شربه وعليه ثوب أبيض صيفه مرقه حتى كأنه ثوب أتحمي " (٣) .

-
- (١) - الصبح المنير: ١٢٤ .
(٢) - شرح أشعار الهذليين (تحقيق عبد الستار فراج ومراجعة محمود محمد شاكر ، ط . القاهرة ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٦٥ م) : ٣ : ١٠٩٣ .
(٣) - كتاب الحيوان للجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون ، ط . القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) : ٧ : ٢٣١ . والأتحمية : " ضرب من البرود واحدها أتحمي وهي المتحمة أيضا وأشد :
مُفْرَأٌ مَّنْحَمَةٌ حَيْكَةٌ ثَمَانِمَهَا مِنْ الدَّمَقِيسِيِّ أَوْ مِنْ فَاخِرِ الطُّوْطِ
المخصى : ٤ : ٧٣ .

٢- صناعة الخمر والأشربة والأنبذة في الجزيرة العربية

أ - صناعة الخمر في الجزيرة العربية :

لا شك أن العرب قد صنعت الخمر من الأعناب في الأمكنة. التي زرعتها كاليمين والطائف وغيرها . إلا أنها لم تلمح الى ذلك في أشعارها ، ولم تذكر الخمرة المصنوعة محلياً أو تفخر بها ، وإنما تغنى الشعراء بالخمرة التي كانت تأتيهم من أمكنة بعيدة . ولكن هذا لا يعني أن العرب لم يصنعوا الخمرة في الجزيرة . فهناك فرق بين ذكرهم للخمرة القادمة من أمكنة بعيدة ، وبين صناعتهم المحلية لها حتى لو لم يلمحوا الى هذه الناحية شعراً .

على أن لدينا من الأخبار ما قد يستد مسد ما أغفله الشعر إلا لماماً ، إذ يحدثنا الهمداني أن هناك مناطق اشتهرت خمرها مثل مخلاف ثات ووادي فههر ومخلاف سخيم (١) ، وهذا الأخير كانت تنسب إليه الخمر الجيدة ، (٢) قال الشاعر (٣) :

كَأَنِّي اصْطَبَحْتُ سَخِيمِيَّةً تَفَاسًا بِالْمَرْءِ صِرْفًا عَقَارًا

وقد ذكر أنه كان للأعشى معصر للخمر بأثافت ، يعصر فيه ما أجزل لـه أهلها من أعنابهم وهو يذكر " عصر " العنب في تلك القرية بقوله (٤) :

أَحِبُّ أَثَافِتَ وَقْتِ الْقِطَافِ وَوَقْتِ عَصَارَةِ أَعْنَابِهَا

وكانت خمرة اليمن من العنب ومن النخيل ، وهذه الثانية هي التي ذكرها استرابو - كما تقدم - وكانت لهم معاصر عرفت في النقوش باسم " موهتن" (٥)

(١) صفة جزيرة العرب : ٢٤٢ ومعجم البلدان ٢ : ٧٠ .

(٢) - معجم ما استعجم ٣ : ٧٢٨ .
(٣) - لسان العرب : مادة سخم : والبيت منسوب فيه الى عوف بن الخرع ، وروايته هنالك :
كَأَنِّي اصْطَبَحْتُ سَخَامِيَّةً تَفَشًا بِالْمَرْءِ صِرْفًا عَقَارًا

(٤) - صفة جزيرة العرب : ١١٤ ، وانظر البيت في ديوانه : ١٢١ ، وروايته هنالك
" عَصَارَةُ أَعْرَابِهَا " .

(٥) - تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ : ٢٦٤ .

و " موهت " تعني الضغط الشديد والدوس (١) ، وقد اتخذوا تلك المعاصر فسي البيوت والحواسيت لعصر العنب واستخراج الزيوت ، ومعاصرهم كانت عبارة عن حجرين صخريين في الأعلى منهما ثقب لادخال العنب أو اية مادة يراد عصرها ، والحجر الأسفل مشبه به يحيط به مخفض يشبه الساقية ليجري إليه العصير (٢) .

وتعتبر الطائف - بعد اليمن - أبرز المناطق التي صنعت من أعنابها الخمرة في الجزيرة العربية ، ودليلنا على ذلك الأخبار التي تواترت عن زراعة الطائفيين للأعناب وعصرهم لها ، وصناعة الخمرة منها :

وَبَإِيجٍ مِنْ سُوفِ الْكُرْمِ عَنَجَدْنَا مِنْهُ ، وَنَعَصِرُهُ خَلًا وَلَذَانَا (٣)

ونظراً لكثرة الكروم عندهم ، كانت الأعناب تعصر وتصنع منها الخمرة والخل ، أو تزيب وتنتيد فتستعمل في الاستهلاك المحلي ، وتصدر الى الخارج . والدليل على ذلك أنه لما حرمت الخمر تحيرت ثقيف ، كغيرها ممن زرعوا الكروم ، كيف تمنع بأعنابها . فعن ابن عباس أن عبد الرحمن بن وعلة قال " إن بارضنا كروماً " (٤) ، وسأله ماذا يصنعون بالأعناب بعد تحريم الخمر . وفي رواية أخرى أن عمرو بن عبد الله الديلمي روى عن أبيه قال : " قدمت على رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله إننا أصحاب كرم ، وقد أنزل الله عز وجل تحريم الخمر فماذا نصنع ؟ قال : تتخذونه زبيبا " (٥) .

(١) - تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨ : ٢٧٩ .

(٢) - المرجع السابق : ٨ : ٢٦٤ (ينصرف) .

(٣) - معجم البلدان : ٥ : ٣٦١ ، والشاعر هو أبو الصلت من ثقيف . " والعنجد مأخوذ من حب العنب " - الاشتقاق لابن دريد : ٥٥٥ .

(٤) - مسند أحمد بن حنبل : ١ : ٢٤٤ .

(٥) - المصدر السابق : ٤ : ٢٣٢ ، وسنن النسائي : (٧-٨) : ٣٢٢ .

إذن ، فقد استخدم الطائفيون الأعناب في صناعة الخمر ، وكانت لهم أدوات لعصر العنب منها العواصر ؛ وهي حجارة يعصر بها العنب ؛ " وهي ثلاثية أحجار بعضها فوق بعض يسيل منها العصير " (١) ، والتركوة هي رقعة تحسب العواصر (٢) .

وكانت طريقتهم في صنع الخمر تبدأ بجمع العنب في الجرين ، " فيفملونه في الزبيل فلا يرى الشمس حتى يشرب العنب ماء العيدان " (٣) . وكان لهم أسلوب آخر سوى عصر الأعناب بالعواصر ، وهو دوس الأعناب بالارجل ؛ " الخمر اذا عَصِر فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل السلاف ، وأصله من السلف وهو المتقدم من كل شيء ، وهو في مثل ذلك الخرطوم أيضا ، ويقال للذي يعصر بالأقدام : العصير ، والموضع الذي يعصر فيه : المعصرة ، والنطل ما عصر فيه السلاف ، ويقال للعاصر : الناطل ، ثم يترك العصير حتى يغلي فاذا غللا فهو خمير . وهذه العملية فصي صنع الخمر تدور حول تخمير العصير حتى يغلي من غير أن تمسه النار . وقد عرف الطائفون وغيرهم من العرب ألواناً من العصير المطبوخ منه المنصف ، ونبيذ الدادي ، والطلاء . ووصف ابن سلام طريقة صنع المنصف والطلاء فقال : " وهو أن يطبخ عصير العنب قبل أن يغلي حتى يذهب نصفه ، وقد بلغني أنه كان يسكر ٠٠ ، وإن طبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى الثلث فهو الطلاء ، وإنما سمي بذلك لأنه شبه بطلاء الليل في شخه وسواده ، وبعض العرب يجعل الطلاء الخمر بعينها ، يروى ان عبيد بن الابرص قال في مثل له :

(١) - البلغة في شذور اللغة : ٨٩ ، والمخصص : ١١ : ٧٢ .

(٢) - البلغة : ٨٩ .

(٣) - نفسه : ٨٢ (والغمل : جمع العنب في الزبيل بعرضه على بعض البلغة : ٨٣) .

وَلَكِنَّهَا الْخُمْرُ تَكْنَى الطَّيْلًا كَمَا الذِّئْبُ يَكْنَى أَبُو جَعْدَةَ (١)

ويشير جميل سعيد نقلًا عن كتاب الطائف للامانس إلى أن الحانات والمعاصر كانت كثيرة في الطائف قبل أن يدخلها الإسلام ، حتى لقد أظفر الخليفة عمر بسن الخطاب الى أن يفرم النار في هذه الحانات والمعاصر ، فقال في ذلك أبو محجن الشقفي :

رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا فَخَلَانَهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاصِرِ (٢)

ومن أشهر حانات الطائف حانة ابن بَجْرَةَ ، وحانة أبي مريم السُّلُولِي وكان خَمَارًا مشهوراً في الطائف ثم أسلم . . وهو الذي قدم عليه أبو سفيان بن حرب في جاهليته فشرب في حانته (٣) . اما ابن بجرّة فهو خَمَارٌ " من بني عبيد بسن عويج بن عدي بن كعب من قريش ، ولم يسكنوا مكة قط ، ولا المدينة فظ ، وهو الذي عناه أبو ذؤيب الهذلي بقوله :

وَلَوْ أَنَّ مَا عِنْدَ ابْنِ بَجْرَةَ عِنْدُهَا مِنْ الْخُمْرِ لَمْ تَبَلِّ لَهَا شِي بِنَاظِلِ (٤)

هذا ، وقد ساهم اليهود في صنع الخمرة في الطائف وغيرها الى حد بعيد ، وفي الشعر الجاهلي إشارات الى صناعة اليهود للخمر بالاضافة الى الاتجار بها ،

-
- (١) - غريب الحديث : ٢ : ١٧٧ ، والبيت في ديوان قبيد بن الأبرص (دار صادر ، ط. بيروت ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م) : ٢١٠ وقد وردت الإشارة الى المطبوخ في نهاية الأرب : ٤ : ٨٢ .
- (٢) - تطور الخمریات في الشعر العربي : ٨١ ، نقلًا عن " الطائف " للامانس : ١٤٧ . والبيت في ديوان أبي محجن الشقفي (نشره صلاح الدين المنجد ، ط. بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م) : ٥٣ .
- (٣) - الكامل في التاريخ لابن الاثير (ط. دار صادر ودار بيروت، بيروت ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) : ٤٤٣ ، ٣ .
- (٤) - الاغانى : ٦ : ٢٥٤ ، والبيت في شرح أشعار الهدليين (حقه عبد الستار احمد فراج ومحمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة) : ١ : ١٤٦ .

ولعل حانة أبي مريم السلولي في الطائف مثال واضح على ذلك .

تلك هي حال الطائف في صناعة الخمرة من الأعناب كما يُستخلص ذلك من الأخبار والروايات . وباستطاعتنا أن نشير الى أن عامة الأماكن التي زرعت الأعناب في الجزيرة سوى الطائف كانت تصنع الأعناب خمراً على غرارها .

ب - صناعة الأنبذة وسائر الأشربة :

عرف العرب في جاهليتهم أنواعاً مختلفة من الأشربة ، وكانت خمرة الأعناب أحدها وأحبها إليهم ، كما كانت الوحيدة التي استأثرت بنصيب وافر من الشعر ذكراً ووصفاً . أما سائر الأشربة فلم ترد في الشعر الجاهلي إلا نادراً ، ودليلنا على معرفتها كتب الأشربة التي تناولت ما حرّمه الإسلام من أشربة الجاهلية . وأما المواد التي كانت تصنع منها الخمر حين نزل تحريمها فهي ، الى جانب الأعناب ، التمر والعسل والحنطة والشعير والذرة (٢) .

والواقع أنّ الأشربة التي صنعتها العرب في الجاهلية كانت من التمر والحبوب في معظمها . وقد صنعت الخمرة من الأعناب - كما رأينا - في الأماكن

(١) - سنن النسائي : (٧-٨) : ٢٩٥ ، وسنن ابن ماجة : ٢ : ١١٢١ .

التي زرعت الكروم ، كما صنعت في أماكن أخرى كانت تستورد الأعناب فتعصرها ، أو الزبيب فتنبذه ، بيد أن ذلك لا ينبغي أن عامة أشربة العرب وأنبتهم كانت من التمر في الأساس ، وإن خلطوها بمواد أخرى متنوعة . وحين نزل تحريم الخمر في الإسلام ، كانت الخمر تصنع من البسر والتمر ، وذلك في المدينة على الأقل . وكانت العرب تسمي هذا الشراب الفُضِيخ أو التَّبِيد . وقد سئل أنس ابن مالك عن الفُضِيخ فقال : " ما كانت لنا خمر غير فُضِيخكم هذا الذي تسمونه الفُضِيخ " (١) ، وقال : " لقد حرمت الخمر وكانت عامة خمورهم يومئذٍ خليط البسر والتمر " (٢) ، و " لقد أنزل الله الآية التي حرّم الله فيها الخمر وما بالمدينة شراب يشرب إلا من تمر " (٣) ، و " حرمت علينا الخمر حين حرمت وما نجد - يعني بالمدينة - خمر الأعناب إلا قليلاً وعامة خميرنا البسر والتمر " (٤) .

ولعلّ السبب في قلة صناعتهم لخمر الأعناب في المدينة يرجع الى قلة زراعتهم للأعناب من جهة ، وكثرة التمر فيها من جهة أخرى . فقد كانت خمرة العنب قليلة في الأمكنة التي لا تزرع الكروم لأنها كانت تجيء بها التجر من أمكنة بعيدة ، ولا تصنعها .

والفُضِيخ هو " أن يوءخذ العِدْق وهو نصفان بـسراً ورطباً فيخرج منه الرطب فيلقى في المشعل (٥) ، ويوءخذ البسر فيشعل فيحرقه فـــــــي

(١) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٤٩ ، وسنن النسائي : (٨٧-٨) : ٢٨٨ .
(٢) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٥٠ ، وسنن النسائي : (٨٧-٨) : ٢٨٧ .
(٣) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٥١ .
(٤) - صحيح البخاري : ١٩ : ١٤١ .
(٥) - المشعل بكسر الميم : شيء يتخذة أهل البادية من آدم يخزن بعضه الى بعض كالنطع ثم يثد الى أربع قوائم من خشب فيصير كالحوض ينبذ فيه لأنه ليس لهم حباب . وفي الحديث أنه شق المشاعل يوم خيبر قال : زقاق كانوا ينبدون فيها واحدها مشعل ومشعال : (اللسان / شعل) .

المناحيز (١) ، ثم يطرح مع الرطب لم ينزع له نوى ولا قمع فيملأ من البسبر والرطب والماء " (٢) . أما النبيذ فقد وصفوا صنعه : فقال قوم : " هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل أن يغليا فاذا اشتد ذلك وطلب فهو خمسر .. وقالوا سمي نبيذاً لانهم كانوا يأخذون الغيضة من التمر أو الزبيب فينبذونها في السقاء أي يلقونها فيه . وقال آخرون : النبيذ ما اتخذ من الزبيب والتمر وغيرهما من المستخرج بالماء أو ترك حتى يغلي وحتى يسكن ولا يسمى نبيذاً حتى ينتقل عن حاله الأولى كما لا يسمى العمير خمراً حتى ينتقل عن خلوته ولا تسمى الخمر خلأً حتى تنتقل عن مرارتها ونشوتها ، وإنما سمي نبيذاً لأنه كان يتخذ وينبذ أي يترك ويعرض عنه حتى يبلغ " (٣) . وقد كان الرسول يشرب " الطلب من نبيذ الجر " (٤) ، وبعضهم كان يشرب الطلاء ونبيذ الدن والخوابي (٥) .

وكانت العرب تستخدم معظم أنواع الجرار والأواني والظروف المعروفة لديها في الانتباد ، وكانت تطليها بالزفت والقار والطين حتى يسارع ذلك في إسكار النبيذ فيها ، وقد سموا عملية تطيينها السباع : " والسباع : الطين .. سبعت الحافظ ونحوه ، وكذلك الحب والنق " (٦) قال الشاعر :

كَأَنَّهَا فِي سَبَاعِ الدَّنِّ قِنْدِيدٌ

-
- (١) - المناحيز : جمع منحاز وهو الهاون : المدق : (اللسان/نخر) .
 - (٢) - المخصص : ١١ : ٩٠ .
 - (٣) - ابن قتيبة : كتاب الاثرية (تحقيق محمد كرد علي ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م) : ٢٠ .
 - (٤) - قطب السرور : ٤٦١ .
 - (٥) - المصدر السابق : ٤٦٨ .
 - (٦) - المخصص : ١٠ : ٦٠ .

وتتم عملية السِّياع بواسطة المِسيعة وهي خشبة مملسة يطين بها (١).
والتطيين والسِّياع : الكَم أيضا (٢).

ومن الأواني التي استعملتها العرب في صناعة الخمر ، والتي جاء النهي
عن استعمالها " لمعنى واحد أن النبيذ يشتد فيها حتى يميز مسكراً " (٣) ؛
الحَنْتَم ، والنَّقِير ، والدُّبَاء ، والمَزْفَت ، والمَقْيَر ، والجرّ الأخضر ، (والجرّ
هو كل ما صنع من مَدْر (٤) ، والقُرْع ، وكافة اطروف المزفتة ، والسُّمُزادات
المَجْبُوبَة (٥). أما الحَنْتَم فهي " جرار خضر تفرب الى الحمرة ٠٠ وقال أبو
عبيد : هي جرار حمراء كانت تُحمل الى المدينة فيها الخمر - وفي النهاية :
جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها الى المدينة ثم اتسع فيها فقيس -
للخزف كله حنتم واحدها حَنْتَمَة ، وانما نُهي عن الانتباز فيها لانها تسرع الشدة
فيها لاجل دهنها ، وقيل : لانها كانت تعمل من طين يبعجن بالدم والشعر ، فنهي
عنها ليمتنع من عملها " (٦). والدُّبَاء : " وعاء كان ينتبذ فيه ، فكان النبيذ
فيها يغلي سريعاً ويسكر " (٧) ، ولا نعرف من صفتها شيئاً غير هذا . والقُرْع مثل
الدُّبَاء في شدة إسكاره للنبيذ (٨) ، والمَزْفَت : " وعاء مَزْفَت وجرة مزفتة مطلية
بالزفت ، ويقال لبعض أوعية الخمر : المزفت وهو المَقْيَر . والمزفت الإنساء

-
- (١) - المخصص : ١٠ : ٠٦٠
(٢) - المصدر السابق : ١٠ : ٠٦٠
(٣) - غريب الحديث : ٢ : ١٨٢ ، وانظر قطب السرور : ٤٤٩
(٤) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٦٣ ، وسنن النسائي : (٧-٨) : ٣٠٤ ، ومسند أحمد بن حنبل :
٢ : ١٠٤
(٥) - ذكرت الأوعية التي نهي عن استعمالها في صحيح مسلم : ١٣ : ١٥٨ - ١٦٨ ،
والبخاري : ١٩ : ١٤٤ ، والنسائي : (٧-٨) : ٣٠٤ - ٣٠٨ ، وابن ماجه : ٢ : ١١٢٧ ،
وسنن أبي داود : ٢ : ٢٩٦ ، والترمذي : ٣ : ١٩٥
(٦) - اللسان مادة حنتم .
(٧) و (٨) - سنن النسائي : (٧-٨) : ٣٠٥ - ٣٠٩ ، (واللسان / دبا) .

الذي طلي بالزفت وهو نوع من القار ثم انتبذ فيه ، والزفت غير الفير السذي
تقير به السفن، انما هو شيء أسود تمتن به الزفاق للخمر والخل " (١) . والنقير:
" ما نقب من الخشب والحجر ونحوهما . هو أصل خشبة ينقر فيه فيشتد نبيذه . .
قال أبو عبيد : اما النقير فان أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ثم
يشدخون فيها الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ويموت . وقال ابن الأثير :
النقير أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبد فيه التمر ويلقى عليه الماء فيميسر
نبيذاً مسكراً . . والنقير النخلة تنقر فيجعل فيها الخمر وتكون عروقها شابتة
في الأرض " (٢) . والقرو : " الجذع من النخلة ينقر فينبد فيه " (٣) ، والخرس :
" زعموا جرة ينتبذون فيها " (٤) ، والمركن : " إناء يتخذ كالإجانة . وربما
سمي القرو مرنناً . والقرو : أصل نخلة ينقر فيجعل شبيهاً بالتعار ينتبذ
فيه " (٥) ، والمركن من خرف (٦) ، والتور : " إناء معروف تذكره العرب من صفر
أو حجارة كالإجانة " (٧) ، وقد كان ينتبذ للرسول (ص) في تور من حجارة (٨) .

وقد استعملت العرب كل أنواع الجرار والأوعية في الانتباد ، المطلية
منها وغير المطلية كالحب : " وهي الجرة الضخمة والجمع حباب وحببة " (٩) ،

-
- (١) - اللسان / زفت .
 - (٢) - اللسان / نقير .
 - (٣) - المخصص : ١١ : ٨٣ .
 - (٤) - الاشتقاق لابن دريد : ٣٨٨ .
 - (٥) - الاشتقاق : ٨٧ .
 - (٦) - فقه اللغة : ١٣٨ .
 - (٧) - المعرب للجواليقي : ٨٦ .
 - (٨) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٦٦ .
 - (٩) - المخصص : ١١ : ٨٣ ، وفي المعرب للجواليقي : هو " الذي يجعل فيه الماء
فارسي معرب . قال أبو حاتم : أصله حنّب معرب ، ومنه سمي الرجل حنّباً
لأنهم كانوا ينتبذون في الأحباب " : ص ١٢٠ .

والمشاعل وهي من الجلود ، والمهراس : حجر أو صخرة منقورة تسع الكثير من المياه (١) . كما استعملت الزقاق والظروف المصنوعة من الجلود ، والاسقية من الادم بدليل تصريح الرسول (ص) لها باستعمالها في الانتبـاذ شرط الا يشتد النبيذ أو يتغير طعمه ، وشـرط الا يخلطوا مـواد النبيذ فتسكر (٢) .

والمسكر من الشراب هو " كل ما طلب واشتد وازداد على مـر الايام جودة من نبيذ الزيت المطبوخ ، ونبيذ التمر المطبوخ مفرديين وخليطين " (٣) ، والنبيذ " كل ما نبذ في الدباء والمزقت فاشتد حتى يسكر كثيره ، وما لم يشتد فليس يسمى نبيذا " (٤) . وقد سمي " المسكر من الشراب مسكرا لانه مدخل في السكر ، والسكر ذهب العقل " (٥) .

ولقد عمدت العرب الى الخلط بين المواد التي صنعت منها النبيذ،

-
- (١) - اللسان / هرس .
 - (٢) - المصدر السابق : ١٣ : ١٥٨ - ١٥٩ .
 - (٣) - قطب السرور : ٤٥٥ .
 - (٤) - المصدر السابق : ٤٤٤ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (تحقيق أحمد أمين و ابراهيم الابياري وعبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩) : ٦ :
 - (٥) - كتاب الاشربة لابن قتيبة : ١٠٠ .

وتفننت في ذلك بغية جهل النبيذ أكثر شدة وإسكاراً ، فخلطت بين التمر والبسر ،
(والبسر : التمر قبل أن يربط لفضاضته ، واحده بَـسْرَة) (١) ، وبين البلسح
والتمر ، (والبلح في النخل بمنزلة الحِصْرَم في الكَرَم) (٢) ، وبين الزبيب
والتمر ، (والزبيب جفيف العنب خاصة) (٣) ، وبين البلح والزهو ، (والزهو البسر
إذا اصفر أو احمر) (٤) ، وبين الزهو والرطب ، (والرطب : الواحدة رطبة وهي
البسرة إذا انهضمت فلانت وحلت) (٥) ، كما خلطت بين الزهو والبسر ، وبين
البسر والرطب ، وبين البسر والزبيب ، وبين الرطب والزبيب (٦) . والخليطان
هو الففيخ الذي يحتوي على غير نوع عندما ينتبذ كأن يُجمع بين الزبيب والتمر
وغيره (٧) . وكانوا يستعملون الشَّجِير ، وهو ما بقي من ثفل العنب - فيطرحونه
في النبيذ ليشتد (٨) .

وأنواع الأنبذة التي تتخذ من التمور عديدة (٩) ، فمنها : الففيخ ،
وهو من البسر والرطب بشكل _____ خاص
وشراب الاطسواق : " هو حَلْب النارجيل ، وهو أخبث من كسل
شراب وأشدّه إفساداً للعقل ، وينتبذ من التَّيْبِي والخَوَارِي خليطين - وهما نوعان

-
- (١) - (اللسان/ بسر) .
 - (٢) - الدينوري : كتاب النبات : ٥ : ٥٢ .
 - (٣) - المصدر السابق : ٥ : ٢٠٧ .
 - (٤) - المصدر السابق : ٥ : ٢٠٤ .
 - (٥) - المصدر السابق : ٥ : ٢٠٠ .
 - (٦) - خلط هذه المواد في الأنبذة موجود في : سنن النسائي : (٧-٨) : ٢٨٨ - ٢٩٠ ،
وسنن ابن ماجه : ٢ : ١١٢٥ ، والبخاري : ١٩ : ١٤١ - ١٤٣ ، وصحيح مسلم :
١٣ : ١٥٤ - ١٥٨ ، وسنن أبي داود : ٢ : ٢٩٨ .
 - (٧) - غريب الحديث : ٢ : ١٧٧ .
 - (٨) - المخصص : ١١ : ٧٣ .
 - (٩) - أنواع الانبذة من التمور في المخصص : ١١ : ٩٠ - ٩١ .

من التمر " ، والسُّكَّرُ من التمر والكثوث والأكتوت أيضا فيطرحان سافا وسافا ويصّب عليه الماء وربما خلط به الاتس فزاده شدة " ، وإذا حمل على النبيذ عَسَسِل أو دبس ليقوى سمي فشافقاً " ، و " يسمى نقيع التمر سُكَّرًا لِاسْكَارِهِ ، ولا يسمّى غيرهِ من النبيذ سُكَّرًا وإن كان سُكَّرًا " (١) .

وهناك أشربة تتخذ من العسل والحبوب ، ومنها البَسْبَعُ : وهو نبيذ العسل (٢) ، كان أهل اليمن خاصة يشربونه فيها خمرهم (٣) . وهذا أمر طبيعي لا سيما وأن " السّراة أكثر أرض العرب هلا وعنباً ونيناً وزبيباً وربّما ، واليمن كلّها أرض عسل " (٤) . ومن مناطق اليمن التي ذكر الهمداني شهرتها بالعسل جبل هِنُوم : " وهو أكثر بلاد الله هلاً وعسلاً " ، ربما كان للرجل خمسون جحاً وأكثر (٥) ، ومنها جَبْلان : بلد واح بين وادي زبيد ووادي رَمَع " كثير العسل " (٦) ، ومخلاف حراز وهوّون كثير العسل أيضاً (٧) وكذلك ذكر الهمداني أن الشهد الحَضُوري المَسادّي الجامد الذي يقطع بالسكاكين من أهمّ منتوجات اليمن (٨) .

وفي السراة الحجازية اشتهرت جداب بني شيابة وبلاد هذيل بوفرة العسل .

-
- (١) - العقد الفريد : ٦ : ٣٥٥ ، و ٦ : ٣٦٤ . وكتاب الأشربة لابن قتيبة : ٩٨ ، وقطب السروز : ٤٦٧ .
 - (٢) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٧٠ ، والبخاري : ١٩ : ١٤٤ ، والترمذي : ٣ : ١٩٧ ، والنسائي (٨٧-) : ٢٩٨ .
 - (٣) - قطب السروز : ٤٥٣ .
 - (٤) - الدينوري : كتاب النبات : ٣ : ٢٦٦ .
 - (٥) - صفة جزيرة العرب : ٣١١ .
 - (٦) - المصدر السابق : ٢٠٥ .
 - (٧) - المصدر السابق : ٢٠٩ .
 - (٨) - المصدر السابق : ٣١٦ .

وحدا ب بني شباة " من جبال السراة ينزلها بنو شباة من فهم بين مالك من الازد ، وهذه الحدا ب وراة شحاط ، وشحاط من الطائف ، وحدا بني شباة اكثر السراة عسلا وأجوده . . وكذلك أخبرني بعض الازد أن العسل قرى أضيافهم لكثرتهم عندهم " (١) . واشتهرت بلاد هذيل الواقعة جنوب مكة في سلسلة السراة بوفرة العسل حتى لقد غلبت الصور الفنية والتشبيهات المأخوذة من الاري ، وضع العسل ، وعملية اشتباره ، بالاضافة الى صفاته المتطلة باللون والطعم فسي ديوان الهذليين على غيرها من الصور الشعرية . وقد أسهب غير شاعر من شعراء هذيل في وصف العسل واشتباره ومزاجه بالخمر (٢) . ومع ذلك فقلما نعر على أبيات جاهلية تنطرق الى ذكر الخمرة من العسل وحده ، الا اننا نعر على كثير من الابيات التي نصف خمرة الاعناب وهي تمزج بالعسل .

قال أبو ذؤيب الهذلي :

فَأَطِيبُ بِرِاحِ الشَّامِ وَهَذِهِ مَعْتَقَةٌ صِهْبَاءُ وَهِيَ شِبَابُهَا (٣)

-
- (١) - كتاب النباب : ٣ : ٢٦٦ ، ومعجم ما استعجم : ٢ : ٤٢٨ .
(٢) - لهذا الغرض راجع قصائد لابي ذؤيب الهذلي : شرح اشعار الهذليين : ١ : ٤٨-٥٣ ، و ١ : ١٤٠ - ١٤٧ ، ولساعدة بن جوية : ٣ : ٧-١١ ، هذا على سبيل المثال لا الحصر .
(٣) - شرح اشعار الهذليين : ١ : ٥٤ ، وهذه اي الشهدة من الحمل .

ولكن العرب لم تسمّ الشراب المصنوع من العسل خمرا وإنما سمته نبيذا وهو البتع بعينه . ويتفق ما جاء من وصف في هذه القصيدة مع تفسير الجاحظ للآية : ﴿ يخرج من بطونها شراباً ﴾ حيث قال : " فالعسل ليس بشراب ، وإنما هو شيء يحول بالماء شراباً ، أو بالماء نبيذاً ، فسماه كما ترى شراباً إذ كان يجسيء منه الشراب " (١) .

والى جانب حداب بني شباية وبلاد هذيل ، اشتهر غزوان من جبال الحجاز بأنه " أمنعها وأكثرها صيدا وعملا " (٢) . واشتهرت به منازل بني سليم في السوراقية والهباة بين مكة والمدينة . وكما نلاحظ في كتب الفتوح ، وفيما يتصل بمسألة الزكاة أن أهل مكة والطائف كانوا أهل عمل : " فعن عمرو بن شعيب أن عاملاً لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على الطائف كتب إليه : أنّ

(١) - الجاحظ : كتاب الحيوان : ٥ : ٤٢٥ .

(٢) - صفة جزيرة العرب : ٢٨٨ .

أصحاب العسل لا يرفعون اليد عن كسوا يحرثون أرض رسول (ص) وهو من كسب
عصرة زقاق زق . . . (١) . هذا . ويرى الجاحظ أن في كثرة ذكر العسل في القرآن
الكريم دلالة واضحة على وفرة عند العرب . ومن تفصيلهم له آنذاك (٢) . دليل
ذكره في وصف الجنة، والقرآن قد خاطب سبب عند ذكر العسل " أهسسب
بهاة وهذيلاً وضواحي كنانة وهو لاء أصحاب العسل (٣) .

ومن الأشربة المتخذة من العسل (٤) التصوير (٥) . والفقد : " ضرب من شراب
العسل سمى بنسب يلقى فيه يقال له الفقد . ويسمى بالفارسية فحكست . وقيل
يتخذ من الزبيب والعسل . ويقال إن العسل يسد ثم يلقى فيه الفقد . وهو
شبه الكشوث " . والبتع ضرب من شراب العسل . وقد تقدم أنها الحمص
بعينها (٦) .

أما الحبوب فكانت متوافرة في اليمن، وفي شمال الحجاز بشكل أساسي .
ولو فرثها كان من الطبيعي أن يجعل منها العرب مادة للانشاد إضافة إلى
الأعشاب والزبيب والتمور . فعن الرسول (ص) أنه قال : " إن من الحنطة حمراً .
وممن الزبيب حمراً ، ومن النمر حمراً . ومن العسل حمراً " (٧) .

(١) - البلاذري : كتاب فتوح البلدان : ٦٧ : ١ - ١١ : ٦٩ .

(٢) - الحيوان : ٥ : ٤٣٠ .

(٣) - المصدر السابق : ٥ : ٤٢٦ .

(٤) - أنواع أشربة العسل في المخصص : ١١ : ٩١ .

(٥) - جاء في غريب الحديث : ١٧٩ : ٢ . وقد أخبرني محمد بن كثير أن لأهل اليمن
شرباً يقال له الصف وهو أن يشدخ العنب ثم يلقى في الأوعية حتى يخلصوا .

وفي المخصص ١١ : ٩١ إن الصف من العسل .

(٦) - المخصص : ١١ : ٩١ .

(٧) - سنن ابن ماجه : ٢ : ١١٢١ .

والمزَّر هو نبيذ الذرة (١) ، وقيل شراب الشعير (٢) . ويبدو من الخلاف في تحديد مادته أنَّ عرب الحجاز لم تعرف المزَّر - أو على الأقل لم يسموا شراب الذرة أو الشعير مَزْرًا على غرار أهل اليمن . فالبتة والمزَّر قد اختلفت بهما أهل اليمن . وقد روي في الحديث أنَّ الرسول (ص) بعث أحدهم واليا على اليمن فقال له : " يا رسول الله إنَّ بها أشربة فما أشرب وما أدع ؟ قال : وما هي ؟ قلت : البتة والمزَّر ، قال : وما البتة والمزَّر ؟ قلت : أما البتة فنبيذ العسل ، وأما المزَّر فنبيذ الذرة " (٣) . هذا وقد ورد في رواية الحديث ذاته في مكان آخر : " المزَّر وهو من الذرة والشعير " (٤) . وفي المخصص أنَّ ما اتخذ من الحنطة فهو المزَّر ، وما اتخذ من الشعير فهو الجعة ومن الذرة السكركة والسقَّرقة أعجمي " (٥) ، وهي الغبيراء : " ضرب من الشراب تتخذة الحيش من الذرة وهي تسكر ويقال لها السكركة . وفي الحديث : " إياكم والغبيراء فانها خمرة العالم " (٦) . ويدل الحديث على شيوعها في العرب وغيرهم من الشعوب القريبة اليهم كالحيش . وفي كتاب الأشربة : " ولأهل اليمن أيضا المزَّر وهو مخصص الشعير " (٧) ، وفي غريب الحديث : " المزَّر وهو من الذرة والجعة وهي نبيذ الشعير " (٨) .

-
- (١) - سنن النسائي : (٧-٨) : ٢٩٩ .
 - (٢) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٧٠ .
 - (٣) - سنن النسائي : (٧-٨) : ٢٩٩ .
 - (٤) - صحيح مسلم : ١٣ : ١٧١ .
 - (٥) - المخصص : ١١ : ٩١ .
 - (٦) - المعرب للجواليقي : ٢٣٦ .
 - (٧) - ابن قتيبة : الأشربة : ٩٩ .
 - (٨) - غريب الحديث : ٢ : ١٧٦ .

ومن أنبذة الحبوب المختلفة : الكُشْكُ وهو ماء الشعير (١) ، والكَيْسِيس : وهو شراب يتخذ من الذرة والشعير ويسميه أهل الحجاز سَكْرًا (٢) ، والفُقَاع : شراب يتخذ من الشعير سمي به لما يعلوه من الزيد (٣) ، وهو من غير المطبوع ، كما أنه أشد إسكرًا من الخمر وأصعب خمارًا وأبطأ تحللًا (٤) . والسُقْرُقُع ، وقد مر ، وهو " شراب لأهل الحجاز من الشعير والحبوب وهي حبشية وليست من كلام العرب " (٥) . والسَّوِيْق : شراب كانوا يتخذونه من الخنطة والشعير ، وبه سميت غزوة السَّوِيْق (٦) .

ونعرف من المصادر أن العرب انتبذت نوعًا واحدًا على الأقل من النباتات هو السُّكْبُ : " وهو شجر طيب الريح كأن ريحه الخلق ينبت مستقلًا على عسرق واحد ، له زغب وورق مثل ورق الزعتر إلا أنه أشد خضرة ينبت في الأودية وييسه لا ينفع أحدًا ، وله جنى يؤاكل ويصنعه أهل الحجاز نبيذاً ، ولا ينبت جناه فسي عام حبا إنما ينبت في أعوام السنين وقيل له نور أبيض ، وقيل أصفر" (٧) . ولا أدري إذا كانت العرب تجعل منه نبيذاً مسكراً أم أنها كانت تضيفه إلى الأنبذة لتطيبها .

(١) - المخصص : ١١ : ٩١ .

(٢) - المصدر السابق : ١١ : ٩١ .

(٣) - المصدر السابق : ١١ : ٩١ .

(٤) - قطب السرور : ٤٤٩ .

(٥) - المخصص : ١١ : ٩١ .

(٦) - الأغاني : ٦ : ٣٣٦ ، " كانت هذه الغزوة بعد وقعة بدر وذلك أن أبا سفيان نذر الأيمن رأسه من جنابة ولا يشرب خمراً حتى يفتزو الرسول . فخرج فسي عدة من قومه ولم يصنع شيئاً ، فعيرته قريش بذلك وقالوا : إنما خرجتم تشربون السويق " . وتدلل هذه الرواية أن السويق لم يكن شراباً مسكراً فقد حرّمه أبو سفيان حتى الشار .

(٧) - اللسان (مادة : سكب) .

هذه هي أنواع الأشربة من التمر والعسل والحبوب والنبات التي تعاطتها العرب ، وأطلقت عليها كلمة أشربة أو أنبذة ، وخصت خمر الأعناب بلفظ الخمر . ويدل هذا التنوع في المواد التي صنعت منها العرب أشربتها على ولع القسوم بالأشربة المسكرة ، وتفننهم في صناعتها وتعتيقها ، وإضافة المواد المختلفة إليها إما لزيادة إسكارها أو لتطيبها . وكذلك يدل استخدامهم لكافة أنواع الأواني المتاحة ، والظروف الجلدية ، والمشاعل في عملية الانتباز على شيوخ صناعتها في البيوت ، والخيام في البادية وفي الحانات .

هذا و " قد فرقت العرب بين عصير العنب وغيره من الأشربة ، فسموه خمراً دون سائر الأشربة . قال القلمس بن أمية بن عوف الكاني :

فَقَلْتُ دَعِ التَّقْيِيدَ فِي الشُّرْبِ لِلْخَمْرِ	نَهَانِي أَمْرٌ عَنِ لَذَّتِي أَنْ أَنَالَهَا
سِوَى شُرْبِهَا صُهْبَاءُ طَيِّبَةٌ النَّشْرِ	تَقَمَّتْ لَذَا ذَاتِي فَلَمْ تَبْقُ لَذَّةٌ
بِسُورَتِهَا يَهْدِي مِرَارًا ، وَ لَا يُدْرِي	إِذَا مَا حَسَاهَا الْمَرْءُ ظَلَّ مَرْنَحًا
وَلَا أُشْتَهَى شُرْبُ النَّبِيدِ مِنَ التَّمْرِ	أَرُوِي بِهَا نَفْسِي فَتَحِيًّا بِشُرْبِهَا

ففرق بينها وبين النبيذ " (١) .

قد تكون هذه الأبيات الوحيدة مما وصلنا من الشعر الجاهلي التي تعرضت لذكر نبيذ التمر ، فالعرب قد فضلت خمر الأعناب على غيرها من الأشربة ، وخصتها بنصيب وافر من الذكر في الشعر وصفا ومدحا ، ولكن حبها للأشربة دفعها إلى تعاطيها بكل أنواعها وأصنافها ، وبقدر ما توفرت لديها . وفي حديث الأعشى

(١) - قطب السرور : ٤٧٣ .

أنه كان ببيتته بمنفوحة اليمامة ، وكان يطعم الشبان ويسقيهم الفُضِيخ . . فلما ذهب إليه رسول المحلق بالهدايا ، واشبه الفتيان ، وقالوا : " غبت عننا فاطلت الغيبة ثم اتيناك فلم تطعمنا لحماً ، وسقينا الفُضِيخ واللحم والخمر ببابك . . لا نرضى بذلك أبداً " (١) . وهذا دليل على إشارتهم لخمير الأعنساب على غيرها من الأشربة الراهنة .

(١) - الاغانى : ٩ : ١١٣ . وكان الاعشى قد مدح المحلق في قصة طويلة .

تجارة الخمر في الجزيرة العربية

كانت الخمرة احدى أهم المواد التي تحملها القوافل خلال العملية التجارية البرية الهامة التي سيطرت عليها قريش نظراً لشدة إقبال العرب على الخمر .
والحق أن الخمر التي حملتها القوافل من البلاد المختلفة كان لها نصيب كبير من الشعر ، وكان رحلتها الطويلة المحفوفة بالمخاطر من مخافة السطو ، ومشقة السفر في الصحاري والمفازات حتى وصولها سالمة الى أسواقها وأهدافها استأثرت بالوصف شعراً ، وأغرت خيال الشعراء بطريقة مميزة لم تستطع خمور الطائيف أو غيرها من الخمر القريبة المتوفرة أن تضاهيها أو تحل محلها .

وقد كانت التجارة البرية التي سيطرت عليها قريش بعد عهد طويل من السيطرة اليمنية على التجارة براً وبحراً من أهم الأسباب التي ساعدت على شيوع الخمر عند العرب ، وتعرفهم إلى هروبها المتعددة من حيث التعتيق والتطبيب .
ولكن وصول تلك الأنواع من الخمر إليهم من مصادرها البعيدة كان أمراً صعباً نظراً للمفازات الشاسعة المجذبة ، والخوف من إغارات اللصوص وقطاع الطرق ، وضرورة تأمين مناخات للقوافل للاستراحة والتزود بالمياه . ولهذا لم تصبح التجارة البرية ممكنة إلا بفضل العهود وصكوك الأمان من أصحاب المنازل والمرايح التي تمر بها القوافل ، وكذلك من البلاد البعيدة التي قصدتها العرب في تجارتها . وهذه العملية هي التي أطلق عليها اسم الخفارة ، وقد شكّلت الغطاء الأمني للنشاط التجاري واستقراره وتنظيمه . وهذا الغطاء قد أمّنه بدءاً أصحاب الإيلاف ، وفيهم نزلت الآيات :

﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ (١)

وهم أربعة : هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف (١) . وكانت متجرر هاشم الى الشام ، وعبد شمس الى الحبشة ، ومتجر المطلب الى اليمن ، ومتجر نوفل الى العراق ، وكان " كل من هؤلاء رئيس من يخرج معه ممن يتجر في وجهه . وكان أخذهم الإيلاف من الملوك ومن أشرف القبائل " (٢) . وكانت التجارة مسمع فارس هي العائق الوحيد ضمن تلك الشبكة التجارية الواسعة التي نسجتها قريش في القرن الميلادي السادس ، وهذا ما تولى أمره فيما بعد غيلان بن سلمة الثقفي من الطائف ، وكان قد خرج مع أبي سفيان في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة ، فدبر من ثم أمر تجارة قريش مع كسرى في حديث طويل (٣) .

وإذا كان الأدم والزبيب والمنسوجات الحجازية من أهم المواد التي حملتها قوافل قريش الى الخارج ، فإن الخمرة - تحديداً - كانت من أهم المواد

(١) - المحبر لابن حبيب (صحته ايلزه ليحتن شتير ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م) : ١٦٢ ، وفي المنمق لابن حبيب (صحه خورشيد احمد فاروق باشراف محمد عبد المعيد خان : حيدر آباد ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) : ٣١ - ٣٣ : وفي رواية ترجع الى ابن الكلبي : " ان قريشاً كانت تجارا ، وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ، انما يقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ، ويبيعون من حولهم من العرب ، فكانت تجارتهم كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر . وكان هاشم فيما زعموا أحسن الناس عصباً وأجمله فذكر لقيصر . . وبلغ ذلك قيصر فدعا به . . فقال له هاشم : أيها الملك إن لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً توهمهم ، وتوهم تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وشيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم . فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مرّ بحيّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً ، وإيلاف ان يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف وعلى أن قريشاً تحمل لهم بضائع فيكفونهم حملانها ويردون إليهم رأس مالهم وربحهم " .

(٢) - المحبر لابن حبيب : ١٦٣ .

(٣) - الاغانى : ١٣ : ٢٠٧ - ٢٠٩ .

التي حملتها قريش الى ديارها . قال عمرو بن معديكرب (١) بَعِيدَ إِسْلَامِهِ :

وَكَاثَتْ قَرِيشٌ تَحْمِلُ الْخَمْرَ مَرَّةً
تِجَارًا فَأَضَحَّتْ تَحْمِلُ السَّمَّ مُنْقَعًا

وهذه الاهمية التي كانت للخمر ، ولرحلتها عبر محطات الخفارة الضرورية هي التي عبر عنها أبو ذؤيب الهذلي حين وصف رحلة الخمر من الشام الى أسواق العرب :

تَوَصَّلَ بِالرَّكْبَانِ حِينَا وَتَوَلَّفَ الْجَوَارُ وَيَغْشِيهَا الْأَمَانُ رَبَابَهُمَا (٢)

ولأبي ذؤيب قصيدتان متميزتان بوصف رحلة الخمر من الشام الى الأسواق يصف في الأولى الخمرة في القلال تأتي بها القافلة من أذرعات وبصرى وغزة الى عسفان ثم الى مجنة ، ثم إلى ذي المجاز ، وأخيرا الى منى ، قال (٣) :

فَمَا فَضْلَةٌ (٤) مِنْ أذْرَعَاتٍ هَوَتْ بِهَا
سَلَاةٌ رَاحَ ضَمْنَتْهَا إِدَاوَةٌ (٨)
تَرَوُّدَهَا مِنْ أَهْلِ بَصْرَى وَغَزَّةٍ
فَوَافَى بِهَا عُسْفَانَ ثُمَّ أَتَى بِهَا
مَذْكَرَةٌ (٥) عُنْسٍ (٦) كَهَادِيَّةِ الضُّحْلِ (٧)
مَقْبِيرَةٌ رَدْفًا لِمَوْخِرَةِ الرَّحْلِ
عَلَى جَسْرَةٍ (٩) مَرْفُوعَةِ الذَّيْلِ وَالْكِفْلِ
مَجْتَةٌ تَصْفُو فِي الْقِلَالِ وَلَا تَغْلِي

(١) - ديوانه : ١٤٤ .

(٢) - شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٦ .

(٣) - المصدر السابق : ١ : ٩٣ .

(٤) - فضلة : فضلة فضلت من خمر عند تاجرها .

(٥) - مذكرة : ناقة خلقتها خلقة الفحل .

(٦) - عنس : شديدة صلبة .

(٧) - هادية الضحل : صخرة تكون في الماء يمر عليها الماء .

(٨) - اداوة : وعاء للخمر .

(٩) - جسرة : جسيمة .

- وَرَّاحَ بِهَا مِنْ ذِي الْمَجَارِ عَشِيَّةً
فَجَعْنَ وَجَاءَتْ بَيْنَهُنَّ وَإِنَّهُ
فُجَاءَ بِهَا كَيْمَا يُوفِي حَجَّهَ
فَبَاتَ بِجَمْعٍ ثُمَّ تَمَّ إِلَى مَنَى
فُجَاءَ بِمَرْجٍ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ
- يَبَادِرُ أَوْلَى السَّابِقَاتِ إِلَى الْحَبْلِ (١)
لِيَمْسَحَ ذَفْرَاهَا تَزَعْمُ كَالْفَحْلِ (٢)
نَدِيمٍ كِرَامٍ غَيْرِ نِكْسٍ وَلَا وَغْلٍ (٣)
فَأَصْبَحَ رَادًا يَبْتَفِي الْمَرْجَ بِالسَّحْلِ (٤)
هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ (٥)

وفي القصيدة الثانية يسرد قصة رحلة الخمر من الشام الى عكاظ في ديار
ثُقيف . فالخمر تجيء في القوافل من الشام لها راية ليعرفها بها كرام القوم ،
فتصل عكاظاً أرض ثُقيف ، وتحتار ثُقيف في طريقة استبائها ، لأنهم كانوا في
الأشهر الحرم لا يستطيعون ان يغتصبوها دون رضى تاجرها ، وهي غالية الثمن ،
واللآفت للنظر في هذه القصيدة أن ثُقيفاً وهي صاحبة الأعناب والخمر تحتال في
استبائها هذه الخمر الآتية من أرض بعيدة ، فتغلبها على أمرها ، وتجبرها على
دفع النفيس من الثمن : قال (٦) :

- (١) - يريد يبادر الذين يقفون بعرفة حتى يبيع خمره .
(٢) - ذفراها : ما نتأ في القفا من الادنين .
(٣) - النكس : الضعيف . الوغل الذي يدخل على القوم يشربون ليس منهم .
(٤) - بات بجمع : يعني المزدلفة ، ثم أتى منى . وراذ يريد راداً .
(٥) - الضحك : هنا شدة بياض العسل .
(٦) - شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٤ . الراح الخمر . سبيئة أي مشتراة . يقول : لها
علم يهدي الناس والعقاب الراية . العقار : التي تعاقر الدن : كمساء
النبيء : أراد انها صافية . الخمطة : التي قد اخذت طعم الادراك ولم تدرك .
والخلة : الحامضة . شهابها : نارها وحدثها . توصل . . يعني الخمر اذا
رأت ركباً ، وانما يريد أهلها ، توصل بهم من بلد الى بلد . وتوولف بين
الجيران ، يحب بعضهم بعضاً . وكانوا اذا ارادوا سفراً ضربوا بالققداح
البيض والسود ، فاذا خرجت البيض ساروا نهاراً وان خرجت السود ساروا ليلاً
والرَّبَابُ القِدَاحُ . زيزاء الاشاء : زيزاء : ظهر منقاد غليظ مرتفع من الارض
الواحدة زيزاءة . الاشاء : النخيل . تكفت : تقبض .

وَأَلَّا الرِّيحَ رَاحَ الشَّامِ جَاءَتْ سَبِيئَةً
عُقَارٌ كَمَا نِ السَّيِّءِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ
تَوَقَّلَ بِالرَّكْبَانِ حِينًا وَتَوَلَّى لَفَ ال
فَمَا بَرِحَتْ فِي النَّاسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ
فَطَاقَ بِهَا أَبْنَاءُ آلِ مُعْتَسِبٍ
فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ أَحْكَمْتَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ
أَتَوْهَا بِرِيحٍ حَاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ

لَهَا غَايَةٌ تَهْدِي الْبِحْرَامَ عِقَابِيهَا
وَلَا خَلَّةٌ تَكْوِي الشَّرِيبَ شَهَابِيهَا
حَوَارٍ وَيَعِشِيهَا الْأَمَانَ رِيَابِيهَا
ثَقِيْفًا بَزِيرَاءِ الْأَشْيَاءِ قِيَابِيهَا
وَعَزَّ عَلَيْهِمْ بَيْعُهَا وَاعْتِمَادِيهَا
يَجِلُّ لَهُمْ أَكْرَاهِيهَا وَغَلَابِيهَا
تَكْفَتْ قَدْ حَلَّتْ وَسَاغَ شَرَابِيهَا

وأكبر الظن أن بيع الخمر لم يكن قاصراً على المواضع التي ذكرها أبو ذؤيب في قصيدته ، وإنما كانت تحمل أيضاً إلى الأسواق الداخلية في جزيرة العرب ، وهي ثلاث عشرة سوقاً كانت تقوم تبعاً وعلى مدار السنة تقريباً : " فأولها قياماً سوق دومة الجندل وهي على ثلاث مراحل من دمشق ٠٠ ثم صحار ثم دبائم الشحر ثم رابية حفرموت ثم ذو المجاز ثم نطاة خيبر ثم المشقر ثم حجر باليمامة ثم منسى ثم عكاظ ثم عدن ثم صنعاً " (١) . وقد كان التجار يأتون هذه الأسواق فيتبايعون فيها ، ولعل الخمرة التي كانوا يجيئون بها من مصادرها البعيدة من أهم السلع التي توافرت في هذه الأسواق .

وكانت الحانات التي انتشرت في الجزيرة كالمطائف والمدينة وغيرها أهم مجال لنشر الخمرة بين العرب بعد الأسواق الجاهلية . وفي هذه الحانات ، كما في الأسواق ، ارتبطت تجارة الخمر بالجواري والقيان اللواتي عملن فيهن ساقيات ومعنيات في سبيل إطراب الشرب وتأمين اللهو لهم . وفي الأسواق كان

(١) - المروزي : الأزمنة والامكنة ٢ : ١٦١ - ١٦٢ ، والمحرر : ٢٦٣ .

للخمارين حوانيت يبيعون فيها الخمر ، كما كان فيها بيوت لمن يمارس البغاء ، وكانت لهن رايات يعرفن بها (١) .

ولما كانت الخمرة تجارة رابحة بسبب إقبال الناس عليها ، واتصالها بغيرها من اللذات ، تهددت ضروب الناس الذين اتجروا بها ، ولم تقتصر تجارتها على نوع واحد من التجار . ولعل الربح الوفير الذي كانت تؤمنه تجارة الخمر كان محط إغراء التجار من عرب وعجم ونصارى ويهود ونبط . وأكثر من يذكرون في الشعر الجاهلي من تجار الخمر هم من اليهود : قال عدي بن زيد (٢) :

صَانَهَا التَّاجِرُ الْيَهُودِيَّ حَوْلِي مِثْلَ فَضِّ الخِتَامِ عَنْ حَاجِبِ الدِّمِ
مِنْ فَاذِكِّي مِنْ نَشْرِهِا التَّعْتِيْقِ نِ وَحَانَتْ مِنْ الْيَهُودِيِّ سُبُوْقِ

وفي التجار النبط قال المتنخل الهذلي (٣) :

يُمَشِي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنْ الخِرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القَطَاطِ

وقال حسان بن ثابت (٤) :

لِكُمَيْتٍ كَأَنَّهَا دَمٌ جَسُوفٍ عَتَقْتِ مِنْ سَلَافَةِ الْاَنْبَاطِ

-
- (١) - تاريخ العرب العاربة من القحطانية من كتاب نشوة الطرب في جاهلية العرب لابن سعيد المغربي (تحقيق مانفرد كروب ، رين ، ١٩٧٥) : ١ : ٥٠ .
(٢) - ديوانه (تحقيق محمد جبار المعيب ، بغداد ، ١٩٦٥م) : ٧٧ ، وهناك شواهد أخرى على اتجار اليهود بالخمر في الشعر منها قول قيس بن الخطيم "نمتها يهود الى قبة" (ديوانه : ٨٠) ، وقول المرقش الاصغر "سباها رجال من يهود" (المفضليات ١ : ٤٩٥) ، وقول الأعشى "وصهبا طاف يهوديها" (الصبح المنير : ٢٨) .
(٣) - شرح اشعار الهذليين ٣ : ١٢٦٨ : يقول : أعجمياً من نبط الشام يقال لهم الصراصة .
(٤) - ديوانه : ١ : ٩١ .

وفي التجار الاعاجم قال أعشى نهشل : (١)

وَقَدْ شَوَى نِصْفَ حَوْلٍ أَشْهَرًا جَدًّا
حَتَّى تَنَاوَلَهَا صُهْبَاءٌ صَافِيَّةٌ
بِبَابِ أَفَانٍ يَبْتَارُ السَّلَامِيَّةَ
يَرشُو التَّجَارَ عَلَيْهَا وَالتَّرَاجِيمَا

وبشير الأعشى الى التاجر الأعجمي بصفة " أزيق " (٢) .

ولم تكن تجارة الخمر تنحصر بالأسواق والحانات ، وانما كان عدد كبير من التجار يجوب منازل العرب وأحياءها ، يحملون معهم الخمر في القلال ، فاذا وصلوا منازل قوم نصبوا غاية لهم فيعرفون بها أنهم تجار خمر . قال عنتره (٣) :

زَبْدٌ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا
هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مَلُومٌ

وقال لبيد : (٤)

بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ
قَدِيتِ سَامِرَهَا ، وَغَايَةَ تَاجِرِ
أَغْلِي السَّبَاءِ بِكُلِّ أَدْنَى عَاتِقِ
طَلَقَ لَدِيدٌ لَهْوَهَا وَنِدَامَهَا
وَأَفِيَّتْ إِذْ رَفَعَتْ رَعَزَ مَدَامَهَا
أَوْ جَوْنَةَ قَدَحَتْ وَفَضَّ خِتَامَهَا

(١) - الصبح المنير : ٣٠٧ ، وهو الأسود بن يعفر .

(٢) - الصبح المنير : ٥١ .

(٣) - شرح القصائد العشر الطوال للتبريزي (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م) : ٢٦٩ : الريد : السريع الضرب بالقداح . هتاك غايات التجار : " الغايات العلامات والرايات ، وأراد التجار الخمارين ، ومعناه انه يأتي الخمارين فيشتري كل ما عندهم من الخمر ، فيقلعون راياتهم ويذهبون ، لذلك هتكها " .

(٤) - ديوانه : ٣١٣ - ٣١٤ .

وكان عدد كبير من هؤلاء التجار يختص بسيد من سادة العرب فينزل عنده دائماً، ويظل حتى ينفد ما معه من خمر (١) .

أما مصادر الخمر فهي متشعبة ومتنوعة كتشعب الشبكة التجارية التي أقامتها قريش مع العالم المحيط بها . ولم تنحصر تجارة الخمر بالقوافل البرية وحدها . ففي الشعر الجاهلي ما يلمح الى أن الخمرة كانت تأتي بها السفن من أمكنة بعيدة ولم تقتصر تجارتها على وسائل التجارة البرية من قوافل كبيرة ، وتجار فرديين يتنقلون بين المدن ومنازل العرب ، قال لبيد : " عَتِيقٌ سَلَفَاتٍ سَبَّتْهَا سَفِينَةٌ " (٢) .

ومن أهم الخمر - بحسب مصادرها - الشامية ، والعراقية ، والفارسية ، والفلستينية ، وغيرها ، فمن الخمر الشامية خمور أذربعات والأندرين وبصرى ، والبقاعية وبنات مشيع وبيت رأس وجدر وصرخد ومآب ومقد . ومن الخمر العراقية خمر بابل ، وبناقيا والخص ، والصليفية وصريفون . ومن الخمر الفلستينية : خمر بيسان والفلستية وخمر لُد . ومن الخمر الفارسية : خمر خسرو شاه والفارسية وجيلان . ومن خمور حوض الفرات : خمر الحيرة وخمر عانة (٣) .

وكانت أثمان الخمر مرتفعة اذا ما قيست بغيرها من السلع . وعلى الرغم من أن المصادر لم تتأ على ذكر أثمان محددة للخمر في الجاهلية ، إلا أننا نستطيع ان نستنتج من الشعر والروايات أن غلاء الخمر المستوردة بالنسبة لغيرها من السلع كان امراً موءكداً ومن الموءكد أيضاً أن العرب افتخرت باستياء الخمر على غلائها وعزتها ، وذلك إما بدفع ثمنها نقداً ، او بمقايضتها بأفضل النيساق ، والبهران على ما لها من أهمية في حياة العرب في الجاهلية . وقد وردت مقايضة

(١) - الاغانى : ١٤ : ٧١ .

(٢) - شرح ديوان لبيد : ٢٥٨ .

(٣) - اسماء الخمر بحسب مصادرها وصفاتها مشروحة في ملحق خاص في آخر الرسالة

مع شواهد من الشعر الجاهلي .

الخمرة بالبعير والساقية كثيرا في الشعر الجاهلي .

قال طرفة :

لَا تَعْرِزُ الْخَمْرُ إِنْ طَافُوا بِهَا يَسْبَاءُ الشُّوْلُ وَالْكُومُ الْبِكْرُ (١)

وقال النمر بن تولب : (٢)

قَامَتْ تَبْكِي إِنْ سَبَاتَ لِفَتْيَا زَقَا وَخَايِبَةٌ بَعُودَ مَقْطَعِ
لَا تَجْزَعِي إِنْ مَنَسْنَا أَهْلَكْتَهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي

وقال خفاف بن ندبة : (٣)

لَبَّاتَتْ تَفْرِبُ الْأَمْثَالَ عَنِّي عَلَى نَابِ شَرِبَتْ بِهَا وَيَكْرُ

وقال عمرو بن قميئة (٤) :

يَا رَبِّ مَنْ أَسْفَاهُ أَهْلَامُهُ أَنْ قِيلَ يَوْمًا إِنْ عَمِرَا سَكُورُ
إِنْ أَكَّ مَشْكَرًا فَلَا أَشْرَبُ وَغَلَا وَلَا يَسْلُمُ مِنِّي الْبَعِيرُ

وفي الروايات أن أربعة من الشعراء هم الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الاهم والمخبل السعدي وعبد بن الطيب اجتمعوا قبل ان يسلموا وبعد مبعث النبي " فنحروا جزورا واشتروا خمرا ببعير " ، ثم تحاكموا الى اول من يطلع عليهم في جودة شعرهم (٥) .

-
- (١) - ديوان طرفة بن العبد (تحقيق ماكس سلفسون ، شالون ، باريس ، ١٩٠٠ م) : ٥٩ :
الشول : الشائلة ، والكوم : العظيمة السنام ، والبكر الميكرة باللفاح .
- (٢) - ديوانه : ٧١ .
- (٣) - ديوان خفاف بن ندبة (حققه نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٧) : ٥٠ .
- (٤) - ديوان عمرو بن قميئة (تحقيق خليل ابراهيم العطية ، بغداد ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) :
١٢٤ .
- (٥) - الاغانى : ١٣ : ١٩٨ .

وقد كانت العرب تقايض الخمرة بسلع أخرى عندما تترتد الأسواق في تجارة .
وفي الروايات أخبار طريفة حول هذه المقايضات ولكن المعول عليها قليل إذ غالباً
ما تساق في سبيل الإمتاع لا أكثر ، ولكن ذلك لا يمنعنا من الاستنتاجات العامة ،
ومنها أن أعرابياً اشترى خمراً بجزء صوف (١) . ومنها أن رجلاً " من بني جشم بعث
امراته - واسمها عبله بنت عبيد بن خالد . . الى عكاظ بانحاء سمن تببيعها له
فيها ، فباعته السمن وراحلتين وشربت بثمانها الخمر ، فلما نفذ الثمن رهنست
ابن أخيه وهربت " (٢) . وهذه الرواية - على غرابتها - دليل على غلاء الخمر
في الجاهلية إذ كيف يمكن لامرأة ان تشرب هذا المقدار من الخمر الا ان تكون
السلع التي قايضت بها زهيدة الثمن بالنسبة للخمر .

وقد ذكر غير شاعر غلاء الخمر في شعره ، وفخره باستبائها على غلائها ،
وبدله المال في سبيل الحصول عليها بغير مساومة مع تاجرها ، قال مالك بن
أبي كعب : (٣)

بِعِيرِ مِكَاسٍ فِي السُّوَامِ وَلَا عَصَبِ

بُعِثْتُ إِلَى حَانُوتِهَا فَاسْتَبَاتَهَا

وقال عبيد بن الأبرص (٤) :

تَقَّةٌ شَمُولٌ مَا صَحُونَا
عَظْمُ التَّلَادِ إِذَا انْتَشِينَا

نُغْلِي السَّبَاءَ بِكُلِّ عَا
وَنُهَيْنُ فِي لَدَاتِهِمَا

-
- (١) - الامالي للقالبي (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦ م) : ١ : ١٥٠ .
(٢) - اسواق العرب في الجاهلية والاسلام (ط . دمشق ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) : ٢٩٠ ،
ولم يذكر مصادره .
(٣) - الاغانى : ١٦ : ١٧٥ .
(٤) - ديوانه : ١٤٣ . والعاتقة : الزق الواسع .

وقال لبيد (١) :

وَأَرْبِحُ التُّجْرَ إِنْ عَزَّتْ فِضَالُهُمْ حَتَّى يَعُودَ سَلِيمِي حَوْلَهُ نَفْسُرٌ

وقال (٢) :

أُغْلِي السَّبَاءُ بِكُلِّ أَدَكْنٍ عَاتِقٍ أَوْ جُونَةٍ قَدَحَتْ وَفَضَّ خَتَامُهَا

ومن الشعراء من ذكر النقد صراحة في ثمن الخمر ، ولكنه لم يحدد ثمنها :

قال خفاف بن ندبة : (٣)

أَلَا تِلْكَ عِرْسِي إِذَا أَمْعَبَسَتْ أَسَاءَتْ مَلَامَتُنَا وَالْإِمَارَا
وَقَالَتْ أَرَى الْمَالَ أَهْلَكَتَهُ وَأَحْسَبُهُ لَوْ تَرَاهُ مَعَارَا
وَيَمْنَعُ مِنْهَا نَمَاءً إِلَّا فِئَالٍ نَسِيءُ الْقِدَاحِ وَنَقْدِي التَّجَارَا

وقال عنتره : (٤)

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمَعْلَمِ
بِزَجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أُسْرَةٍ قَرَنْتُ بِأَزْهَرٍ فِي الشُّمَالِ مَفْدَمِ

وللاعلى قصيدة يروي فيها قصة شرائه للخمر والتمن الذي دفعه فيها

ومنها :

-
- (١) - ديوانه : ٦٥ . وحوله نفر اي حول الزق شرب .
 - (٢) - ديوان لبيد : ٣١٤ . الادكن : الزق الاغبر . العاتق قيل هو الذي لسم يفتح . الجونة الخابية المطلية بالقار .
 - (٣) - ديوانه : ٧٧ . النماء : الزيادة . الإفال : صغار الابل .
 - (٤) - شرح القصائد العشر الطوال للتبريزي : ٢٥٨ . والمشوف : الدينار او الدرهم . المعلم : الذي فيه كتابة .

وَأَبْيَضٌ مُخْتَلِطٌ بِالْكَرَامِ لَا يَتَغَطَّى لِإِنْفَادِهِهَا
أَتَانِي يَوْمَ امْرُنِي فِي الشَّمُولِ لَيْلًا فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا
أَرْحَنًا نُبَاكِرُ جَدَّ الصُّبُوحِ قَبْلَ النَّفُوسِ وَحَسَادِهَا
فَقَمْنَا وَلَمَّا يَمُحُّ دَيْكُنَا إِلَى جُوفَةِ عِنْدَ حَدَادِهَا
تَنْخَلُهَا مِنْ بَكَارِ الْكُطَافِ أُرِيقُ آمِنَ إِكْسَادِهَا
فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِيهَا بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا
فَقَالَ تَزِيدُونِي تِسْعَةَ وُلَيْسَتْ بِعَدَلٍ لِأَنْدَادِهَا
فَقُلْتُ لِمَنْمِفْنَا أَعْطِهِ فَلَمَّا رَأَى حَضْرَ شَهَادِهَا
أَضَاءَ مِظْلَنَتِهِ بِالسَّرَاجِ وَاللَّيْلِ غَامِرُ جَدَادِهَا
دَرَاهِمَنَا كُلِّهَا جِيدٌ فَلَا تَحْبِسْنَا بِتَيْنِقَادِهَا
فَقَامَ فَمِصْبَلْنَا قَهْوَةً تَسْكُنُنَا بَعْدَ أَرْعَادِهَا (١)

في هذه القصيدة وصف لعملية شراء الخمر من تاجرها دون مساومة . وفيها
إشارات إلى غلاشها وعزتها . فهي في "جونة عند حدادها" أي حارسها ، وقد تخيرها
صاحبها وهو يعلم انها لن تكسد لجودتها . فاشتراها الأعمى وأصحابه بناقة بيضاء ،
ولكن التاجر لم يرض بذلك ، فطلب تسعة دراهم بالاضافة الى الناقة ، فلما أعطوه
المال أضاء سراجهم وجعل يفحص المال للتأكد من عدم زيغه .

ولا ادري فيما اذا كانت أثمان الخمر تختلف من مدينة إلى أخرى . ولكننا
نعلم ان الزق الواحد من الخمر كان يباع في حانات الحيرة مثلاً بعشرين درهماً
جيداً (٢) .

(١) - الصبح المنير في شعر أبي بصير : ٥١ .

(٢) - الاغانى : ١٦ : ٤٥ .

نستنتج من خلال الأمثلة المتقدمة أنّ الخمرة كانت لغالية الثمن اذا ما قورنت بغيرها من السلع التجارية في الجاهلية . ولا نعلم على وجه التحديد ما كان سبب غلائها : أهى النفقات الكثيرة التي تستلزم نقلها من أمكنة بعيدة إضافة الى دفع الخفارة والحراسة لايصالها سالمة الى أهدافها في الجزيرة ، أم جودة صنعها وتعتيقها وتطيبها بالمواد الغالية كالمسك وغيره ، أم كثرة الطلب عليها مع قلة العرض نظراً للزمن الذي تستغرقه القوافل في كل رحلة ، فينفد المدّخر منها قبل ورود قافلة أخرى .

الفصل الثاني
=====

الخمير والحياة الاجتماعية والدينية

أوقات شرب الخمر ومجالاتها :

كانت زراعة العرب لما تستخرج منه الخمر في الجاهلية ، وصناعتهم لها ، واستباؤهم إيّاها من مصادرها البعيدة ضمن عملية التجارة من العوامل التي أدت الى توفرها بينهم ، مما جعلهم يولعون بشربها في معظم الأوقات . وكانوا يسمون شراب الصباح : الصُّبُوح^(١) ، وشرب العشي : الغُبُوق ، وشرب السحر الجاشريّة^(٢) ، وشرب منتصف النهار القَيْل^(٣) ، وشرب ظلمة آخر الليل التُّغليس^(٤) ، وشرب النهار بأكمله : التَّمهَّق^(٥) .

وأوقات الشراب على هذا النحو تدلّ على مدى إقبالهم على الخمر ، فقد كان من دواعي الفخر عندهم أن يبدأوا مجالس الندام من الفجر إلى الليل ، فلا يعافون الخمر حتى يكاد طعمها يصبح غير مستساغ :

وَأَعِيدُ لَا نِكْسٍ وَلَا وَاهِنِ الْقُوَى سُقَيْتُ إِذَا أَوْلَى الْعَصَافِيرِ صُرَّتِ
رُدِدْتُ عَلَيْهِ الْكَاسُ وَهِيَ لُدَيْدَةٌ إِلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَلَّهَا وَأَمُرَّتِ^(٦)

إلا انهم قد فضّلوا الصُّبُوح على غيره من أوقات الشراب ، وشاهدنا على ذلك أنّ الشعراء أكثرها من ذكر الصُّبُوح دون غيره من أوقات

(١) - قطب السور : ٣٢٧ ، " وسمي صُبُوحاً بظُلُوعِ الصُّبْحِ ، وكلّ شرب في أول النهار

قبل انتصافه فهو صُبُوح " .

(٢) - قطب السور : ٣٢٤ . " من جسر الصُّبْحِ أَي انطلق وطلع " .

(٣) - الأزمنة والامكنة : ٢ : ٧٣ .

(٤) - قطب السور : ٣٢٤ .

(٥) - الأزمنة والامكنة : ٢ : ٦٩ .

(٦) - البيتان للحطيثة ، ديوانه (تحقيق نعمان أمين طه ، القاهرة ١٣٧٨ هـ -

١٩٥٨ م) : ٣٤٤ .

الشراب (١) . " ليسبقوا من يعذبهم قبل أن يعدو عليهم لأن من شأن العساذل أن يعدو على من يريد عذله على ما فعل في أسسه لأن ذلك في وقت صحوه وإفاقته مسن سكره ، فيعظه عن معاودة مثله ويقرعه بزلّة إن كانت منه في سكره ، فاستعملوا مسابقة عذالهم بمباكرة عبوحهم في الجاهليّة والاسلام" (٢) . يبدو أن تفصيل الصيوع على غيره إنما كان مرتبطاً بأسباب أخرى ، ففي أخبار قزوين سأعدة ان قيصر ملك الروم سأله عن أطلح أوقات الشّراب ، فقال : " أول النهار ، ألا ترى الدواء يبكر به ، والمسافر يدلج لحاجته ، لأنّ العقول أول النهار أذكي والفتن أصح" (٣) . وهذا التعميم لا بدّ وأن يفسح في المجال لبعض الاستثناءات التي تنبثق عن الذوق الشخصي ، فبعضهم يرى أن الخمر تورث الكآبة والهموم وخيسث النفس إن هي شربت في الضحى ، واللذّة وطيب النفس إذا ما شربت في العشيات (٤) .

وقد شرب العرب الخمر في مختلف أوقات حياتهم : في أيامهم وحروبهم ، وفي أفراحهم وأعراسهم ، وفي أوقات ليهوم : فترافقت مع الميسر في المجالس ، ورحلات الصيد في الرياض والواحات . وفي أخبار امرئ القيس أنه بعدما طسرده أبوه " كان يسير في أحياء العرب ومعن أخلاط من شذاد العرب من طيء وكلب وبكر

(١) - ديوان طرفة بن العبد : ٢٨ ، وديوان عمرو بن قميئة : ١٢٤ - ١٢٧ ، وديوان امرئ القيس (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م - ١٣٧٩هـ) : ٢٣٩ ، ١١٠ ، وديوان الحادرة (تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) : وديوان عدي بن زيد : ٧٦ . والامثلة على هذا كثيرة .

(٢) - قطب السرور : ٣٢٧ ، والمعنى نفسه في سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للثيفاشي (هذب ابن منظور ، حقه احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) : ٥٧ . وهو محض استنتاج مسن الشعر الجاهلي .

(٣) - قطب السرور : ٣٢٥ .

(٤) - الأعشى في الصبح المنير : ٦١ .

ابن وائل، فاذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج الى الصيد فتمتد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قبيانه . ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير، ثم ينتقل عنه الى غيره " (١)، وفي بعض قصائده سجل لمثل هذه الرحلات (٢) .

وكانت مجالس الندام والطعام والميسر تقام في البيوت والخيام في الصحراء، وكان من دواعي الفخر أن يُضيف الرجل الطارقين والأصدقاء على حدّ سواء فيطبخ لهم الطعام ويقدم لهم الخمر . ويصف الحادرة (٣) مجلساً من هذا النوع أقامه في الكنيف، والكنيف حظيرة من خشب أو شجر تتخذ للابل لتقيها البرد والريح .

وكان للخمر كذلك حظ كبير في أسفار العرب وتنقلاتهم . فقد حملوها معهم ضمن زاد المسافرين (٤) لتكون لهم عوناً على مشقة السفر في حرّ الصحراء .

على أنّهم لم يكتفوا بشرب الخمر في ديارهم، فقد كانوا يقصدون الخمارات والحانات في مناطق بعيدة اشتهرت بالخمور الجيدة وبجمال الطبيعة . وقد ذكرت الشعراء الشرب في الريف ومدحته . وفي الشعر ذكر لأمكنة جميلة كان يقصدها القوم ويشربون فيها كالشام والعراق واليمن وعلى ضفاف الفرات وبردى (٥) . ويتفتح

(١) - الاغانى : ٩ : ٠٨٦ .

(٢) - ديوان امرئ القيس : ٢٥١ ، ٢٦٣ .

(٣) - ديوان المفضليات : ١ : ٥٩ - ٦٠ .

(٤) - قال حسان بن ثابت : ١ : ٣١٠ :

فَعَجَّتْ وَأَلْقَتْ لِلْجِرَانِ رَجِيلَةً
إِذَا فُضِّلَتْ مِنْ بَطْنِ زِقِّ وَنُطْفَةٍ
فَقُمْتُ بِكَاسِ قَهْوَةٍ فَشَنَنْتُهَا
لَأَنْظُرَ مَا زَادَ الْكَرِيمِ الْمَسَافِرِ
وَقَعَبَ صَغِيرٍ فَوْقَ عَوْجَاءِ فَامِيرِ
بِذِي رُونُقٍ مِنْ مَاءِ زَمْرَمٍ فَاتِرِ

(٥) - لهذا الشأن راجع مثلاً ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٧٤ ، والأمشى : الصبح المنير : ١٥ ، ٦١ ، وأباً ذو عيب في شرح أشعار الهذليين : ١ : ١٦٧ ، وديوان امرئ القيس : ٣١ .

لنا من الشعر أن أهل الجزيرة كانوا يلتصمون الأرياف والأماكن الخصبة هرباً من قحط الحجاز، وتتعمأ بالمناخ البارد وبالطبيعة الجميلة . قال حسان (١) :

لَسْنَا بِحَمْتٍ وَلَا رِيَمٍ وَلَا صَوْدَى لَكِنَّ بَفْرَجٍ مِنَ الْجَوْلَانِ مَقْرُوسِ
يَغْدَى عَلَيْنَا بِإِبْرِيْقٍ وَمُسَيْفَةٍ إِنَّ الْحِجَازَ رُضِيْعُ الْجُوعِ وَالْبُؤْسِ
بِتَّنْنَا بِدَارَةٍ جَوَاتَا يَفِرُّ قُنَا صَوْتُ الدَّجَاجِ وَأَصْوَاتُ النُّوَابِيسِ

وفي مثل هذه الأماكن أقيمت الأديرة . وكان كثير من العرب يلتصمها من أجل الخمر والطرب واللهو والتسلية . ومن هذه الأديرة ما كان في الجزيرة الفراتية كدير علقمة (٢) ودير حنظلة (٣) ، ومنها ما كان خارجها . هـــــــــــــــــــــــ . هذا وقد كان العرب يزلون هذه الأديرة فيشربون فيها الخمر ويسمعون القيان .

أما الحانات وأمكة بيع الخمر ، فقد كان ارتيادها أمراً شائعاً بين عرب الجاهلية إذ كانت جامعة لمختلف ضروب اللهو . وقد كثرت هذه الحانات في الحواضر كمكة والطائف ويشرب والحيرة وغيرها ، كما كثر ذكرها في الشعر

(١) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٤٢٦ زيمة : قرية بوادي نخلة من أرض مكسة . والجلولان قرب دمشق .

(٢) - دبير علقمة : " بناء علقمة بن عدي اللخمي . . كان منزهها لأمرأة الحسيرة يأكلون عنده ويشربون ، وكثيراً ما تنزه فيه أمراء الحيرة " - قطب السور : ٥ وفيه يقول عدي بن زيد : ديوانه : ١٦٦ :

" نَادَمْتُ فِي الدَّيْرِ بِنِي عَلْفَمَا عَاطِيَتُهُمْ مَشْوُلَةٌ عِنْدَ مَسَا "

(٣) - دبير حنظلة : " نسب إلى رجل من طيء يقال له حنظلة بن أبي عفرأة أحد بني حية رهط أبي زبيد الطائي . وكان حنظلة من شعراء الجاهلية فتنصر وفارق بلاد قومه ، وباع كل ما كان له وبنى هذا الدير ، وأقام به مترهباً حتى مات . وهذا الدير في أحسن مكان من الجزيرة وأكثره مياهاً وشجراً ورياضاً وزهراً وهو موصوف بالحسن والطيب " - قطب السور : ٣ .

الجاهلي (١) إشارةً ووصفاً . وكان تحلق الندامى حول بيت التاجر أو الحانسة ، وصياحهم لهفة لشرب الخمر من المشاهد التي استعيرت في التشبيهات التوضيحية (٢).

وقد وصفت هذه الحانات بأسهاب في الشعر : واختلفت أسباب الراحة والرفاهية فيها باختلاف روادها ومنزلتهم الاجتماعية : فالحانوت بيت " يفوح المسك من حجراته " (٣) تارة، والحوانيت هي " بيوت الرخام " (٤) تارة أخرى ، أو هي كعبات مربعة الشكل، فيها الفرش المزينة بالنقوش ، تضيئها سرج وفيها دنّ مقطوع الرأس وأكواب كالجرار التي لا عروة لها . . (٥) وهي أحياناً مترفة الى حد بعيد حيث تزدان بالرياحين وأنواع الأزهار الفارسية مستعيرة طريقة الفرس في الشراب ، وطريقتهم في الطرب (٦) . وهي في أحيان أخرى تُصنع من الجلود والدنان

(١) - ذكر الشعراء زيارتهم للحانوت مع الندامى في الفجر لشرب الخمر، وليقضوا " اللذائذ من لهُو واسماع " - حسان بن ثابت : ١ : ٣٠٢ ، والصبح المنير : ٤٤٥ وراجع كذلك ديوان عبيد بن الأبرص : ٣٧ ، وديوان المفضليات : ١ : ٢٦٨ ، و ١ : ٨١٢ .

(٢) - قال عمرو بن معديكرب في ذلك : ديوانه : ١٠٦ :

وَلَوْ جِئْتُ يَحْمِلُنِ الْحَدِيدَ بِنَا مَعًا أَلَا يَا لَعَمْرُؤِ بَعْدَهَا لَشَوَارِ
لَصَاحَتْ تَنَادِي الْهَامِ مِنْهُمْ بِأَرْضِنَا صِيَاحُ النَّدَامَى حَوْلَ بَيْتِ تَجَارِ

(٣) - عبيد بن الأبرص : ٣٧ .

(٤) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ١٠٦ .

(٥) - راجع عبدة بن الطبيب . ديوان المفضليات : ١ : ٢٦٨ - ٢٩٤ .

(٦) - الأعشى : الصبح المنير : ٢٠٠ : ومن الرياحين الفارسية : الجلسان والبنفسج والياسمين والسوسن والأس وخيري والنرجس وشاهسفرم والمرزجوش وسيسنير وغيرها وهي رياحين على صفات وردت في قصيدة الأعشى في وصف الحانة .

المسكورة (١). وفيها يحتل الساقى مكانة كبيرة فهو لولب الحركة ومقدم الشراب للندامى . ويشترط في الساقى أن يكون نشيطا خفيف الحركة ، موهوبا ، وفسيى وصفالبيد (٢) للساقى إشارة إلى لباقته وشمائله الحظوة وتحيته للشرب عندما يسقيهم :

جَمِيلُ الْأَسْرِ فِيمَا أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُ كَرِيمُ الشَّمَا حَلَوِ الشَّمَائِلِ مُعْجِبِ
تَرَاهُ رَحِيحُ النَّارِ إِنْ تَلَقَّ تَلَقَّهُ كَرِيمًا وَمَا يَدْهَبُ بِهِ الدَّهْرُ يَدْهَبُ
يُشْبِي شَنْاءَ مَنْ كَرِيمٍ وَقَوْلُهُ أَلَا انْعَمَ عَلَى حَسَنِ التَّحِيَّةِ وَأَشْرَبِ

وكان من عادة الساقى أن يشدّ الفدام (٣) على فيه إذا أراد أن يسقى القوم حتى لا يخرج من فيه شيء فيمل إلى القدح :

يَطُوفُ بِهَا سَاقٍ عَلَيْنَا مُتَوَمِّمٌ خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يَزَالُ مُقَدِّمًا (٤)

وغالبا ما كان الساقى أعجميا متوما بأقراط في أذنيه .

أما الأواني المستخدمة في الشراب فهي الدنّ والرّق والسّاب :
" وهو الرق وكان المخصوص بهذا الاسم رق الخمر " (٥) ، والكاس والقمر : " وهو

(١) - ديوان عدي بن زيد : ٧٠ :

بَيْتٌ جُلُوفٍ بَارِدٍ ظَلْمَةٌ فَيْدٌ ظِيَاءٌ وَدَوَاخِيلُ حُوسِ
الجلوف : الدنان الغارضة ، الظباء الأباريق الضخام . الدواخيل ، جمع دوخلة : سقيفة تنسج من حوص .

(٢) - شرح ديوان لبيد : ٧ .

(٣) - الفدام : خرقة يشدها الغلام على فيه إذا أراد أن يسقى القوم -

المفغليات : ١ : ٨١٤ :
ظَلَّتْ تَرْقُرُقُ فِي النَّاجُودِ يَمْفِقُهَا وَوَلِيدٌ أَعْجَمٌ بِالْكَتَانِ مُقَدِّمٌ

البيت لعلقمة بن عبدة : المفغليات : ١ : ٨١٥ .

(٤) - الصبح المنير : ٢٠٠ ، والبيت للأعشى .

(٥) - الاشتقاق : ٨٨ .

القدح المغير والنَّاطِل : القدح المغير الذي يرى فيه الخمر النموذج " (١) ،
والقُمعة ، والقاقزة (٢) ، والإبريق ، والسكرجة ، والراقود : " إناء من آنية
الشراب ، أمجمي معرب : وهو دن كهيئة اردبة يسَّع باطنه بالقر وجمعـــــــــــــــــه
الرواقيد " (٣) ، والباطية : إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل (٤) ، والتامورة (٥)
أو النامورة ، والمحن والمصحة (٦) ، والطرجهارة (٧) وهي الفنجانه ، والرَّؤم :
" فارسي معرب وقيل روشم وهو الرسم الذي تختم به الدنان " (٨) .

هذا ، وقد كان من لوازم اللهو في الحانات الاستماع الى غناء القيسان
خلال الشرب . وقد ارتبط شرب الخمر بالغناء في الحانات والمجالس ارتباطاً وثيقاً
حتى صار ملازماً له في غالب الأحيان . وكثيراً ما كان الرجل يصحب معه جواريسه
وقيانه في رحلات الصيد والتنزه (٩) . وكانت القيان يستعملن معظم الأدوات الموسيقية

(١) - فقه اللغة : ١٩ .

(٢) - القاقزة ذكرها الأعشى : الصبح المنير : ٢١٤ :

وَدُو تَوَمَّتَيْنِ وَقَاقِزَةٍ يَعْثُ وَيُسْرِعُ تَكَرَّارُهَا

(٣) - المعرب : ١٦٠ .

(٤) - المعرب : ٨٣ .

(٥) - التامورة ذكرها الأعشى : الصبح المنير : ١٧٧ :

وَإِذَا لَهَا نَامُورَةٌ مَرْفُوعَةٌ لِشَرَابِهَا

وَنَظْلٌ تَجْرِي بَيْنَنَا وَمُقَدَّمٌ يَسْقِي بِهَا

(٦) - ذكرها الأعشى : الصبح المنير : ١٩٩ :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الْأَمَانَ مَرُودًا شَرَابَهُ

بِالصَّحْنِ وَالْمِصْحَاةِ وَالْإِبْرِيْقِ يَحْجِبُهَا عِلَابَهُ

والمحن والمصحة : صحفة من الفضة . والعلاب جمع علبة : أقداح من خشب .

(٧) - الطرجهارة : ذكرها الأعشى : ١١٣ : وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ أَسْقَى فِي إِنَاءِ الطَّرْجَهَارَةِ .

(٨) - المعرب : ١٦٠ .

(٩) - أخبار امرئ القيس : الأغاني : ٩ : ٨٦ .

المعروفة حينئذٍ كالصنَّج (١) والوَنُّ (٢) والبَرِيْط (٣) والمزهُرُ والطنبور والدفنوف
قال الاعشى :

وَمَسَّقٌ سِينِينَ وَوَنٌّ وَبَرِيْطٌ يَجَاوِبُهُ صَنَجٌ إِذَا مَا تَرَنَّمَا (٤)
وَطَنَابِيرُ حِسَانٍ صَوْتُهُمَا عِنْدَ صَنَجٍ كَلِمًا مُسْتَسِرًّا أَرِنَ
وَإِذَا الْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ عَزَفَ الصَّنَجُ فَنَادَى صَوْتُ وَنٍ
وَإِذَا مَا فَضَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ اللَّحْنَ غَنَاتًا مُغْنِنَ (٥)

ووصفت القيان بالجمال وحسن الصوت وطيب الرائحة والتدليل للذداسي :

وَرَادِعَةٌ بِالْمِسْكِ صَفْرَاءٌ عِنْدَنَا لِحْسِ السَّدَاسِي فِي يَدِ الدَّرْعِ مَفْتِقٌ
إِذَا قَلْتُ غَنِي الشَّرْبِ قَامَتْ بِمَزْهَرٍ يَكَادُ إِذَا ذَارَتْ لَهُ الْكَفَّ يَنْطِقُ (٦)

وكانت للخمور التي فقلها العرب أوصاف كثيرة من حيث التعتيق واللسون
والظهم والجودة . وقد اشترطوا في تعتيقها قدم عهدها . وحسن تطيين أوانيها
مما يساعد على جودتها وشدة إسكارها :

وَمَا قَهْوَةٌ صُهْبَاءٌ كَالْمِسْكِ رِيْحُهَا تَعْلَى عَلَى السَّاجُودِ طَوْرًا وَتَقْدَحُ

-
- (١) - المعرب : ٢١٤ : " الصنح : تعرفه العرب هو الذي يتخذ من صفر (نحاس) يضرب
أحدهما بالآخر ."
(٢) - المعرب : ٣٤٤ : المعزف أو العود . فارسي يعرب الونج .
(٣) - المعرب : ٧١ : من ملاهي العجم شبه بمدر البيط .
(٤) - الصبح المنير : ٢٠١ .
(٥) - الصبح المنير : ٢٢٨ .
(٦) - الصبح المنير : ١٤٧ .

تَوَّتْ فِي سَهَاءِ الدُّنَى عِشْرِينَ حِجَّةً يَطَانُ عَلَيْهَا قَرْمَدٌ وَتُسْرُوحُ
سَبَّاهَا بِرَجَالٍ مِنْ يَهُودٍ تَبَاعَدُوا لِحِيلَانٍ يُدْنِيهَا مِنْ الشُّوقِ مَرَبِحُ
بِأَطْيَبِ مَنْ فِيهَا إِذَا جَعَتْ طَارِقًا مِنْ اللَّيْلِ، بَلْ فُوهَا الذُّ وَأَنْصَحُ (١)

واشترطوا فيها الصفاء : فهي صافية " كعين الديك " (٢) و" ماء النبي " (٣) ،
وهي لمفاكها " تريك القذى " (٤) في قعر الكأس . واشترطوا فيها حسن المزاج
والتصفيق :

مَرَّةً قَبْلَ مَزَجِهَا فَإِذَا مَا مَزَجَتْ نَدَّ طَعْمَهَا مِنْ يَسْدُوقُ
وَطَفًا فُوهَا فُقَائِيحٌ كَالْـ يَأْقُوتِ حَمْرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ (٥)

وحشوا لها كل أنواع المطيبات لمزجها بها : كالعسل والمسك والزنجبيل
واللبنى والعود والكافور والعنبر وغيرها من أنواع الطيبه وخطوها بأنواع من
الفاكهة كالتفاح والرمان والماء النقي الصافي وغيرها (٦) . وكان من علامات
الجودة فيها أن لا تؤذي صاحبها أو تسبب له الخمار :

تُشْفِي الصَّدَاعَ وَلَا يُؤْدِيكَ صَالِبَهَا وَلَا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمُ (٧)

-
- (١) - الأبيات للمرقش الأمغر : ديوان المفضليات ١ : ٤٩٥ . والناجود : الممفأة .
(٢) - ديوان حسان بن ثابت : ٣٠٢ : ١ ، وعدي بن زيد : ٧٦ ، وشرح أشعار الهذليين :
١ : ١١٥ ، و ٣ : ١٢٦٧ .
(٣) - شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٥ .
(٤) - ديوان عدي بن زيد : ٧٨ .
(٥) - المصدر السابق : ٧٦ .
(٦) - راجع ديوان زهير بن أبي سلمى (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م) :
٣٥ ، وحسان بن ثابت : ١ : ١٧ ، وعمرو بن معديكرب : ١٣٨ ، والنمر بن توليب
٧٧ ، والحطيئة : ٣٤١ ، وامرئ القيس : ١٥٧ .
(٧) - علقمة بن عبدة : ديوان المفضليات : ١ : ٨١٢ . والخمار : الصداع بنتيجة
السُّكْرِ .

مجالس الندامى وآدابها :

لم يكن اختيار النديم في الجاهلية يجيء عفو الخاطر، بل كان على الغالب أمراً له أصوله ونظامه . وقد كان اختيار النديم المناسب مدعاة للفخر ، قال قيس بن الخطيم (١) :

سَلِي مَنْ نَدِيمِي فِي النَّدَامَى وَمَالِي فِي
وَمَنْ هَوَلِي عِنْدَ الصَّفَاءِ خَدِيمِي

ذلك لأنَّ العرب كانوا يشترطون في النديم صفات عديدة كان أولها أن يكون النديم نداءً للنديم وترباً له في الغالب الأعم ، وكان يستثنى من هذه القاعدة ندام بعض السراة والأشراف للملوك . ولهذا تنوعت مجالس الشراب والندام ، وتباينت مستوياتها بحسب منزلة الندامى ، فكانت مجالس الملوك، ومجالس سراة القسوم وأشرفهم ، ومجالس العامة .

ونستطيع أن نرسم صورة لما كانت عليه مجالس الملوك ، وذلك من خلال وصف غير شاعر لمجالس ملوك المناذرة والغساسنة . فقد كان الملك إذا استظرف أحدهم أكرمه فنادمه وضرب عليه قبّة من آدم أحمر ، " وكان الملك اذا فعل ذلك برجس عرف قدره منه ومكانه عنده " (٢) . ومن الشعراء الذين نادى الملوك نذكسر امراً القيس ، والنابغتين الذبياني والجمدي ، وحسان بن ثابت ، وأبا زبيد الطائي . وقد مدحت الملوك بامتلاكها خير الأشياء وأفضلها ، ومنها أجود الخمر ، قال النابغة الذبياني في مدحه لعمر بن الحارث : " .. وأعذب المياها أمواهك ، وأفصح الدارات

(١) - ديوانه : ١٠٧ .

(٢) - الاغانى : ٩ : ٥١ .

داراتك، وأثره الحداشق حداثك ، وأرفع اللباس لباسك، قد حالف الأضريح عاتقك
ولأم المسك مسكك ، وجاور العنبر صحافك ، وصاحب النعيم جسدك ، والعسجد أنيتك ،
واللجين صحافك ، والعصب مناديلك ، والخوار طعامك ، والشهد إدامك واللذات
فداؤك ، والخراطوم شرابك " (١) . وكان حسان بن ثابت يغدو على جيلة بن الأيهم
سنة ويقيم في أهله سنة . فوفد على الحارث بن أبي شمر الغساني فأكرمه ونادمه
فقال في وصف مجلسه : " . . ثم رفع الطعام وجاء ومغفأ كثير عددهم معهم الأباريق
فيها ألوان الأشربة ، ومعهم مناديل اللين فقاموا على رؤوسنا ودعا أصحاب
برابط من الروم فأجلسهم وشرب فآلهوه . . " (٢) . وكان حسان يغدو على جيلة بن
الأيهم . ويقول مفتخرا باكرام الملك له : (٣)

لَمْ يَغْدُهُمْ أَبَاؤُهُمْ بِاللُّومِ
وَسَقَى بِرَاحَتِهِ مِنَ الْخُرْطُومِ
كَلَّا وَلَا مَتَنُورًا بِاللُّسُومِ

إِنَّ ابْنَ جَفْنَةَ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ
وَأَتَيْتَهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي
لَمْ يَنْسِنِي بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رَبُّهَا

وفي قصيدته (أسألت رسم الدار أم لم تسأل) يفخر بندايمهم (٤) ويذكرهم ذكرا
طيبا .

أما الأعشى فيذكر ندامه لبعض الملوك كالغساسنة بالشام ، والمنادرة فسي
الحيرة وأشرف عمان وحضرموت ، ويمف مجالسهم بما تتضمنه من غناء وموسيقى
وشراب (٥) . وفخر كذلك امرؤ القيس بندايمه لقيصر ملك الروم :

-
- (١) - الأغاني : ١٥ : ١٢٤ .
 - (٢) - المصدر السابق : ١٥ : ١٣٢ .
 - (٣) - ديوانه : ١ : ٤٣٩ .
 - (٤) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٧٤ .
 - (٥) - الصبح المنير : ٢١١ .

وَنَادَمْتُ قَيْمَرَ فِي مَلِكِيهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبُرَيْدًا (١)

وكان النابغة الذبياني المقدم عند النعمان بن المنذر، يأكل ويشرب في أنية الفضة والذهب " من عطايا النعمان وأبيه وجده ولا يستعمل غير ذلك" (٢)، وكذلك وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر فشرب معه (٣)، ووفد عمرو ابن كلثوم على عمرو بن هند فناده زمناً قبل أن يقتله (٤). وكان أبو زبيد الطائي، وهو حرمة بن المنذر، من زوار الملوك وخاصة ملوك العجم، وقد وفد على النعمان بن المنذر فجالسه (٥) وناداه. وقد ضمت مجالس الملوك - التي جانب الشعراء - سراة القوم من تجار وشيوخ، ورجالاً كانت الملوك تستظرفهم فتدعوهم إلى مجالس الندام (٦).

أما الحلقة الثانية من مجالس الشراب فهي مجالس سراة القوم وأشرافهم. ولعل في الندماء من قريش خير مثال لهذه الحلقة. وقد كان لعزة مكة ومنعتها أثر كبير في توفير مناخ رائق لمجالس الشراب هذه:

أَبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَلَاحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قَرِيْشٍ

- (١) - ديوانه : ٢٥٢ .
- (٢) - الاغانى : ٦ : ٢٤ .
- (٣) - المصدر السابق : ٦ : ٢٤ .
- (٤) - المصدر السابق : ٦ : ٤٨ .
- (٥) - الاغانى : ١٢ : ١٢٥ : وقد وصفه أبو زبيد بقوله : " فقد رأيت ملوك حمير في ملكها ، ورأيت ملوك فسان في ملكها فما رأيت أحداً قط كان أشد منراً منه ، وكان ظهر الكوفة بينبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب إليه فقيسل شقائق النعمان " .
- (٦) - الاغانى : ١٥ : ٢٩٢ وفيها مناداة النعمان للربيع بن زياد ولتاجر من أهل الشام كان أديباً يحسن الحديث والندام .

فَتَأْمَنُ وَسَطَهُمْ وَتَعِيشُ فِيهِمْ
وَتُنزِلُ بِلْدَةَ عَزَّةَ قَدِيمًا
أَبَا مُطَرِّ هَدَيْتَ لِخَيْرِ مَيْشِشِ
وَتَأْمَنُ أَنْ يَزُودَكَ رَبَّ جَيْشِشِ (١)

وقد عقد ابن حبيب فعلاً في الندماء من قريش في الجاهلية (٢)، فعُدَّ أسماء الندامى من الأشراف . ونلاحظ في غالب أسماء الندامى توافقاً بينهم في المنزلة والخصال والغنى (٣) . وكان يفترض في الندامى من الأشراف الكرم والسخاء واللين ، والاحتفاظ بالحلم عند السكر وطيب الرائحة :

وَقَدْ أَعْدَوُ عَلَى شَرِّ كِبْرَامِ
لَهُمْ رُوحٌ وَرَأُوقٌ وَمِسْكٌ
أَمْشِي بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ
يَجْرُونَ السَّبُودَ وَقَدْ تَمَشَّكَتْ
نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ
تُعَلُّ بِهِ جُلُودَهُمْ وَمَاءُ
نُفُوسِهِمْ وَلَمْ تَقْطُرْ دِمَاءُ
حَمِيًّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْفِنَاءُ (٤)

والحلقة الثالثة من مجالس الشراب هي مجالس العامة التي كانت تتنمها المجالس الأخرى بسوء التحضير لمجلس الندامى في الطعام وفي نوعية الشراب وغيره . وقد ذمَّت العرب البخل في التحضير لمجالس الشراب . قال حسان واصفاً مجلساً

(١) - الشعر لحرب بن أمية ، وملاح من أسماء مكة . راجع كتاب الحيوان : ١ : ٢٦٩ .

(٢) - المحبَّر : ١٧٣ .

(٣) - المحبَّر : ١٧٣ . وقد أورد أسماء الندامى من قريش وهذا مثال : " كسان الأسود بن المطلب بن أسد نديماً للأسود بن عبد يغوث الزهري وهما الأسودان وكانا من أعز قريش في الجاهلية وكانا يطوفان بالببيت متقلدين بسيفين سيفين " .

(٤) - الابيات لزهير بن أبي سلمى : ديوانه : ٧٢ . وقد ورد في الشعر وصف كشير للندامى من الأشراف . راجع الأعشى : المصحح المنير : ١٤٣ ، والمسبب بن فليس في المصحح المنير : ٣٥٠ ، وكعب بن زهير : ديوانه (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) : ٤٢ .

للعمامة ، ومفرقا بينه وبين مجالس الأشراف (١) :

لَسْنَا بِشَرِبِ فَوْقَهُمْ هَلْ بَرْدَةٌ
مُلُوكٌ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ إِذَا انْتَشَوْا
إِذَا جَلَسُوا الْفَيْتِ رَشَحَ جَلُودِهِمْ
تَرَى فَوْقَ أَثْنَاءِ الزُّرَابِيِّ سَاقِطًا
يُعِدُّونَ لِلْحَانُوتِ تَيْسًا وَمِفْصَدًا (٢)
أَهَانُوا الصَّبُوحَ وَالسَّيْفَ الْمَسْرُودَا
مِنَ الْمَسْكِ وَالْجَادِي جَفْنَا مَبْدَدَا
نِعَالًا وَقُسُوبًا وَرَيْطًا مَعْفَسَدَا

وقال عبید بن الأبرص يذم بني جديلة لسوء مجلسهم :

فَلْتَعْرِفِ الْقَيْنَاتُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
وَشَرَابَهُمْ ذُو فُفْلَةٍ وَمَحْتَسِبًا (٣)

والمحنتب : شواء لم ينضج ثم أعيد تسخينه ففسد .

وكذلك ذمّت العرب الوغول في الشراب وكرهته . " والوغل في الشيء ، وإن لم يبعد فيه ، وكل داخل فهو واغل . ولهذا قيل للداخل على الشرب من فير أن

(١) - ديوانه : ١ : ٣١٢ وقد روي في (الأفاني : ٤ : ١٧١) في مناسبة هذه الأبيات أن حساناً والأعشى دخلا " بيت خمار بالشام ، فاشترى خمرًا وشربا ، فنام حسان ثم انتبه ، فسمع الأعشى يقول للخمار : كره الشيخ الغرم ، فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمر الخمار كلها ، ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ، فعلم أنه سمع كلامه فاعتذر إليه " ، فقال حسان هذه الأبيات .

(٢) - المفصد من فصد يفصد فصيدا : كانوا يفصدون البعير إذا خرج دمه جمصوه في شيء ثم طبخوه ثم اكلوه ، وهذا من الجاهلية . إلا أن الجاحظ يشير إلى أن العرب في الجاهلية كانت تأكل دلم الفصد وتفعل طعمه ، وتخبر ممسا بورث من القوة : الحيوان : ٤ : ٩٦ ، ولا أدري لم أورد الشاعر الفصد فسي معرض الدم في هذه الأبيات إلا أن يكون دليل بخل بسبب توفره ، خاصة وأن العرب كانت تنحر أفضل النياق وأسمنها عندما تنتشي بالخمير كما يشير حسان .

(٣) - ديوان عبید بن الأبرص : ٣٣ .

يدعى : **وَإِغْلُ وَوَقْلُ** (١) ، قال عمرو بن قميصة (٢) :

إِنْ أَكَّ مَشْكِيْرًا فَلَا أَشْرَبُ وَغَلًّا وَلَا يَسْلُمُ مِنِّي التَّهْمِيْرُ

كما كرهوا الخُصور والحُصير : وهو الذي يشرب مع القوم فلا ينفق ولا يفرم ، وقيل هو الذي لا يشرب الشراب من علة ، ويقال شرب القوم فحصر عليهم فلان أي بخل (٣) ، قال كعب بن زهير (٤) :

إِذَا غَلَبَتْهُ الْكَاسُ لَا مُتَعَسِّسٌ حُصُورٌ وَلَا مِنْ دُونِهَا يُتَبَسَّلُ

وأما آداب الندام ، فقد توزعت بين أدب السقاوة وحرمة النديم ومكانته وكان من مذهب الجاهليين في الشراب إدارة الكأس على اليمين :

صَبْنَتْ الْكَاسُ عِنَّا أُمَّ عُمَيْرٍ وَكَانَ الْكَاسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (٥)

وقد كان ساقى القوم أصغرهم سناً وآخرها شرباً (٦) ، هذا إذا كان من القوم ولم يكن خادماً أو أجيراً لهم . وكان من آداب الندام أن يرفق الرجل بنديمه ، فلا يدفعه الى الشراب بأكثر مما يحتمل (٧) . أما أبرز آداب الندام ، وأكثرها احتراماً

(١) - غريب الحديث : ٢ : ٢٨ .

(٢) - ديوانه : ١٢٤ .

(٣) - المخصص : ١١ : ١٠١ .

(٤) - ديوانه : ٤٤ .

(٥) - عمرو بن كلثوم : شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٨٥ .

(٦) - الترمذي : ٣ : ٢٠٤ .

(٧) - في الاغانى : ٦ : ٣٣٨ أن حسان بن ثابت شرب يوماً وسلام بن مشكم وكان معهم قيس بن الخطيم وآخرون . " فأسرع الشراب بينهم وكانوا في موادة وقد وهت الحرب أوزارها بينهم . فقال قيس لحسان : تعال أشربك : فتشاربا في إناء عظيم ، فأبلى حسان من الإناء شيئاً : فقال له قيس : اشرب ، فقال حسان =

في الندامى فهي حفظ الأمانة بين الندماء، ولهذا كان من علامات الدم الشديد أن يفدر المرء بنديمه . فقد ذمّ جذيمة الوضاح لعربدته على نديمه مالك وعقيل حتى قتلها بعد أن نادماه أربعين سنة ما أمادا عليه فيها حديثاً (١) . وذمّ ايضاً النعمان بن المنذر لأنه كان شديد العريضة قتالاً للندامى (٢) . وليس أدلّ على ذمّ العرب للغدور بين الندماء من قصة المكاء التي أصبحت مثلاً سائراً في العرب (٣) .

إنّ الوصف السابق لمجالس الشراب لا يسعنا في إعطاء صورة واضحة عن شرب المرأة للخمر في الجاهلية . إذ ليس فيه ذكر أو إشارة إلى المرأة الا كساقية أو مغنية أو جارية . وكذلك فإنّ الدلائل التي تشير إلى شرب المرأة للخمر في الشعر والروايات قليلة لا تكفي للحكم فيما إذا كانت النساء بشكل عام تتعاطى الخمر حينئذٍ . وقد وردت في الشعر إشارات يسيرة تذكر شرب النساء للخمر :

== وعرف الشرّ في وجهه : أُوخيراً من ذلك أجمل لك الغلبة . قال : لا الا ان تشربه فأبى حسان . وقال سلام بن مشكم : يا أبا زيد لا تكرهه على مسا لا يشتهي ، انما دعوته لاكرامه ولم تدعه لتستخف به وتسيء مجالسته . فقال له قيس : أفندعوني أنت على أن تسيء مجالستي ، فقال له سلام ما فسي هذا سوء مجالسة ، وما حملت عليك الا لأنك مني وانا حليفك . . وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته منزلي فيجب ان تكرم لي من أكرمته . ولعمري ان في الصحو لما تكتفون به في حروبكم ، فافترقوا وآلى سلام على نفسه الا يشرب سنة ، وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً " .

(١) - قطب السرور : ٤٤٠ . وندمانا جذيمة هما مالك وعقيل اللذان أعادا عمرو بن عدي الى خاله جذيمة الأبرش ملك العراق وأمه رقاش بعدما استطارته الجن فكافأهما الملك بمنادمته الدائمة فلم يفترقا قط : (الأغاني: ١٥ : ٢٥٠) ، وفيهما

يقول متمم بن نويرة : المفغليات : ١ : ٥٣٥ :
وَكُنَّا كُنْدَمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةَ
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَا

(٢) - قطب السرور : ٤٣٩ .
(٣) - المكاء رجل من طيء نزل فيها بشيواني فأكرمه ونادمه فما زال يتحدّى مضيئه ويفاخره حتى أغضبه ثم وثب اليه بالسيف فقطع رأس مضيئه ، القصة طويلة في الأغاني ١٢ : ١٢٣ ، مع شعر أبي زبيد الطائي في ذلك .

وَقَدْ لَهَوْتُ بِمَعْقُولٍ عَوَارِضُهَا بِكْرِ تَنَارِ مَنِي كَأَسَا وَمِنْكَ سَادَا (١)

ومثل هذه الاشارة مابرة لا تكفي لتعميم ظاهرة شرب المرأة للخمر على كل النساء . وهناك روايات في الكتب تشير الى شرب المرأة للخمر ولكن المعقول عليها قليل إذ غالباً ما تساق للنكتة والتسلية (٢) .

على أن النساء قد استعملت الخمر في غير الشراب . فقد قيل لعائشة : إن النساء يمتشطن بالخمر، فنهت عن ذلك، وقالت : إنها رجس (٣) . هذا، ولم أمش في الشعر الجاهلي على إشارة تدل على استعمال المرأة للخمر في الزينة أو غيرها . وربما كان لهذا الأمر علاقة بالتطيب ، فقد كانت عائشة تقول : مسن تداوى بالخمر فلا شفاء الله .

(١) - ديوان تأبط شراً : ٨٠ .

(٢) - وردت في أسواق العرب للأفغاني : ٢٩٠ (دون الاشارة الى مصدرها) رواية موداها أن رجلاً بعث بزوجته الى سوق عكاظ بأنحاء سمن تبيعها ليه ، فباعتها مع الراحلتين وشربت بثمانها الخمر ثم رهنت ابن أخيه وهربت وارجع كذلك الى رواية الأعرابية والخمر في كتاب الحيوان : ٣ : ٢٩٢ . ورواية الممهوراة بشيابه وخمر : الحيوان : ٣ : ١٢٣ .

(٣) - قطب السرور : ٥٠٦ .

أثر الخمر في الحياة الاجتماعية :

كانت الخمرة - كإحدى أبرز لذات الجاهلية - منتشرة جداً بين العرب وهذا ما جعلها تترك آثاراً هامة في حياتهم الاجتماعية . ولقد كانت هذه الآثار تنقسم الى آثار إيجابية وأخرى سلبية .

فأما آثارها الإيجابية فإن قوامها أن ترفد الخمرة التي اعتبروها لذة في الحياة القيم العربية الايجابية، وترسخها وتطلقها من إسارها : كفضيلة الجود، وفضيلة الشجاعة، والأمانة وحفظ الجوار وغيرها، لا أن تسيء إليها أو تغفل من شأنها . وفي ظل هذه النظرة للخمر يمكن تفسير انتشارها بينهم، وإقبالهم على شربها دون خجل أو حذر، كما يمكن تفسير وصفهم لها في الشعر، وفخرهم باستبائها، وتقديمها لضيوفهم في عملية القرى العربية :

قَوْمُوا لِضَيْفِ جَاءَكُمْ طَارِقًا وَجَارِكُمْ بِالنُّتِيِّ وَالْخُمْرِ (١)

وقد ارتبطت الخمرة عندهم بالكرم ارتباطاً وثيقاً، فكانت دافعاً هاماً لممارسة فضيلة الجود :

إِذَا مَا اصْطَبَحْتَ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَبَعْتَ دَلْوِي فِي السَّخَاوَرِشَاءِ (٢)

وقال الأسود بن يعفر واصفاً أثرها في الكرم :

(١) - البيت لعمارة بن عوف العدواني، كتاب المعمرين للسجستاني (تحقيق جولدسهر،

ليدن ، ١٨٩٩م) : ٣٠ .

(٢) - البيت لقيس بن الخطيم : ديوانه : ٤ .

فَلَقَدْ أُرُوِّحَ عَلَى النَّجَّارِ مُرْجَلًا ۖ مَذَلًا بِمَالِي لَيْتَنَا أَجِيَّادِي (١)

وقد يتعدى أثر الخمرة في الكرم الى البخيل فيجعله كريماً لا يحسب حساباً للمال :

تَرَى اللَّخْرَ الشَّحِيحُ إِذَا أُمِرَتْ ۖ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينًا (٢)

فإن من أسماؤها الراح : لأن صاحبها يرتاح للسخاء والكرم (٣) . وقد كان من علامات الدم عند العرب أن يبخل الرجل بالثمن الذي يدفعه لاستبأ الخمر . فالخمر ليس بها قذى إلا يبخل شاربها إذ " يَحَاسِبُ نَفْسَهُ بِكُمِ اشْتَرَاهَا " (٤) .

وكان من الجود الجدير بالمدح أن يقدم الرجل الخمر - على غلاظها - الى الضيوف والندامى بغير حساب . وكانت إقامة مجالس الندام والطرب حيث يقدم فيها الخمر الغالية وتنحرف فيها أفضل النياق من فعال السادة الأجواد (٥) . وكثيراً ما ورد في الشعر الفخر بالقيام بواجب الضيافة على خير وجه تجاه الطارقيين والغرباء حيث تقدم لهم الخمر واللحم من الفجر حتى الليل (٦) .

وقد كان تقديم الخمر الى الضيوف من علامات المدح للأفراد والجماعة على حد سواء . فإن سمة الكرم في القبيلة بأسرها لا تكتمل إلا بسخاء هذه القبيلة فسي

-
- (١) - الصبح المنير: ٢٩٧ . وجاء في غريب الحديث في شرح البيت: ٢: ٢٦٤: المذال أن يمدل الرجل بسرّه يعني أن يقلق به حتى يظهره . وبماله حتى ينفقه .
 - (٢) - عمرو بن كلثوم : شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٨٥ .
 - (٣) - المخصص : ١١ : ٧٤ .
 - (٤) - النابغة الذبياني : ديوانه : ٢٢٧ .
 - (٥) - راجع ديوان عمرو بن قميصة : ١٣١ ، والحادرة : المفضليات : ١ : ٥٩ ، وعمرو ابن الأهم : المفضليات : ١ : ٢٤٦ .
 - (٦) - عمرو بن الأهم : المفضليات : ١ : ٢٤٦ .

تقديم الخمر واللحم . . فبنو أسد هم " أهل القبابِ الحمرِ وَالنعمِ المؤبَّكِلِ
والمُدَامَةُ " (١) ، وقوم الأعشى يشربون " صَوُّ الفِضَالِ بِطَارِفٍ وَتِلَادٍ " مهما غلبت
الخمر (٢) .

وهناك لذة من لذات الجاهلية ارتبطت بالخمر من حيث تأثيرها في فيلة
الجود وهي الميسر . فقد كان القوم يتياسرون ، وذلك على أجزاء الجزور بواسطة
الضرب بالقداح (٣) ، وكان من علائم الشرف والجود أن يأنف الرجل من أخذ نصيبه
من الجزور في حال الربح ، فيتركه للمحتاجين . وكثيراً ما كانت مجالس الشرب
والميسر تقام في الشتاء ، وقت انعدام القوات (٤) ، ولهذا كان للميسر فاشدة
اجتماعية الى جانب كونه لهواً وتسلية . ولعل هذه الناحية هي المشار إليها
في هذه الآية :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومُنافِعٌ للناسِ ﴾ (٥) .

(١) - عبید بن الأبرص : ديوانه : ١٣٧ ، ويقول في بني أسد أيضاً : ١٤٣ :

تَغْلِي السِّبَاءَ بِكَيْلٍ عَسَا تَقْنَةُ شُمُولٍ مَا صَحُونَنَا
وَنَهِينٌ فِي لَدَاتِهِنَّ عَسَا عَظْمُ التِّلَادِ إِذَا انْتَشِينَا

(٢) - الصبح المنير : ٩٩ .

(٣) - راجع كتاب الميسر والقداح لابن قتيبة (صححه خورشيد أحمد فارق باشرف

محمد عبد المعيدخان ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) .

(٤) - راجع قصيدة متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك : المفضليات : ١ : ٥٣١ - ٥٣٣ :

إِذَا جَرَدُ الْقَوْمِ الْقِدَاحُ وَأُوقِدَتْ لَهُمْ نَارٌ أَيْسَارُ كَفَى مَنْ تَفَجَّعَا
وَإِنْ شَهِدَ الْأَيْسَارُ لَمْ يَلْفُ مَالِكٌ عَلَى الْفَرَسِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يَتَمَزَّعَا

(٥) - سورة البقرة : ٢١٩ .

وهناك فضيلة أخرى من فضائل العرب في الجاهلية أثرت فيها الخمرة ورفدتها وهي فضيلة الشجاعة التي تنبثق عن حاجة اجتماعية ملحة في مجتمع قائم على الغزو والاهارة لتأمين أسباب الحياة . من هنا لعبت الخمرة دورها في حروب العرب كما لعبت دورها في أيام السلم عندهم . وكان هذا الدور ذا شقين :

الأول هو المساعدة في إطلاق القوة الكامنة في الرجل بتأثير الخمر ، والثاني هو مكافأة الشجاع بتقديم الخمر له حتى في ظل أسره اعترافاً بقدرته وجدارته وثباته .

أما الشق الأول فيجد لنفسه صدى في قول حسان بن ثابت (١) :

وَنَشْرِبُهَا فَتَنْزُكُنَا مُلُوكًا وَأَسَدًا مَا يَنْهِنُنَا الْقَيْءُ

فقد كان شرب الخمر قبل الخروج الى الغارة قضية ترهب الأعداء ، وتشعر بقوة المغير وثقته بالنصر ويسره . وهذا ما فعلته قريش حين خرجت للقاء الرسول (ص) في بدر ، فقال أبو جهل : " والله لا نرجع حتى نرد بدرًا - وكان بدر موسمًا من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثًا ،

(١) - ديوانه : ١ : ١٧ ، وقد كثر وصف أثر الخمرة في الشجاعة في الشعر الجاهلي : راجع شرح ديوان عنبرة (حقه عبد المنعم شلبي ، وقدم له ابراهيم الأبياري ، القاهرة) : ٣٥ :

وَإِخْوَانٍ صَدَقَ صَادِقِينَ صَبَحْتَهُمْ عَلَى غَارَةٍ مِنْ مِثْلِهَا الْخَيْلُ تَسْرُجُ
تَطُوفُ عَلَيْهِمْ خُنْدَرِيْسٌ مَدَامَةٌ تَرَى حَبَابًا مِنْ فَوْقِهَا حِينَ تَمَسْرُجُ
إِلَّا إِنَّهَا نَعْمَ الدَّوَاءُ لِشَارِبٍ أَلَا فَاسَقْنِيهَا قَبْلَمَا أَنْتَ تَخْرُجُ

وتأبط شراً : ١٤٠ .
وَلَكِنِّي أُرْوِي مِنَ الْخَمْرِ هَامَتِي وَأَنْضُو الْمَلَابِلَ الشَّاجِبِ الْمُتَشَلِّشِلِ
وأبي قيس ابن الأسلت : ٧٦ ، وروي البيت لقيس بن الخطيم : ديوانه : ١٢١ :
فَلَسْتُ لِحَامِسٍ إِنْ لَمْ تَرُونَا بِخَالِدِكُمْ كَأَنَّكَ شَرِبْتَ خَمْسِرَ

وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنينا
العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً" (١).

وفي المقابل، شكّلت الخمرة عامل احتفاء بالنمر بعد الغارة. قال تائبسط
شراً بعدما أغار على سرح لمراد (٢):

خَفَضْتُ بِسَاحِهِ تَجْرِي إِلَيْنَا أَبَارِيقُ الْكِرَامَةِ يَوْمَ لَهْوِ

كما شكّل تقديم الخمر للأسير عامل اعتذار وحفاوة وإرضاء لخاطر الخصم اعترافاً
بشجاعته كما ورد في قصة أسر يزيد بن عمرو بن شمر لعمرو بن كلثوم (٣)، وفي قصة
أسر المهلهل (٤). وفي أحيان أخرى كان أسر العدو ينتهي بقتله، ولكنه كـسـبـان
يخبر في طريقة قتله لشرفه، كما حدث في يوم الكلاب الثاني حين أسر عبد يغوث بن
صلاة الحارثي، فقال: "با بني تميم أقتلونني قتلة كريمة. فقالوا: وما هي؟

(١) - الأغاني : ٤ : ١٨٦ .

(٢) - ديوانه : ١٤٩ .

(٣) - الأغاني : ١١ : ٥٠ : " أغار عمرو بن كلثوم على بني تميم، ثم مرّ من فوره
ذلك على حيّ من قيس بن شعبة فملاّ يده منهم وأصاب أسارى وسبايا . وكان
فيمن أصاب أحمر بن جندل السعدي . ثم انتهى الى بني حنيفة باليمامة
وفيهم أناس من بني عجل، فسمع به أهل حَجْر . فكان أول من أتاه من بنسي
حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر . فلما رأهم عمرو بن كلثوم
هجّاهم هجاءً مرّاً . فأنتهى إليه يزيد بن عمرو . فطعنه فصرعه من فرسه
ولم يخلص الى مقتله فأسره . وكان يزيد شديداً فشده كِتافاً، ثم قال : أنت
الذي تقول :

مَتَى تَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبِيلِ تَجِدُ الْحَبْلَ أَوْ تَعْضُ الْقَرِينَا

أما أني سأعقدك بناقتي ثم أطرّدكما جميعاً . فنادى عمرو : يا ربيعنة
أمثلة . فاجتمعت إليهم لجيم فنهوه، ولم يكن يريد ذلك . فسار حتى أنزله
فصور حَجْر فضرب عليه قبة ونحر له جزوراً وسقاه حتى انتشى وكساه حلة وحمله
على نجيبه ."
(٤) - الأغاني : ٦ : ١٢١ . أسره عمرو بن ملك عم المرقش الأكبر في بعض الغارات بين
بكر وتغلب .

قال : اسقوني الخمر ودعوني أنح على نفسي . فسقوه الخمر ، وقطعوا له عرفا يقال له الأكل وتركوه ينزف " (١) .

ومن الفضائل التي دعمتها الخمرة حفظ الأمانة وحسن الجوار اللذان تجليا بوضوح في علاقة الندماء ، وحق النديم على النديم . قال عنتره : (٢)

لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ إِلَّا مَنْ لَهُ دَمٌ وَلَا يَبِيْتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ

وارتبط بذلك أيضا الوفاء للنديم وتذكره في المحن كالموت والأسر والفراق .

وفي الجهة المقابلة ، كان للخمرة آثار سلبية انعكست على المسلك الفردي عند الجاهلي ، مما دفعه في احيان كثيرة للاسائة الى المفهوم الاخلي القبلي ، وغسرق المألوف من الاعراف والتقاليد . من هذه الاثار العريضة والزنا ، وأخيرا الانتحار بشرب الخمر الصرف لاسباب مختلفة . وقد ارتبطت الخمر بالزنا والعريضة في الاسواق والمواخير ، قال عبيد بن الابرص (٣) :

(١) - الاغاني : ١٦ : ٢٥٩ . وعبد يفتوح هذا شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ،

سيد لقومه من بني الحارث بن كعب ، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى

بني تميم : الاغاني : ١٦/٢٥٤ . وهو صاحب المفضلية ٣٠ : المفضليات :

١ : ٣١٥ ، وأولها (أَلَا تَلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا بَيَّنَّا) قالها قبل موته .

(٢) - ديوانه : ١٣٤ ، وراجع ديوان ذي الاصبع العدواني (تحقيق العدواني والدليمي ،

الموصل ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) : ٥٨ ، وهو حرثان بن محرث :

لَمْ تَعْقَلَا جَفْرَةَ عَلِيٍّ وَلِئِمَّ أَوْدٌ نَدِيمًا وَلَمْ أَنْلِ طَبْعًا

وحسان بن ثابت : ١ : ٢٧٩ :

لَا أَخْدَشُ الْخَدَشَ بِالنَّدِيمِ وَلَا يَخْشَى جَلِيسِي إِذَا غَضِبَتْ يَسِيدِي

وَلَا نَدِيمِي الْعِضَّ الْبَخِيلِ وَلَا يَخَافُ جَارِي مَا عَشْتُ مِنْ وَبَّيْدِ

وكذلك ديوان بشر بن أبي خازم (تحقيق عزة حسن طه ، دمشق ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) :

١٩٥٨ - ١٥٩ ، ومتمم بن نويرة : المفضليات : ١ : ٥٢٩ .

(٣) - ديوانه : ١١٠ .

وَلَهْوَةٌ كُرْضَابِ الْمِسْكِ طَالَ بِهَا
بُكَرَّتْهَا قَبْلُ مَا بَدَأَ الصَّبَاحُ لَنَا
وَمَبْلَغُ كَمَاهَا الْجَوُّ نَامِئَةً
قَدْ بَتَّ أَلْعِبَهَا وَهَنَا وَتَلْعَبَنِي
فِي دُنْهَا كَرَّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالٍ
فِي بَيْتٍ مِنْهُمْ الكُفَّيْنِ مِفْصَالٍ
كَأَنَّ رِيْقَتَهَا شَبَبَتْ بِسُلْسَالٍ
ثُمَّ انصرفت وَهِيَ مِنِّي قَلَى بِسَالٍ

ومنهم من لرن بين الخمر والزنا اقتراناً وثيقاً، وذهب الى اعتبارهما متلازمين، وولد شكلاً مند الأعمى الأظيبيين (١) بين اللذات، وقال ذاكرهما معاً :

فَلَمَّا أَشْرَبَ الرَّاحُ قَدْ تَعْلَمِينَ يَوْمَ الْمَقَامِ وَيَوْمَ الظَّمَنِ
وَأَشْرَبُ بِالرَّيْفِ عَتَى يُقَالُ قَدْ طَالَ بِالرَّيْفِ مَا قَدْ دَجُنُ
وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَانِيَاتِ إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أُنْ
مِنْ كُلِّ بَيْهَاءٍ مَمْكُورَةٍ لَهَا بَشْرٌ نَامِئٌ كَاللَّبَنِ (٢)

وفي الأسواق كانت تقام بيوت لمن يمارس البغاء، وهن جوارٍ تأتيهن إلى الأسواق والحانات من بلاد مختلفة ضمن عملية الاتجار بالرقيق . قال الأعمى يصف جـواري راقصات من تركستان وكابل :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ تَرْكَمِي حَوْلَنَا تَتْرَكَ وَكَابِئٌ (٣)

هذا، ولا يجب أن نستبعد وجود جوارٍ من العرب كن ضحايا الغزو والسبي : قال عنتره (٤) :

-
- (١) - الأعمى : ٩ : ١٢٣
(٢) - الصبح المنير : ١٤ .
(٣) - المصدر السابق : ٢٢٤ .
(٤) - ديوان عنتره : ٨٠ .

كَمْ لَيْلٍ قَدْ قَطَعْنَا فِيكَ صَالِحَةً
مَعَ فِتْيَةٍ تَتَعَاطَى الْكَأْسَ مَتْرَعَةً
تُدْبِرُهَا مِنْ بَنَاتِ الْعَرَبِ جَارِيَةً
رَهْبِيذَةً صَفْوَهَا مَا شَابَهُ كَسْدَرٌ
مِنْ خُمْرَةٍ كُلَّهَيْبِ النَّارِ تَزْدَهْرُ
رَشِيْقَةً اللَّذِّ فِي أَجْفَانِهَا حُودٌ

وقد كان من صفات الجوّاري والساقيات والقيان أن يرتدين الشياّب الواسعة المفتوحة التي تسمح بجسّ الندامى ومداعتهم لهنّ (١) .

وتجدر الإشارة الى أنّ الآثار السلبية لشرب الخمر ترجع كلّها الى خرق واضح لناحية ما من نواحي المفهوم الخلقي البدوي : كاخفار الدّمّة ، والوقوع في المحرّمات ، مما أورث الحزن والأسى والعار ، ودفع بضحاياه الى تحريم الخمر على أنفسهم - كما سنرى في فصل لاحق - أو الى الانتحار بشربها صرفاً للخلاص من العار بالموت . ولهذا أقدم أربعة من سادة العرب وأشرفها على شرب الخمر صرفاً حتى الموت وهم :

١- " زهير بن جناب بن هبل رأس قضاة ، وعاش - فيما يُقال - أربعاً وثلاثين سنة ، وأوقع مائتي وقعة ، وكان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه ، فلما أسنّ وذهب عقله كان بعض ولده يرافقه خشيّة أن يضيع ، فلما علم أن امرأته تبعث بابنه ليعود به غضب وحلف ألاّ يشرب الخمر حتى مات . . وخالفه ابن أخيه بعدما كان سيّد قومه ، فخنن وشرب الخمر صرفاً حتى مات " (٢) ، وذلك أنه قال يوماً : " ليظعن الحسي ، فقال ابن أخيه :

إنّ الحّيّ مقيم ، فأعادها مراراً ، وأعادها ابن أخيه مراراً . فقال : من هذا يرد عليّ ؟ فقالوا : ابن أخيك . فقال : وما أحد بينها ؟ قالوا : لا ، قال :

(١) - قال الأعمش : الصبح المنير : ١٤٧ :

لَجَسَّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدَّرْعِ مَفْتَقِ

وَرَادِعَةً بِالْمَسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدُنَا

(٢) - كتاب المعمرين : ٢٤ - ٢٦ ، و ٢٩ .

شَرَّ النَّاسِ لِلرَّجُلِ ابْنُ أَخِيهِ ، فَشَرِبَ الْخَمْرَ صَرْفًا حَتَّى مَاتَ " (١) .

٢- عمرو بن كلثوم التغلبي ، " وكانت الملوك تبعث إليه بحبائه وهو بمنزلة من غير أن يفد إليهما ، فلما ساد ابنه الأسود بن عمرو بعث الملوك إليه بحبائه كما بعثت إلى أبيه . فغضب عمرو وقال : سأواضي بولي ، وحلف ألا يذوق دسماً حتى يموت . وجعل يشرب الخمر صرفاً حتى مات " (٢) ، و" جعلت امرأته تعتزله كي يأكل ، فأبسى واشتد عليها وهو يقول : (٣)

مُعَاذَ اللَّهِ تَدْعُونِي لِجَنَسَتِ
وَلَوْ أَفْجَرْتُ أَيَّامًا قَتَسَارًا "

٣- وأبو البراء " عامر بن مالك بن جعفر عم لسبيد بن ربيعة ، وكان سأل رسول الله (ص) أن يبعث معه قوماً يعرضون على بني جعفر الإسلام ، ويفقهونهم فسي الدين ، فبعث إليهم قوماً من أصحابه ، فعرض لهم عامر بن الطفيل يوم بشر معونسة فقتلهم أجمعين . فاعتصم أبو براء عمّاً شديداً لاخفاف عامر بن الطفيل ذمته ، ودعا بني عامر إلى الوثوب به ، فلم يجيبوه ، فشرب الخمر صرفاً حتى مات " (٤) ، وهو القائل " لا خير في العيش وقد عصتني عامر " (٥) .

٤- والبرج بن مسهر الطائي^(٦) ، وذلك أنه سكر مرة ، فراود أخته عن نفسها فنالها ، فلما أخير بذلك " مضى هارباً إلى الشام ثم تنقر بها ، وشرب الخمر صرفاً حتى

(١) - قطب السور : ٤١٨ ، وفي المحبّر : ٤٧١ : " وقال : عدو الرجل ابن أخيه

غير أنه لا يدع قاتل عمه " .

(٢) - قطب السور : ٤١٦ .

(٣) - ديوان عمرو بن كلثوم : ١٤ ، والمحبّر : ٤٧١ .

(٤) - قطب السور : ٤١٧ ، وفي كتاب المعمرين : ٢٩ : اكتفى السجستاني بالقول :

" وشربها أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر حين خولف " .

(٥) - المحبّر : ٤٧٣ .

(٦) - في الأغانى : ١٤ : ١٢ هو البرج بن الجلاس الطائي ، ونشوة الطرب : ١ : ٩٢ .

مات ندامة على ما كان منسه " (١) .

ونلاحظ هنا أن الانتحار بشرب الخمر الصّرف كان نتيجة عملية لعجز القسوم
عن احتمال نتائج الاخلال بالنظام الخلقي العربي كاخفار الذمة، ومخالفة كبيسر
القوم والتطاول عليه، والوقوع في المحرمات .

(١) - قطب السرور : ٤٢٠ ، والرواية أكثر تفصيلاً في الأغاني : ١٤ : ١٢ ، وفي
المحبر : ٤٧١ .

الخمرة في حياة العرب الدينية في الجاهلية، وأبعاد تحريمها الأخلاقية والدينية:

كان للخمرة أيضاً دورها في حياة العرب الدينية ، فقد شكّلت إحدى المواد التي كانت تُقدّم قرابين للأصنام . هذا وقد مارس العرب السُّكْب ؛ وهو سكب الخمر على الأوثان لتشربها الأرض (١) . وكانت سرعة شرب الأرض للخمر لأنها من السوائل إشارة ، كما فهمها العرب ، لرفض الآلهة وقبولها للذبيحة . وقد ارتبط الشراب من حيث كونه قرباناً بفكرة انتشرت عند الساميين ، ومنهم العرب ، أن الأموات تعطش كثيراً ، وأن الشراب أسمى من الطعام في القرابين لأنه يروي عطش الروح بعد الموت (٢) . وربما لهذا السبب ارتبطت فكرة الهامة عند العرب بالعطش وطلب الارتواء (من الخمر تحديداً) : قال عمرو بن مَعْدِيكِرِب : (٣)

لُصَّحَتْ تَنَادِي الْهَامِ مِنْهُمْ بِأَرْضِنَا صِبَاحُ النَّدَامَى حَوْلَ بَيْتِ تَجَارِ

وقال طَرَفَةُ : (٤)

فَذَرْنِي أَرْوِي هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا مَخَافَةَ شَرْبِ فِي الْمَمَاتِ مَصْرَدِ
كَرِيمٍ يَرْوِي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ سَتَعْلَمُ إِنْ مَتْنَا صَدَى أَيْنَا الصَّدَى
وقال تَابِطُ شَرَا (٥) :
وَلِكِنِّي أَرْوِي مِنَ الْخَمْرِ هَامَتِي وَأَنْضُو الْمَلَأَ بِالشَّجَبِ الْمَتَشَلِّشِ

وقد اشتملت بهذه الكفرة مسألة اراقه الخمرة على قبر الميت من الندماء ، كما كان الندامى يصبون الخمر على قبوري الاعشي وابي محجن الثقفي (٦) . فقد

(١) - لويس شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (مطبعة الأبساء
اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٢ - ١٩٢٣) : ١٥ .

(٢) - Robertson Smith : The Religion of the Semites : 235

(٣) - ديوانه : ١٠٦ .

(٤) - ديوانه : ٣٠ .

(٥) - ديوانه : ١٤٠ .

(٦) - قطب السورور : ١٢٣ : " وفتيان أرمينية يخرجون طعامهم وشرابهم فيتنزهون
عنده ، فإذا شربوا كأساً صبوه على قبره " .

قدم أحدهم اليمامة فسأل عن قبر الاعشى فأشاروا إليه ، فقال : " مالي أراه وطبا؟ قالوا : إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم ، فإذا صار إليهم القدر صبوه عليه لقوله : أرجع إلى اليمامة فأشبع من الأظييين الزنا والخمر" (١) .

وربما كان من أصنام العرب ما يرمز إلى إله الخمر . فقد ورد أن منى هو " من الأصنام المشهورة عند بني إسرائيل في عصور جاهليتها لأننا نعلم من آيات أشعيا أن منى كان إلهاً للخمر : " وأما الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى فربقوا إلى جد (إله الحظ عند الكنعانيين) وملأوا لمنى خمرًا ممزوجًا " : (أشعيا ، الإصحاح ٦٥ ، الآية ١١) (٢) . والتشابه في اسم منى قد يكون مجرد مصادفة بين منى العربية ومنى إله الخمر عند اليهود ، إلا أننا نعرف أن ديانة العرب قبل الإسلام قد ارتبطت بغيرها من الديانات السامية ارتباطًا وثيقًا ، ولعل منى قبل شكل في حقبة زمنية بعيدة إلهًا للخمر عند العرب . إلا أن ذلك يبقى مجرد افتراض لا يقوم على دليل ملموس . هذا ، ونعرف من الشعر أن العرب قد أقسمت في جاهليتها بالخمر :

وكل مشعشعٍ مِلَّ خُمُرِ أَنْ (٣)

حلفت له بما حجت قريش

كما نعرف أن دُبَيْة ، وهو سادن اللات ، كان يسقي الناس الخمر : قال أبو خراش في رسالته (٤) :

وسط الشروب لم يلئم ولم يطف

ما لدبية منذ العام لم أره

(١) - الأغانى : ٩ : ١٢٣ .

(٢) - ولغنتون : تاريخ اليهود : ٨٣ .

(٣) - البيت لحسان بن ثابت : ديوانه : ١ : ١٣٩ .

(٤) - شرح أشعار الهذليين : ٣ : ١٢٢٧ .

لَوْ كَانَ حَيًّا لَغَادَاهُمْ بِمُتْرَمَةٍ
كَأَبِي الرُّمَادِ مُطِيبِمُ الْبَدْرِ جَفْنَتَهُ
فِيهَا الرُّوَابِقُ مِنْ شِيْزَى بَنِي الْهَظْفِ
عِنْدَ الشَّتَاءِ كَحَوْضِ الْمُنْهَلِ اللَّقِيفِ
إِلَّا السَّبَاعَ وَمَرُّ الرِّيحِ بِالْفُسْرُورِ
أَمْسَى سَقَامٌ خَلَاءٌ لَا أَنْيْسُ بِهِ

إن هذه الإشارات، وإن كانت لا تقوم مقام الدليل الملموس، توحي بشأن العرب قد عرفت - على فرار غيرها من الأمم القديمة - إلهاً يمثل الخمر أو علس الأكل دوراً هاماً للخمر في عبادتها . إذ أنه ليس من المنطق أن ينفرد العرب عن غيرهم من الأمم في عبور جاهليتهم بنفي آثر الخمر نفياً قاطعاً من عباداتهم وشعائرهم . فقد تبوّأت الخمرة على مرّ التاريخ القديم دوراً هاماً في عبادات الشعوب تجلّى في تخصيص آلهة لها وتكريمهم وبناء المعابد والهيكل لهم ، ولهذا فإن استثناء العرب من هذه الشعوب أمر مستغرب نظراً لشدة إقبالهم على الخمر وارتباطها بحياتهم الاجتماعية والاقتصادية .

وعلى الرغم من تعلق العرب بالخمر على أنواعها ، فقد حرّمها البعض على أنفسهم في الجاهلية . وإذا نظرنا في أبعاد هذا التحريم، تبين لنا أنها ذات شقين: الأول أخلاقي يرتبط بالقيم البدوية في الجاهلية، والثاني متصل بالتدين أو متأثر بالشعوب الأخرى التي اتصل بها العرب قبل الإسلام . فما هي أبعاد هذا التحريم الأخلاقي والديني؟ وهل كان تحريم الخمرة في الجاهلية يرتبط بالتدين فسي أساسه، أم أنه متعلق بالمفهوم الخلفي العربي العام في معظم الحالات؟

تحتفظ المصادر بذكر عدد من أشراف العرب وسراتها وحكمائها وشعرائها - وكل منهم حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية . واهتمام المصادر بأسباب هذا التحريم الذي فرضته قلة من العرب على أنفسهم في وقت سبق التحريم الإسلامي للخمر دليل على شيوع الخمرة وغيرها من الأشربة المسكرة بين العرب وإلا لما كان هناك داعٍ لتعرض المصادر لهذه الناحية من الحياة الجاهلية ، وإنما أفردت الكتب فصولاً

عن هذه الناحية لتفردها وتميزها . واذا نظرنا في دوافع هذا التحريم وأسبابه وجدنا أنها متشابهة في معظمها ، ومستندة الى أصل واحد ؛ هو عدم الاخلال بالمعيار الأخلاقي العام عند العربي في الجاهلية . وأسباب التحريم عديدة ومختلفة باختلاف الأفراد ، ولكنها تنحصر كلها في إطار واحد ذي طابع أخلاقي عام حدوده هي تلك القيم التي درج عليها البدوي في الصحراء ، وقدّرنا تقديراً كبيراً . وهي : المروءة والحلم والوفاء والجود والشجاعة والوقار والكرامة والتنزه من السفاهة . واللائق للنظر حقاً هو أنّ الجماعة التي حرّمت الخمر على نفسها ، في غالبيتها ، حرّمتها بعد أن تعاطتها طويلاً ، ودرجت عليها . وباستثناء قلّة نادرة منها لم يكن تحريم الخمر عند العرب في الجاهلية يستند الى مبدأ قاطع في الأساس ، وانما جاء التحريم نتيجة للاسراف في شرب الخمر الى حدّ السكر القبيح الذي يدفع الرجل الى القيام بأعمال يراها - ويراهها مجتمعه - شائنة بالمقياس الخلقي العام حينئذٍ .

على أنه يجب أن لاننفي وجود نوع من الحافز التديني عند قلّة من العسرب في الجاهلية يعود الى أصول حنيفية ، أو الى أصول توحيدية عامة من جهة ، أو يعود الى تأثير هذه القلّة بغيرها من الشعوب وكان لهذا البعد الديني دور هام في تحريم الخمر عند هذه القلّة ، ولكنه يبقى دوراً محصوراً بها .

فمن الشعراء الذين حرّموا الخمر على أنفسهم على أساس ديني : النابغة الجعدي ، وكان " ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما يفعل بالعقل ، وهجر الأزام والأوثان ، وقال في الجاهلية كلمته التي أولها :

من لم يقلها فنفسه ظلمسا

الحمد لله لا شريك له

وكان يذكر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر" (١) .

ومنهم أمية بن أبي العلت، وكان " قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسحوق
تعبدًا، وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفة، وحرّم الخمر، وشكّ في
الأوثان وكان محققًا، والتمس الدين وطمع في النبوة، لانه فرأ في الكتب أن نبيا
يبعث من العرب فكان يرجو أن يكونه " (١).

وربما حرّمت قلة من الناس الخمر في الجاهلية متأثرة بشعائر قديمة، فقد
ورد في نقوش نبطي: " هذان الهيكلان قد أقامهما عبيدو بن غانمو... لشيوع
القوم (اسم اله) الإله الطيب المجازي الذي لا يترب الخمر .. الخ " (٢).

ويبدو أن " شيع القوم " إله قوم من الأنباط الذين يدعو مذهبهم الى عدم
شرب الخمر، وكذلك ذكر تيودور المشلي أن عقوبة الاعدام كانت تطبق على العرب
الأنباط في أحوال معينة منها شرب الخمر (٣). الا أننا لا نستطيع أن نحكم فيما
إذا كانت غالبية البدو متأثرة بهذه الشعائر القديمة، فإذا كانت كذلك
تكون لتحريم الخمر أصول دينية واضحة، وبالتالي ربما كان الشفء بالخمر وليسد
فترة متأخرة زاد فيها احتكاك البدو بالناس المستقرين بالعواضر، وبالحرركة
التجارية آنذاك .

وفي الجهة المقابلة نرى أن غالبية الذين حرّموا الخمر في الجاهلية
حرّموها لأسباب لا تتعل بالدين بقدر ما ترتبط بالمعيار الخلفي العام . وقد
أفرد ابن حبيب في كتابه " المحبّر " فصلاً في من حرّم الخمر والسكر والأزلام فسي
الجاهلية، عدّد فيه أسماء ثمانية وعشرين رجلاً من سادة القبائل المختلفة
وأشرفها وشعرائها، وذكر من ضمنهم الشايفتين الجعدي والذبياني، وقس بسن

(١) - الاغانبي : ٤ : ١٢٦ .

(٢) - مجموعة النقوش السامية ٨٦ ، ٤٧١ ، وديسو : العرب في سورية قبل الاسلام :
١٤٥ .

(٣) - العرب في سوريا قبل الاسلام : ١٤٥ .

ساعدة الإيادي، وعُبيد بن الأبرص الأسيدي، وزهير بن أبي سلمى المزني (١). والشاعران الأخيران قد تعرّضا لذكر الخمر كثيراً في ديوانيهما (٢) مما قد يدلّ على شربهما لها قبل أن يحرمها لأسباب مختلفة. ومن سادة القبائل الذين ذكروهم ابن حبيب : " عبد المطلب بن هاشم، وشيبة بن ربيعة بن شمس، وعثمان بن عفان، وورقة بن نوفل . . . والوليد بن المغيرة . . . وضرب فيها ابنه هشاماً على شربها، والعباس بن مرداس السلمي : وقال : " لا أشرب شراباً أصبح سيد قومي وأمسي سفيهم . . . " (٣)، وغيرهم . وفي الروايات أن أول عربي حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية هو قيس ابن عاصم بن سنان، وذلك أن تاجراً من بني عبد الدار (٤) جاوزه وكان يتجرّ في أرض العرب، وقيل بل تاجر ديباً في (٥) ، " فشب قيس ليلة فسكر، فربط التاجر وأخذ ماله، وشرب من شرابه، وجعل يتناول ويناور النجوم ليغلبها، وليتناول القمر، وقال :

وَتُجَارُ فَاجِرٌ جَاءَ إِلَهُ بِهِ كَانْ عَشْنُونَهُ أَدْنَابُ أَجْمَالِ (٦)

وقيل إنّه حرّمها إذ " أنخمّاراً استجار به فأنزله وأكرمه، فسقاه الخمر حتى سكر فأخذ رمحه وشقّ زقاق الخمر، فوافته أخته فساورها وأرادها على نفسها، فشقّ ثوبها وخمش وجهها، فلما صحا وخرج، نظر إلى الخمر جارئة، وجاره الخمر يدعو

(١) - المحبّر : ٢٣٨ .

(٢) - راجع ديوان زهير : ٣٥، ٧٢، ٨٨، ١٠١، ١٣٩، ٢٦٣، ٢٦٥، ٣١٥، وكذلك ديوان

عُبيد : ٢١، ٣٧، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ١١٠، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٣ .

(٣) - المحبّر : ٢٣٧ .

(٤) - الأغانى : ١٤ : ٨٠ . وقيس هذا شاعر فارس شجاع حلّيم كثير الغارات مظفر في غزواته أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما، وقد رشاه عبدة بن الطبيب

فقال :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكَهُ هَلِكٌ وَاحِدٌ وَلَكِنَّهُ بَنِيَانٌ قَوْمٌ تَهْدَمُوا

الأغانى : ١٤ : ٦٦ .

(٥) - الأغانى : ١٤ : ٨٠ .

(٦) - المصدر السابق : ١٤ : ٧١ .

بالزبد والشبور، فرجع إلى أخته، فقال: من فعل هذا بجاري الخمار؟ قالست: الذي راود أخته وفعل بوجهها وثوبها ما ترى، فاستحيا من ذلك، وحرّم الخمس حتى مات^(١). وقد روي عن قيس بن عاصم شعرًا قاله في سب تركه الخمر^(٢)، ومنه:

فَيَا شَارِبَ الصُّهْبَاءِ دَعَهَا لِأَهْلِهَا، الْغَوَاةِ وَنَمِّ لِلْجِيمِ مِنَ الْأَمْرِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا مَا شَرَبْتَهَا وَأَكْثَرْتُ مِنْهَا مَا تَرِيشُ وَمَا تَبْرِي^(٣)

وقد اخترت أن أورد قصة قيس بن عاصم وتحريمه الخمر بشيء من الأسباب عمدًا، فهو ممن حرّموها في الجاهلية، وقصته في تحريمها، كما وردت في المصادر، تجمع عدة أسباب معًا: فإكثاره من الخمر جعله يستذل نفسه، ويسيء الجوار، ولا يرضى الحرّمات.

ومن سرافة القوم يقيس بن صباه السهمي، دفعته كثرة الشراب إلى السكر الشديد القبيح، "حتى مرّ ينادي بقومه ويخط ببوله ويقول: أصنع لكم نعامًا أو بعيرًا، فلما صحا، خُبر بما صنع فحرّمها على نفسه، وقال:

تَرَكْتُ الرَّاحَ إِذَا أَبْصَرْتُ رَشْدِي فَلَسْتُ بِعَائِدٍ أَبْدًا لِلرَّاحِ
أَشْرَبُ شَرِبَةَ تَزْرِي بِعِزِّي وَأَصْبِحُ ضِحْكَةً لِدَوِي الْمَصْلَاحِ^(٤)

ومنهم عبد الله بن جدعان، فلقد عابها ابن جدعان قبل موته، وقال: (٥)

-
- (١) - قطب السرور: ٤١٩ .
(٢) - المحبر: ٢٣٨، وقطب السرور: ٤١٩ .
(٣) - الاغانبي: ١٤ : ٨٠ .
(٤) - المحبر: ٢٣٧، وقطب السرور: ٤٢١ .
(٥) - المحبر: ٢٤٠، والاعناني: ٨ : ٣٣٤ . وقطب السرور: ٤٢٣ .

أَلَسْتُ مِنَ السَّفَاهِ بِمُسْتَفِيقٍ
أَنَامَ بِهِ سِوَى التَّرْبِ السَّحِيْقِ
وَأَنْكَرْتُ الْعَدُوَّ مِنَ الصَّدِيْقِ

شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى قَالَ قَوْمِي
وَحَتَّى مَا أَوْسَدَ فِي مَنْسَامٍ
وَحَتَّى أَغْلَقَ الْحَانُوتَ رَهْنِي

وكان " سبب تركه الخمر أن أمية بن أبي الصلت شرب^(١) معه فأصبحت عين من أمية مخفزة يخاف عليها الذهاب . فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت ، فلما ألتح عليه ، قال له : أنت صاحبها أصبتها البارحة . فقال : أوبلغ مني الشراب الذي أبلغ منه من جليسي هذا . لا جرم لأدينها لك ديتين ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وقال : الخمر علي حرام أن أدوقها أبداً ، وتركها من يومئذ^(٢) .

وقد كانت كبراء قريش تترك شرب الخمر عندما تتقدم في السن خوفاً من الاسراف في شربها ، و " استحياء مما فيها من الذنس " ^(٣) ، ويمكننا الذهاب إلى أبعد من ذلك فنقول إن تحريم الخمر في الجاهلية في غالبه كان جزءاً من تحريم لذات الجاهلية عند الكبراء تنزهاً وتكرماً ، وصوناً لوقار الشيخوخة . تلك اللذات التي كانت أيام الشباب مصدراً من مصادر الفخر ، وهي الميسر والخمر والنساء . . . وقد ذكر ابن حبيب أن من حرم الخمر في الجاهلية حرم معها الأزلام^(٤) ، ومنهم من حرم الزنا^(٥) : فمنهم عفيف بن معديكرب الكندي ، وبهذا سمي عفيفاً وكان اسمه شراويل^(٦) . ومنهم الأسلم اليمامي الذي قال^(٧) :

(١) - يبدو أن أمية بن أبي الصلت كان قد حرم الخمر على أساس تديني كما ذكرت ، وطمع بالنبوة ، ولكننا نعثر على روايات تؤكد شربه للخمر بعد مبعث النبي ، وهذه الرواية إحداها .

(٢) - الأفايني : ٨ : ٣٣٤ .

(٣) - المصدر السابق : ٨ : ٣٣٤ .

(٤) - المحبر : ٢٣٧ .

(٥) - المصدر السابق : ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٦) - المحبر : ٢٣٩ ، وقطب السرور : ٤٢١ ، وقال :

فَقُلْتُ عَفِفتُ عَمَّا تَعَلَّمِينَا

بِهَا فِي الدَّهْرِ مَشْغُوفًا رَهِينًا

أَكُونُ لِقَعْرِ مَلْحُودٍ دَفِينًا

وَقَالَتْ لِي هَلُمَّ إِلَى التَّصَابِي

وَوَدَعْتَ الْقِدَاحَ وَقَدْ أَرَانِي

وَحَرَمْتَ الْخَمْرَ عَلَيَّ حَتَّى

(٧) - المحبر : ٢٣٩ .

وَالسَّلَامُ أَبْقَى فِي الْأُمُورِ وَأَعْرَفُ
وَالْمُومِسَاتِ وَتَرَكَ ذَلِكَ أَشْرَفُ
وَكَذَاكَ يَفْعَلُ ذُو الْحِجَى الْمُتَعَلِّفُ

سَأَلْتُ قَوْمِي بَعْدَ طَوْلِ مِظَافَةٍ
وَتَرَكْتُ شَرْبَ الرَّاحِ وَهِيَ أَثِيرَةٌ
وَعَفَفْتُ عَنْهُ يَا أُمَيْمُ تَكْرُمًا

وبدفعنا هذا الى القول إنَّ تحريم الخمرة وهي الأثيرة لم يكن مقصودا لذاتها من منطلق ديني، وانما كان القسم بتحريمها هو الملزم دينيا للرجل؛ فتحريم الخمرة ينبع من منطلقات أخلاقية في الدرجة الأولى، ويعتبر من نفسه باتخاذ الشكل الديني المتجسد بالقسم أو النذر .

وهناك ناحية أخرى من نواحي الحياة الجاهلية حرمت فيها الخمر كما حرمت غيرها من اللذات، وهي حالة الشار والوتر قد تكون ذات صلة بما سبق . ويذهب بعض الدارسين الى أن في تحريمها أصولا دينية (١) . فقد كانت العرب تقسم على ألا تتحل ولا تمت طيبا، ولا تأكل لحما، ولا تشرب خمرا ولا تغسل رأسها ولا تمت امرأة حتى تدرك الشار (٢) . وبمعنى آخر كانت تحجم عن كل أنواع اللذات المباحة وهي في حالة الاستعداد للشار، حتى إذا ما نالت شارها حلت لها هذه اللذات . قال عمرو القيس بعد الشار لأبيه (٣) :

(١) - Goldziher, Ignaz. Muslim Studies, vol. I, p. 30.

(٢) - الأغانى : ١٠ : ١٣ ، وفيها أن دُرَيْدًا بن الصَّمَّة فعل ذلك حتى شار لأخيه ، والأغانى : ٧١ : ١٧ : أقسم حَضِير الكتائب ألا يشرب الخمر حتى يهدم أطم عبد الله بن أبي ، وفي الأغانى : ٩ : ٨٦ : أن امرأ القيس لما علم بقتل أبيه شرب سبعا ، فلما صحا آلى ألا يأكل اللحم ولا يشرب الخمر ولا يدهن بدهن ولا يمصب امرأة ، ولا يغسل رأسه من جنابه حتى يدرك بشأره من بني أسد .

(٣) - ديوانه : ٢٥٨ . وارجع الى ما كان قاله قبل الشار لأبيه : ديوانه : ٢٥٧ :

لَا تَسْقِنِي الْخُمْرَةَ إِنْ لَمْ يَسْرُوا قَتَلِي فَشَامَا بِأَبِي الْفَاضِلِ
حَتَّى أَبِيرَ الْحَيِّ مِنْ مَالِكَ قَتَلَا وَمَنْ يَشْرَفُ مِنْ كَاهِلِ

فشاما : جماعات . مالك وكاهل : حيان من أسد .

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ أَمْرًا
عَنْ شَرِبِهَا فِي شَغْلِ شَاهِبِ
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ فَيُرْ مُسْتَحْبِبِ
إِثْمًا مِنَ اللَّهِوَلَا وَأَهْبِلِ

وربما المقصود بالاثم من الله هنا النكوث بالقسم والندر .

ومن الطبيعي ان يحجم المرء عن اللذات وهو في حالة الحزن لموت قريب ،
أو في حالة الشار له . أما إرجاع مسألة تحريم اللذات في مثل تلك الحالات الى
أصول دينية بحثة فهي محاولة ترجيحية في الغالب . ومرة أخرى نلاحظ كيف تتفصّل
دوافع التحريم أشكالاً دينية ، فيصبح القسم أو النذر هو الملزم للرجل بالتحريم
وهذا شيء متّصل بالدين : قال قيس بن الخطيم (١) :

وَمِنَّا الَّذِي آلَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَلَمَّا هَبَطْنَا الْحَرثَ قَالَ أَمِيرُنَا
عَنْ الْخَمْرِ حَتَّى زَارَكُم بِالْكَتَابِ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى أَهَلَّتْ لِشَارِبِ
حَرَامٌ عَلَيْنَا الْخَمْرُ مَا لَمْ نَضَارِبِ
فَسَامَحَهُ مِنَّا رِجَالٌ أَعْوَزَةٌ

ويبدو أن العرب حرّمت على نفسها الخمر وغيرها من اللذات حتى تأخذ بشأرها
لسبب آخر وهو أن لا تشكل اللذات عائقاً عن الشار ، ولا يكون اللهو والانشغال به
مدعاة الى ترك الغريم . قال عبيد بن الأبرص (٢) يعيّر امرأ القيس بانصرافه الى

== وأيضاً ما قاله بعد الشار ، وهو يوضح النذر بالتحريم : ديوانه : ٣٦٠ : ومنها :
وَأَقَامَ يُسْقِي الرِّاحَ فِي هَامَاتِهِمْ
حَلَّتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ تَحْرِيمِ لَهَا
مَلِكٌ يَعْلُ بِشَرِبِهَا تَعْلِيماً
أَوْ أَنْ يَمَسَّ الرَّأْسَ مِنْهُ غُسُولاً

(١) - ديوانه : ٤٤ - ٤٧ ، بعد البيت الأول يوجد خمسة أبيات لم أذكرها .

(٢) - ديوان عبيد : ٧٤ . والقراقرز : الحادي الحسن الصوت . وراجع كذلك ، ديوانه

١٠٢ :
وَأَنْتِ امْرُوءُ الْهَاكِ دَفِ وَقِينَةَ
عَنْ الْوَتْرِ حَتَّى أَحْرَزَ الْوَتْرَ أَهْلَهُ
فَتَصْبِحُ مَخْمُورًا وَتَمْسِي كَذَلِكَ
وَأَنْتِ تَبْكِي إِثْرَهُ مَتَهَالِكًا

اللهو وتركه شار أبيه :

سُفِينَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ بْنِ حَارِثٍ
وَأَلْهَاهُ شَرِبَ نَائِمٌ وَقُرَاقِبُ
كُوَيْسِ الشُّجَا حَتَّى تَعُوذَ بِالْقَهْرِ
وَأَعْيَاهُ شَارَ كَانُ يُطَلَّبُ فِي حَجْرٍ

وقد كانت بعض النساء تحلف بأن تشرب الخمر إذا أدركت شارها إسوة بالرجال، فقد نذرت صلافة بنت سعد بن شهيد " حين قُتِلَ عاصم بن ثابت ابنها يوم أحد لثمن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر " (١)، وكانت قد جعلت جائزة لمن يأتيها برأس عاصم .

من هنا نفهم أن الخمرة حرمت في مسألة الشار حتى لا تلهي صاحبها عن الوتر - وهذا من المقدسات المبدئية في المجتمع القبلي - حتى إذا أصاب صاحب الشار شاره أبيحت له من جديد، فعاد إليها عودة فرحة :

حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا
فَأَسْقَنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو
وَبَلَّيْ مَا أَلَمَّتْ تَحِيْلُ
إِنْ جِئْتِي بَعْدَ خَالِي لَخُلُّ (٢)

هذا وقد أشار د. ربرتسون سميت الى أن الولاء للقبيلة عند الفرد البدوي كان يفوق ولائه الديني ، فقد كان العربي آنذاك قليل الايمان ، وقليل الاهتمام بالشعائر ، ولكنه كان محتفظا بالولاء الحقيقي للقبيلة باعتبارها رمز كيانه ووجوده السياسي (٣) . ولا شك أن شرعة القبيلة التي تقوم على مبدأ المسروعة

(١) - الأغانى : ٤ : ٢٣٠ .

(٢) - ديوان تأبط شراً : ١٦٩ .

(٣) - The Religion of the Semites : 47 .

ويسوق لذلك مثال ضرب امرئ القيس للمنم بالقداح حين نهاه عن الشار لابييه .

وكل ما يندرج فيها ؛ كالحلم والمروءة والحكمة والشجاعة والكرم الخ.. كانت ملزمة للجاهلي الى حد بعيد . وهذا ما يجعلنا نغلب الأبعاد الأخلاقية المتعلقة بتحريم الخمر على الأبعاد الدينية حتى لو تزيّنت السبل الى التحريم بلهـساس ديني. وادا سلمنا بأن تأثر العرب في تحريم الخمر كان يتّصل بشعائر قديمة فلا بد من القول إنّه كان يفقد أثره تدريجياً قبيل الإسلام ، وليس أدل على ذلك من سرقة فتيان قريش لغزال الكعبة وشراهم الخمر بثمنه (١) ، وقبلها قصة بيع أبي فبشان البيت لقصي بن كلاب بن مرة ببيعير وزقّ خمر (٢) .

(١) - القصة في المنمق لابن حبيب وهي طويلة : ٥٤ - ٦٧ .
(٢) - راجع القصة في المسعودي : ٢ : ١٧٥ .

الخمير والذات الجاهلية :

إن انتشار الخمرة بين العرب جعلها في طبيعة الذات الحسية عندهم فسي
الجاهلية . وقد ورد في الشعر أن الخمر والميسر هما لذتا الجاهلية
الأساسيتان : قال لبيد (١) :

عَهْدِي بِهَا الْإِنْسُ الْجَمِيعُ وَفِيهِمْ قَبْلَ التَّفْرِقِ مَيْسِرٌ وَنِسْدَامٌ

وقال عنتره (٢) مفتخراً بممارستها ، وقارناً بينهما :

رُبِّدِ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا هَتَاكَ غَايَاتِ التِّجَارِ مَلُومٌ

أما الذات الثانوية فقد تنوعت ، فكان منها النساء والصيد والطرد والاطعمة
والتطيب بالزعفران وغيرها . وهي لذات كان العرب يمارسونها قبل الاسلام ، ولكنها
كانت تختلف في أهميتها بين فرد وآخر . هذا وقد ارتبط ذكر الخمرة في الشعر
بذكر غيرها من لذات الجاهلية ارتباطاً وثيقاً ، إذ يندر أن نقع على أبيات
تذكر الخمرة وحدها . وغالباً ما كان ذكر الخمر يستدعي ذكر غيرها من اللذات
السائدة وكان الخمر سبيلها وبابها . قال عدّي بن زيد (٣) :

مَنْ سَرَّهُ الْعَيْشُ وَلِذَاتِهِ فَلْيَجْعَلِ الرَّاحَ لَهُ سَلَامًا

ولقد حفل الشعر الجاهلي بوصف الذات ، ولكنه كان دائماً يَبْوِيءُ الخمرة
مكاناً هاماً بينها ، وهو لا يحتوي على قصائد مخصصة لوصف الخمر أو غيرها من

(١) - ديوانه : ٢٨٨ .

(٢) - شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٦٩ .

(٣) - ديوانه : ١٦٦ .

الذات ، ولكن هذا الوصف كان يجيء في سياق القصيدة وضمن موضوعات أخرى مختلفة . وكان لوروده على هذا الشكل أسباب هامة هي الأسباب عينها التي دفعت العرب الى الاقبال على شرب الخمر ، وهي الخوف من الموت وما يعنيه من مصير مجهول ، والرّد على العادلين باسترجاع ذكريات الشباب ولهوه خوفاً من الشيخوخة . ولعلّ مسأ يفتّر ورود وصف الخمر وغيرها من اللذات هو موقف التعلق بالحياة الذي يتجلّس بأوضح معانيه بمباشرة لذات هذه الحياة الحسيّة ، والذي يتّخذه الانسان ملجأ وملاذاً من الشعور المطبق باللاجدوى والعجز البشري أمام فكرة الموت . إنّ هذه المواجهة بين الانسان بكل عجزه وضعفه وبين فكرة الموت كمصير محتوم قد أدت الى فلسفات ذاتية غير معقّدة عند الشعراء . فكان تعبيرهم عنها في الشعر تعبيراً عفويّاً عن مشكلة الانسان والموت والهروب من مواجهة هذه المشكلة بالتعلق بلذات الحياة في مجتمع لم يبلغ درجة البناء الفلسفي لقضية الوجود .

لقد كان شاهد القبر ماثلاً دائماً في ذهن العربي في الجاهلية كعنوان لمصير مجهول . وكان عجز الناس أمام هذا المصير يحيلهم الى " عصفير وذبان ودود " (١) رغم ما يتظاهرون به من قوة وبأس . والانسان في عمق الوعي البدوي زائل ، فهو لا يملك خلود هذه الجبال المنتصبة أمامه بصلافة وانما " نَفْسُ الْفَتَى رَهْنٌ بِقَمْرَةٍ مَوْ رَبِّ " (٢) ، وهو بالتالي لا يملك أداة يدفع بها هذا المصير عنه ، أو مكاناً يحتمي به ويهرب اليه إذ :

لَا يَنْفَعُ الْهَارِبُ إِيفَالَهُ وَلَا يَنْجِي ذَا الْحَدْرِ الْحَدَارُ (٣)

والموت : هذا المجهول المتربّس بالانسان ، المهدد له في كل حين ، ما هو

(١) - امرؤ القيس : ديوانه : ٩٧ .

(٢) - شرح ديوان لبّيد : ٥٥ .

(٣) - المثقب العبدى : ديوانه : ٢٧٥ .

الا " كَالطَّوْلِ الْمَرْخِي وَشَيْئَاهُ فِي الْيَدِ " (١) ، والمنايا في نظر الجاهلي تخبط
" خَبَطَ مَشْوَاءً مِنْ تَمَبِّ تَمْتَهُ وَمِنْ تَخَطِيءٍ يَعْمرُ فِيهِمْ " (٢) ، ولهذا لم يجد الجاهلي
تعريفًا منطقيًا للموت ، فالموت هو الموت بغموضه وحتميته وتحذيه للانسان :
" وهذا الموت يسلبني شبابي " (٣) ، ولهذا أيضا كان شاهد القبر حاضرا في مخيلة
الجاهلي وفي شعره : " فَلَا مُحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمُحِنِّيَةِ " (٤) ، فكان من وجوه التغليب
على الفهم الانساني ازاء الموت مزاولة اللذات وفي مقدمتها معايرة الخمر :

أَلَا فَاسْقِيَانِي قَبْلَ أَشْبَرِ مُظْلِمٍ
بُعِيدٍ عَنِ الْأَحْبَابِ مَنْ هُوَ نَارِلُهُ (٥)

أما الشيخوخة فكانت تشعره بالعجز ، وبأنه كان يمشي إلى ذلك المصير
بخطوات بطيئة ثابتة ، ولهذا شكّل الحنين إلى الشباب وتداعي ذكرياته بحماسة
غناشي مادة هامة في القصيدة الجاهلية بوجه عام ، شكّلت بدورها ملجأ وملاذاً
من هذا المصير القريب حيث كان الشاعر يحاول أن يعيد للشباب نبضه وزخمه :
فنراه تارة يقاتل أعداءه بشراسة وبطولة ، وطورا يقطع المفازات الخطرة على
الناقة الصلبة الخ .. وقد كانت اللذات وفي طبيعتها الخمر إحدى أهم المحطات
في انسياب الذاكرة هذا ، واستعادة مآثر الشباب (٦) :

-
- (١) - ديوان طرفة : ٣٢ .
 - (٢) - شرح ديوان زهير : ٢٩٠ .
 - (٣) - امرؤ القيس : ديوانه : ٩٧ .
 - (٤) - أوس بن حجر : ديوانه : ٧٣ ، ورويت لعبيد بن الأبرص : ديوانه : ٥٢ .
 - (٥) - قاله مرة بن محكان السعدي : حماسة البحري : ٢٣٨ .
 - (٦) - راجع لهذا الشأن غالب قصاد الأعشى ، وشرح ديوان لبيد : ٤ - ٨ ، وديوان
المثقب العبيدي ، ٢٧٤ ، والاسود بن يعفر : الصبح المنير : ٢٩٦ .
- والشعر في ذلك كثير .

يَا لَهْفُ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ
أَفْقِدْ فِيهِ مِثْقَالَ أُسْرَةٍ بِهَا
وَأَسْحَبُ الرِّبْطُ وَالنُّرُودُ إِلَى
أَفْقِدْ بِهِ إِذْ فَدَدْتَهُ أَمَّا
أَمْنَعُ فَيْجِي وَأَهْبِطُ الْعَمَمَا
أَدْنَى تَجَارِي وَأَنْفَسِي اللَّمَمَا (١)

ولكن الفتى "شبابه عليه ثوب معار" (٢)، ولهذا فهو يستغل هذا الشباب

في التمتع باللذات :

تَمْتَعُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فُانٍ
مِنَ النَّشْوَاتِ وَالنِّسَاءِ الْجِسَانِ (٣)

إن اقتران فكرة اللذة بالهرب من الموت عن طريق الخمر تطوّرت عند بعض
الجاهليين الى حد بعيد، وقد عبّر عدد من الشعراء عن هذا التطور بما يشبهه
فلسفات عفوية ذاتية أساسها التعلق بالحياة والتمسك بها من خلال مبادرة اللذات
إبقاء على وجود الفرد الذاتي وتفردّه . كما كان التعبير عن هذه الفلسفات
قطاً ظاهراً لشعور قاتم بالعجز واللاجدوى : فتحوّلت عند امرئ القيس الرمزيج
من لذات أربع : الخمر والصيد والمرأة والسفر في الليل (٤) . واتخذت عند
طرفة شكل مزيج لذات ثلاث : الخمر والقتال والمرأة (٥) . أما الأعشى فتخيّر
الأحامرة الثلاث : " الخمر واللحم السمين مع الطلى بالزعفران " (٦)، وقرن
الحارث بن حلزة بين الخمر والصيد (٧)، وأما حسان بن ثابت ففضلها لأنها
تذهب الحزن والهم (٨) .

-
- (١) - ديوان عمرو بن قميصة : ٥٠ .
 - (٢) - ديوان المثقب العبدى : ٢٧٤ .
 - (٣) - ديوان امرئ القيس : ٨٧ .
 - (٤) - المصدر السابق : ٢٤٠ .
 - (٥) - ديوان طرفة : ٢٨ - ٢٩ .
 - (٦) - الصبح المنير : ٢٤٧ .
 - (٧) - ديوانه : ٢٨ .
 - (٨) - ديوانه : ١ : ٤٤٢ .

في هذا السياق نستطيع أن نفهم تعلق العرب بالخمر . فقد كانت بالنسبة اليهم سُلماً للذات العيش (١) ، ومладаً من القلق والعجز . وقد بلغ بعضهم حدّاً من التعلق بها حتى ساواها بمنزلة الاخوة والاصدقاء :

لعمرك إنني لأحبُّ كعباً وسامةً إخوتي حبي الشرايبا (٢)

(١) - عدي بن زيد : ١٦٦ .
(٢) - الحرث بن ظالم من بني مرة : ديوان المفضليات : ١ : ٦٢٠ ، والشاعر من سادات بني مرة ، وبه ضرب المثل : " أفتك من الحرث بن ظالم " .

الفصل الثالث
=====

الخمسرة في الشعر الجاهلي

الصورة الخمرية في الشعر الجاهلي :

لقد استعملت الصور الفنية المتعلقة بالخمرة وأوانيتها ومجالسها وماتشيره في النفس من خدر ونشوة كثيراً في الشعر الجاهلي لوصف غيرها من الأشياء المادية والمواقف وحالات الشعور . وبهذا فتح أدب الخمرة باباً آخر للصور والأدوات التي رفدت غيرها في نسيج ذلك الشعر . وكثيرها من الصور الفنية الجاهلية تميّزت الصور الخمرية بالمادية في التشبيه في الغالب الأعم ؛ كوصف الشيء بالشيء بآبراز وجه الشبه بينهما والإشارة إليه تعريضاً أو تصريحاً ، ولكنها سمحت ، في حالات قليلة ، بمستوى من التجريد لم يكن كثير الشيوع في الشعر الجاهلي تجلّس في استعارة حالة الخدر والنشوة لوصف غيرها من حالات الشعور المنفصلة عنها . والواقع أننا حين نبحث موضوع الخمرة في الجاهلية ، ندهش لهذا الموروث من الصور الخمرية التي أدرجت لوصف غيرها من مظاهر الحياة الجاهلية ، مما يؤكد ، كما قد رأينا ، انتشار الخمرة بين العرب ، وتغلغلها في حياتهم فاستخدمت صورها الأليفة لتفسير غيرها من الصور ، وشرحها ، وتقريبها الى الفهم والحس والخيال . وهذا يدفعنا بدوره الى التمييز بين نوعين رئيسيين من الصور الخمرية من حيث ارتباطها بالقصيدة الجاهلية فنياً وبنويماً . فالأول هو الصورة البسيطة الواضحة ، أو الصورة الصغرى التي تدرج في القصيدة مع غيرها من الصور المختلفة لوصف الفكرة على غير وجه ، فتكسب القصيدة نضارة وأواناً جاعلة منها ما يشبهه الفسيفساء ولكنها لا ترتبط ببنية القصيدة ارتباطاً أساسياً ، ولا تشكل فيهما موضوعاً خمرياً بحدّ ذاتها . وهذا النوع من الصور شائع في الشعر الجاهلي الى حدّ بعيد . ويبقى أن التمايز في تخير هذه الصور الصغرى مرتبط بتميّز الشعراء وبراعتهم ارتباطاً هاماً ، ولكنه يبقى محكوماً بالتقليد الجاهلي - المادي في غالبه - الذي رقد أيضاً الصورة الخمرية ، ووضع لها حدودها في التشبيه والوصف وأبرزها تشبيه رضاب الحبيبة بالخمر ، والخمر الصافية بعين الديق ، ولعاب

الجندب، وماء النبيء، ولونها بدم الذهب أو دم الغزال الخ . . .

أما النوع الثاني فهو الصورة المركبة أو الصورة الكبرى : المسادة الخمرية التي تشكّل قسطاً هاماً من بنية القصيدة، وتمدّ لها فيها جذوراً بعيدة وبدونها لا تكون القصيدة إياها . غير أنها لا تحقّق للقصيدة وحدة عضوية كاملة إلا في حالات نادرة يسيرة، وهذه قضية ترتبط بالقصيدة الجاهلية عامة، والصورة الخمرية الكبرى قليلة في الشعر الجاهلي قياساً الى غزارة الشعر، إلا أن يكون قد ضاع منه ما ضاع . وفي هذا النوع أيضاً تتمايز القصائد بتمايز الشعراء، فتشكّل الصورة الكبرى عند أوس بن حجر في (وَدِعَ لُمَيْسَ وَدَاعَ الْمَأْرَمِ اللَّاحِجِي) ، وعند حسان بن ثابت في (أَسَأَلْتُ رُسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَأَلِ) موضوعاً من موضوعات القصيدة، ومناخاً من مناخاتها المتعدّدة . وتشكّل عند عدّي بن زيد في (بُكْرَ العَادِلُونَ فِي وَضْحِ الصُّبْحِ) مادة للقصيدة برمتها على أساس الوصف، وفي قصيدته (أَبْلَغَ خُلَيْلِي عَبْدٌ هِنْدِي) أحد قطبيّ الصراع النفسي الحاد بين نشوة الذاكرة وترفها من جهة وقساوة الحاضر المشدود الى القدّ في الأسر من جهة أخرى . ثم تتطوّر في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي (أَبِ الصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءِ حَدَثَكَ الَّذِي) ، وتتعمّق فتصبح عنده مفتاحاً يهديه الى نوع من الوحدة العضوية الفريدة في القصيدة الجاهلية . وهي تتسع، وتطرّد لتجعل من شعر الأعشى قاموساً خمرياً، وسجلاً للمور الوصفية للخمرة لكونها الموضوع والهدف ومحور التغني، جاعلةً من الأعشى الموسس لمن جاء من بعده من الشعراء الخمريين من حيث الألفاظ الخمرية والمور الوصفية المتعلقة بها .

ونلمح نوعاً ثالثاً من الصور الخمرية هو في المنزلة الوسطى بين سابقيه . ولعل أبرز مثال لهذا النوع هو صورة تشبيه ريقة المرأة ورضابها بالخمر أو العكس بالعكس . وهي الصورة الغالبة على غيرها من الصور الخمرية حتى ليتمكن القول أن شاعراً لم يفته أن يذكرها تقريباً . وقد جعلتها في المنزلة

الوسطى لأنها في أحيان كثيرة تشكل مجرد صورة وصفية بسيطة متكررة ، وفي أحيان أخرى نراها المفتاح الأساسي لإيراد المادة الخمرية في الصورة الكبرى . وهي في أحيان أخرى تراوح حدًا من التردد على الحافة بين الصورتين ، فتتعدى الصورة المغرى طامحة الى الصورة الكبرى ولكنها تعجز عنها قاب قوسين أو أدنى ، كما سنرى .

لقد كثرت الصور الخمرية في الشعر الجاهلي ، وكذلك تعددت الاشياء والنواحي الاجتماعية التي وصفتها بدءًا بالوقوف على الاطلال والمنازل ، ومروراً بوصف الاشياء المادية المتعددة ، وانتهاءً بالفخر والمدح والرثاء ، والتحية بالشراب ، حتى أنه يمكن اعتبار هذه الصور اداة طيعة لوصف الأغراض المعروفة في الشعر الجاهلي ، مما جعلها قادرة - في بعض الحالات - على استحداث أسلوب جديد للتعرض لهذه الموضوعات المعروفة في الشعر ، واطهارها بأشكال جديدة ، وأبعاد تتجاوز الحدود المرسومة والمتفق عليها ، أو تتحداهما في أحوال نادرة .

لقد كانت بدايات القصائد الجاهلية - ما خلا قصائد الرثاء - تتراوح بين الوقوف على الاطلال ، وتذكر الحبيبة ، وطروق الخيال ، وذكريات الشباب المنصرم ، والشكوى من الأرق والسهادللفراق الحبيبة . وكانت هذه البدايات أشبه ما تكون بعرف مفروض ، أو تقليد موروث . هنا دخلت الخمرة لتشكل استهلالاً جديداً للقصيد الجاهلية . ولكن هذا الاستهلال ظل - الأفي حالات نادرة - محاولة خجولة متحفظة للإطاحة بالوقوف بالطلل كفاتحة للقصيد . منذ القديم ، فأبقى البعض عليه ، وطقمه بصورة خمرية جميلة : هي تصوير الأحاسيس التي يشعر بها الواقف بالطلل بمشاعر الخدر والنشوة والدوار عند المنتشي بالخمير . ولكن هذه البدايات الخمرية ظلت في معظم الأحيان مقتنرة على وصف حالة الشعور ، فلم تنجح في مدّ جذورها البعيدة في القصيدة برمتها . ويبقى التمايز بين الشعراء في هذه البدايات هو ذلك الوصف التفصيلي الدقيق للخمرة وللحركة التي تحدثها في

الشارب ، لا في علاقتها ببنية القصيدة . وهذان نموذجان للتمثيل والمقارنة :

١ - قال عوف بن عطية الربابي : (١)

بِحَيْثُ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قِفَارًا
جَ الِّسْنِ مِنْ رَازِقِي شِعَارًا
لِسَائِلِهَا الْقَوْلُ إِلَّا سِرَارًا
تَمَعَّدُ بِالْمَرْءِ مِرْفًا مَقَارًا
يُفَضُّ الْمَسَابِيءَ عَنْهَا الْجَرَارًا

أَمِنْ آلِ مِيٍّ عَرَفْتَ الدِّيَارًا
كَأَنَّ الطَّبَاءَ بِهَا وَالنُّعْمَا
وَقَفْتُ بِهَا أَمَلًا مَا تَبَيَّنُ
كَأَنِّي اصْطَبَحْتُ عَقَارِيضًا
سَلَاةً صَهْبَاءَ مَادِيَّةً

وهنا يقطع الشاعر الصورة الخمرية فينتقل الى موضوعات القصيدة الأخرى .

٢ - وقال امرؤ القيس : (٢)

فَعَمَائِتِينَ فَهَضْبِ ذِي أُنْدَامِ
تَمْشِي التَّنْعَاجُ بِهَا مَعَ الْأَرَامِ
وَلَمِيسُ قَبْلُ حَوَارِثِ الْأَيْسَامِ
نَبْكِ الدِّيَارِ كَمَا بَكَى ابْنُ خِدَامِ
كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانِ حِينَ صِرَامِ
بِإِضِّ الْوُجُوهِ نَوَامِ الْأَجْسَامِ
نَشْوَانُ بَاكِرُهُ صُوحُ مَسْدَامِ
مِنْ خَمْرِ عَانَةٍ أَوْ كَرُومِ شِبَامِ
مُومٍ يُخَالِطُ جِسْمَهُ بِسُقَامِ

لَمَنْ الدِّيَارُ غَشِيَتْهَا بِسَحَامِ
فَمَمَّا الْأَطِيطُ فَمَاحَتَيْنِ فَعَاظِرِ
دَارَ لِهَنْدٍ وَالرِّيَابِ وَفَرْتَنَسِي
عَوَجًا عَلَى الظِّلِّ الْمُجِيبِ لِأُنْتَا
أَوْ مَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بَوَاكِرًا
حَوْرٌ تَعَلُّ بِالعَبِيرِ جُلُودَهَا
فَظَلَلْتُ فِي دَمَنِ الدِّيَارِ كَأَنِّي
أَنْفُ كَلُونِ دَمِ الْغُرَالِ مَعْتَقِ
وَكَانَ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ

(١) - ديوان المفضلين : ١ : ٨٣٧ - ٨٣٨ .

(٢) - ديوان امرؤ القيس : ١١٤ - ١١٥ .

وبعد هذا الوصف المطول لدقائق الأشياء من المنازل الى وصف النعاج والارام،
ووصف ظعن النجوم يخلص الى وصف خدره ودواره بشارب الخمر الذي أضرته الخمس
فمرفوع وعجز من الكلام . وهنا أيضا يقطع الشاعر هذه الصورة ليستكمل بالسي
موضوعات القصيدة (١) .

وفي الجهة المقابلة نجد محاولتين فريديتين متطورتين في خرقهما لحدود
المألوف من استهلال القصائد . وهما تبدآن بذكر الخمر دون غيرها مؤسستين
لما سيأتي في المستقبل من قصائد خمرية . والقصيدتان لا تحتويان على السخرية
اللازمة من موقف الوقوف بالظل الذي سراه عند أبي نواس فيما بعد (فَسَاجِ
الشَّقِيَّ عَلَى رَسْمٍ يَسْأَلُهُ وَعَجَّتْ أَسْأَلُ مِنْ خُمَارَةِ الْبَلَدِ) ، وانما ترسم كل منهما قيمة
للخمرة وكفايتها في كونها موضوعاً جديراً باستهلال القصيدة . وفي كلتـــها
القصيدتين ارتباط بين هذا الاستهلال بذكر الخمر وباقي القصيدة بشكل او بآخر .

(١) - هذه البدايات تكررت في الشعر على هذا النحو :

نَعَمْ فَرَمَاكَ الشُّوقُ بَعْدَ التَّجُلُدِ
سُقْتَنِي النَّدَامَى شَرِبَةً لَمْ تَعُودِ

وَمِنْ دِيَارِ دَمَعِكَ الْهَامِئِلُ
عَامَا وَجُونَ مُسِيلِ هَاطِئِلِ
صَهْبَاءُ مِمَّا عَتَقْتَ بِأَبِئِلِ

وَهَلْ تَفَقَّهُ الصَّمَّ الْخَوَالِدِ مَنْطِقِي
عَلَيَّ بِصَافٍ مِنْ رَحِيقِ مُسْرُوقِ

وكعب بن زهير: ٢٥١: وفيها يفسر أسباب ارتياد الظل بالتداوي بها من

وَمِثْلَهَا فِي تَدَانِي الدَّارِ مَهْجُورِ
كَمَا اشْتَفَى بِعِيَادِ الْخُمْرِ مَخْمُورِ

راجع ديوان عدي بن زيد : ١٠٢ :
أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمَّ مَعْبُدِ
ظَلَلْتُ بِهَا أَسْقَى الْغَرَامُ كَأَنَّمَا
وَعَبِيدُ بِنِ الْأَبْرَصِ : ١٢٣ :

أَمِنْ رَسُومِ نَائِيهَا نَاجِئِلِ
أَجَالَتْ الرِّيحُ بِهَا ذَيْلُهَا
ظَلَّتْ بِهَا كَأَنَّنِي شَارِبِ
وسلامة بن جندل : ١٥٨ :

وَقَفْتُ بِهَا مَا إِنْ تَبَيَّنَ لِسَائِلِ
فَبِتْ كَأَنَّ الكَاسَ طَالَ اعْتِيَادَهَا

الشوق كلجوه المخمور الى الخمر:
مَا يَجْمَعُ الشُّوقُ إِنْ دَارَ بِنَا شُحْتِ
نَشْفَى بِهَا وَهِيَ دَاءٌ لَوْ تَهَابَبْنَا

أما القصيدة الأولى فهي قصيدة عدي بن زيد ومطلعها :

بُكِّرَ الْعَادِلُونَ فِي وَفْحِ الصُّبْحِ يُقُولُونَ لِيْ أَلَا تَسْتَفِيْقُ (١)

والشاعر هنا يفتتح القصيدة بالشكوى من العوادل إذ يلومونه في السكر المستمر . وهي بداية حتمية لقصيدة هدفها وصف الخمرة من خلال وصف طيب الحبيبة . وهذه القصيدة هي من القصائد النادرة التي تعدّ خمرية برمتها في الجاهلية ، وهي تقوم على الوصف الدقيق للخمر : لونها وطاؤها ، وتمطيقها ومزاجها ومواد هذا المزاج من عنبر وفيره ، وطريقة تعتيقها ، وأوانها : كل ذلك من خلال وصف الحبيبة .

والقصيدة الثانية هي معلقة عمرو بن كلثوم ومطلعها :

أَلَا هَبِّي بِمُحْنِكَ فَأَسْبِحِينَا
وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا (٢)

وهذه القصيدة تختلف عن سابقتها بأنها ليست قصيدة خمرية ، وإنما تأتي الخمرة فيها كفاتحة لها ثم ترتبط بباقي القصيدة من خلال موقف التحدي العام الذي يشكل النبط المتواتر في القصيدة كلها . فالشاعر يبدأ بتحريض الساقية على تقديم الشراب متحدياً العادلين والغير ، ثم يصف الخمرة في أربعة أبيات تتميز بغنائية رائعة . وبعدها ينطلق متحدياً عمرو بن هند من خلال الفخر بنفسه وقومه ، ويتجاوز به الى تحدي الأعداء كلهم . ومن ناحية أخرى يبدو الشاعر وكأنه مرتاح في موقف المتحدي الى أبعد الحدود ، وواثق من قوته وبأسه ، وشرفه : فهو يبدأ القصيدة بالتغني بشرب الخمر رغم حراجه الموقف .

(١) - ديوان عدي بن زيد : ٧٦ - ٧٩ .

(٢) - شرح القصائد العشر للتبريزي : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

وقد كان للخمرة دورها في باقي الأعراس الشعرية كالممدوح والرثساء
والتحية بالشراب . ولكن الصور الخمرية في هذه المواضع كانت تدرج في سياق
ذكر مآثر الممدوح أو المرثي - كما رأينا سابقاً - وهي لا تتميز عادة باستعمال
فني خارق للمألوف ، ولا توثر في القصيدة بنبويًا .

الصور المفرد ومادية التشبيه في الوصف :

استخدمت الصور الخصرية وما ينتقل بها من صور الندام ومجالس الخمر والفرح وأوانيها لوصف غيرها من الأشياء بأسلوب مادي في غالبه يعتمد على نقل وحسن الشبه المباشر بين الأشياء . ومن أهم هذه الصور كان صوت المغني الذي يمدح فسي مجالس الخمر . فقد استعيرت هذه الصورة لوصف الصوت في الطبيعة : كالريسماني والمفردات وغيرها ، كما استخدمت لوصف صوت الحيوان الجريح في عملية الصيد والطرده . ولما كان الصوت غالباً على هذه الصور ، وكان هو محور الاهتمام والوصف ، يمكن أن نطلق عليها : الصور الصوتية ، وأبرزها :

١ - وصف صوت الحشرات في الامكنة المقفرة النائية :

وَيْهِ الْمَدَى وَالْعَرْفُ تَحْبِيْهِ صَدْحُ الْفَيْئَانِ عَزْفَسَ لِلشَّرْبِ (١)

ومن أكثر الأصوات ذكراً من هذه الصور صوت الذباب لأنه يكون في الامكنة البعيدة المقفرة ، وقد كان ارتياد هذه الامكنة من دواعي الفخر عند الشاعر لما تتطلب من شجاعه وجرأة :

وَمُسْتَأْسِدٌ يَنْدَى كَأَنَّ ذِبَابَةَ أَخُو الْخَمْرِ هَاجَبَ شَوْقَهُ فَتَدَكَّرَا (٢)

وقول عمره يمتاز بشيء من التفصيل في الوصف :

(١) - أسماء بن خارجة : الأسمعيات : ٥٠ .

(٢) - كعب بن زهير : ١٢٣ ، ورويت لابييه : ديوانه : ٢٦٢ .

فَتَرَى الدَّبَابَ بِهَا يَغْنِي وَحَدَهُ
هَرَجًا كَقِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتْرَنِمْ
فَرْدًا يَسْنُ دِرَاعَهُ بِدِرَاعِهِ
فَعَلَّ الْمَكَبَّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ (١)

فيرد الصوت في هذه الصورة بحركة مستعارة من فدح الزناد لوصف حفيف
أجنحة الدباب .

ومند أبي كبير الهذلي تدخل في الصورة عوامل الطرح مستعارة من لفرح
التجار بالربح :

وَكَانَ أَصْوَاتُ الْخُمُوشِ بِجَوِّهِ
أَصْوَاتُ رُكْبٍ فِي مَلَأٍ مَتْرٍ نَسَمِ
عَجَلُ الرِّيحِ لَهُمْ فَتَحْمِلُ مَبْرَهُمْ
مَمْطَانَةٌ فَضَلَّتْ مَا فِي الْقَمَقَمِ (٢)

ويصف لنا الحطيئة صورة شائعة في البيئة الجاهلية ، وهي مادية الى أبعد
الحدود ، فيصف الناقة قائلًا :

تُرَاقِبُ مَبْنَاهَا إِذَا تَلَحَّ الضُّحَى
ذَبَابًا كَصَوْتِ الشَّارِبِ الْمَتْفُرْدِ (٣)

٢ - صوت الحمام في هذه الریاض ، وتشبهه بصوت المغني المخمور :

يُظَلُّ بِهَا دَاعِي هَدِيلٍ كَأَنَّه
عَلَى السَّاقِ نَشْوَانٌ تَمِيلُ بِهِ الْخُمْرُ (٤)
وقول الطفيل الغنوي :

يَغْنِي الْحَمَامُ فَوْقَهَا كَلَّ شَارِقُ
غِنَاءُ السُّكَارَى فِي عَرِيشٍ مُظْلَلِ (٥)

-
- (١) - ديوانه : ١٤٥ . وهذه إحدى روايات البيتين .
 - (٢) - شرح أشعار الهذليين : ٣ : ١٠٩٢ .
 - (٣) - ديوانه : ١٥٥ .
 - (٤) - البريق : شرح أشعار الهذليين : ٢ : ٧٤٨ .
 - (٥) - ديوانه : ٦٤ .

٣ - تشبيه صوت الحيوان الجريح في الميد بصوت المغني :

قال مزرد :

أَجْسٌ صَرِيحِي كَانَ صَهِيلِيَّةً مَزَامِيرٌ شَرِبَ جَاوِبَتَهَا جَلَجِيلٌ (١)

وقال الشماخ :

كَانَ سَحِيلُهُ فِي كُلِّ فَنَجٍ تَعْرُدُ شَارِبِ نَاءٍ فُجْجُوعٍ (٢)

وقال لبيد في وصف الحمار الوحشي بتغني الشمل :

يَطْرَبُ آنَاءُ النِّهَا رِكَائِيَّةً هَوِيَّ سَفَاهٍ فِي التَّجَارِ نَدِيمٍ
أَمِيلَتْ عَلَيْهِ قُرُقُفٌ بَابِلِيَّةً لَهَا بَعْدُ كَأْسٌ فِي الْعِظَامِ هَمِيمٍ (٣)

وأما الصورة الثانية في قول لبيد فتفوق غيرها من الصور لأن الشاعر

رفدها باحساس إنساني جميل مما يبعدها عن مجرد المادية في الوصف :

كَانَ سَحِيلُهُ شَكْوَى رُفِيئِيَّسٍ يَحَادِرُ مِنْ سَرَايَا وَأَعْتِيَّالٍ
تَبَكَّى شَارِبٍ أَسْرَتْ عَلَيْهِ عَتِيقُ الْبَابِلِيَّةِ فِي الْقِلَالِ
تَذَكَّرُ شَجْوَهُ وَتَقَادَفْتَهُ مَشْعَعَةٌ بِمَفْرُوسِ زَلَالٍ (٤)

ثانياً : الصور الجامدة :

١ - وصف رؤوس الحيوانات الجريحة بالدنان :

يَمْرَفُ لِلْأَصْوَاتِ وَالرِّيحِ هَادِيَاً تَمِيمُ النَّفْيِ كَدَحْتَهُ الْمُنَاسِفُ

(١) - ديوان المفضليات : ١ : ١٦٥ .

(٢) - ديوانه : ٢٢٨ .

(٣) - ديوانه : ٩٦ .

(٤) - ديوانه : ٨٤ .

وَرَأَسًا كَدْنُ الشَّجَرِ جَابًا كَأَنَّمَا رَمَى حَاجِسِيهِ بِالنَّجْمِ فَتَدَانُ (١)

٢ - وصف أواني الشراب : تشبيه الأواني بقتل فصح : قال عدى : (٢)

يَكْرَهُوا عَلَيَّ بِسَحْرَةٍ لَصِبَتْهُمْ بِسَاءِ دِي كَرَمٍ كَتَمَتْ الْحَاسِمِ
بِرِجَاجَةٍ مِلْمِ الْيَدِيِّينَ كَأَنَّمَا قَتَلْتَهُمْ فِي كَنِيسَةٍ رَاهِبِ

٣ - تشبيه أباريق الشراب بأعناق الطيور : كالسج ، وبالظباء : قال أبو زيد : (٣)

وَأَبَارِيقٌ شَبَّهَ أَعْنَاقَ طَيْرِ الْعَا قَدْ حَبِيبٌ فَوْقَهُنَّ خَيْسَمِ
وَقَالَ عُلُقَمَةُ بْنُ عَبْدِ : مَقْدَمٌ بِسَاءِ الْكَتَانِ مَفْسُومِ (٤)

٤ - تشبيه القتلى بالزقاق : قال معن بن أوس : (٥)

أَرَادَتْ طَرِيقَ الْجَفْرِ ثُمَّ أَضَلَّهَا هَدَاةً وَقَالُوا بَطْنُ ذِي الْمَكْرِ أَيْرِ
وَأَصْحَ سَعْدٍ حَيْثُ أَمْسَتْ كَأَنَّمَا بِرَأْفَةِ الْمَرْوُوحِ رَقِ مَقْبَسِ

(١) - أوس بن حجر : ٧٣ . وراجع ديوان كعب بن زهير : ١٤٣ :

وَرَأَسًا كَدْنُ الشَّجَرِ جَابًا كَأَنَّمَا رَمَى حَاجِسِيهِ بِالنَّجْمِ فَتَدَانُ

(٢) - ديوانه : ١١٧ .

(٣) - ديوان أبي زيد الطائي : ١١٧ ، وانظر ديوان نسيب : ٢٤٤ .

(٤) - علقمة بن عبدة : المفضليات : ١ : ٨١٤ .

(٥) - ديوانه : ٣٤ .

وقال المتنخل (١) :

التَّارِكُ الْقِرْنَ مُعْتَرَاً أَنَامِلَهُ كَانَهُ مِنْ عَقَارِ نَهْوَةِ تَمْسَلِ
مَجْدَلًا يَتَسَلَّى جِلْدَهُ دُمْسَهُ كَمَا يَقَطِرُ جَذَعُ الشَّخْلَةِ الْقَطْلِ

هـ - تشبيه السكران : قال أبو ذؤيب (٢) :

تَرَى شَرِبَهَا حَمْرَ الْحِدَاقِ كَأَنَّهُمْ أَسَاوَى إِذَا مَا مَارَ فِيهِمْ سَوَارَهَا

ثالثا : الصور المتحركة : التي تعتمد على وصف الحركة .

١ - وصف ميد الحيوان : قال أبو ذؤيب (٣) في مراك الثور والكلب :

لَكَانَ سَفُودَيْنِ لَمَّا يَفْتَسِرَا عَجَلَالَهُ بِشِوَاءِ شَرِبِ يَنْسِرِعُ

وقد شبه قرني الثور وهما يكفان بالدم حين طعن الكلب بهما بسفودي شرب
نزعاً قبل أن يدرك الشواء فهما يكفان بالدم*.

وقال النابغة : وفيل بيته أجود من بيت أبي ذؤيب :

كَانَهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ مَفْحَتَيْهِ سَفُودِ شَرِبِ نَسُوهُ عِنْدَ مَفْتَادِ (٤)

٢ - وصف القتل : قال قيس بن الخطيم (٥) :

وَكَأَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ إِذْ تَعْلُوهُمْ غَنَمٌ تَعْبِطُهَا فِرَاةٌ شَسْرُوبِ

٣ - وصف حركة الطبيب وحيرته عند علاج الجريح بالسكران : قال ثابت شرا : (٦)

(١) - شرح اشعار الهذليين : ٣ : ١٢٨٢ .

(٢) - المصدر السابق : ١ : ٧٥ .

(٣) - المصدر السابق : ١ : ٣٠ .

(٤) - ديوان النابغة : ١٩ .

(٥) - ديوانه : ١٩ .

(٦) - ديوانه : ٨٢ .

وَطَعْنَةٌ خَلَسٍ قَدْ طَعْنَتْ مَرَشِيَّةً
إِذَا كَشَفَتْ مِنْهَا السُّتُورَ شَعَالَهَا
يُظَلُّ لَهَا الْأَيْسَى بِمِيدٍ كَأَنَّه
لَهَا نَفْذٌ تَهْلُ فِيهِ الْمَسَابِرُ
فَمُ كَلِمِ الْعَزْلَامِ فَيَحَانُ فَايَسِرُ
نُزَيْفٌ هَرَأَتْ لَبَهُ الْخُمْرُ سَاكِرُ

٤ - وصف المشية والحركة بحركة السكران : مشية المرأة :

وَإِذْ هِيَ تَمْشِي كَمْشِي النَّزِيءِ
فَرِيضَةٌ بِالْكَثِيبِ الْبَهْرِ (١)

وقال مليح بن الحكم: (٢)

إِذَا هِيَ نَأَتْ لِلْقِيَامِ تَخَضَّتْ
تَخَدَّمْتَنِي شَارِبِ الرَّاحِ مَاثِلِ

وقول سحيم (٣) يصف الاماء، وكانهن سكارى :

فَأَدْبَرْنَ يَخْفِضْنَ الشَّخْوَصَ كَأَنَّمَا
وَأَصْبَحْنَ صَرَعِي فِي الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا
قَتَلْنَ قَتِيلًا أَوْ أَصْبَنَ الدَّوَاهِيَا
شَرِبْنَ مَدَامًا مَا يَجِبُنُ الْمُنَادِيَا

٥ - وصف حركة الجريح :

وَكَانَ مَشِيَّتَهُ إِذَا نَهَيْتَهُ
بِالنَّكْلِ مَشِيَّةً شَارِبٍ مُسْتَعْجِلِ (٤)

٦ - وصف حركة المنتمر ونشوته :

وَقَدْ أَسْرَتْ سَرَاةَ الْقَوْمِ مَقْتَدِرًا
وَعَدَتْ مِنْ فَرْحِي كَالشَّارِبِ الشَّمْلِ (٥)

٧ - وصف حركة المحزون وارتباعه بدوار الخمر، قالت الخنساء: (٦)

-
- (١) - امرؤ القيس : ١٥٦ .
 - (٢) - شرح أشعار الهذليين: ٣ : ١٠٢٣ .
 - (٣) - ديوان سحيم عبد بني الحساس : ٢٨ .
 - (٤) - ديوان عنتره : ١٢٣ .
 - (٥) - ديوان عنتره : ١٣٣ .
 - (٦) - أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء (تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٨٩٦ م) : ١٥٩ .

لَقَدْ صَوَّتَ الثَّامِي بِفَقْدِ أَخِي النَّدَى
لَقَمَتْ وَمَا كَادَتْ لِرَوْعِهِ هَلِكُكُمْ
إِلَيْهِ كَأَنِّي حَبِيبَةٌ وَتَخَشُّعُكُمْ
نَدَاءٌ لِعَمْرِي لَا أَبَالُكَ بِتَمَسُّعِ
وَإِعْزَازِهِ نَفْسِي مِنَ الْحُزْنِ تَشْبِيعِ
أَخُو الْكُفْرِ يَخْفُو شَارِلًا ثُمَّ يَهْرَعُ

٨ - ووصف تذكر الحبيبة بالنشوة :

وَكَأَنِّي حِينَ أَذْكَرُهُمْ
مِنْ حَمِيَّتِي لَهْسُورَةٌ شَسَّارِي (١)

٩ - وصف الحزن : وصف الهم في الصدر بالوتر الذي تغرب عليه العفتية :

أَلَا بَاتَ مِنْ حَوْلِي نِيَامًا وَرَقْدًا
وَمَا وَدَّعِي دِينِي فَبِتَ كَأَنَّمَا
بِأَوْبِ يَدِي مَنَاجِدٌ مِنْدٌ مَدِينِ
وَمَا وَدَّعِي حُزْنِي الَّذِي يَتَجَسَّدُ
خِلَالَ قَلْبِي الْقَدْرِ شَرٌّ مَسْدَدُ
قَوِي إِذَا مَا يَنْتَشِي بِتَفْسُرَةٍ (٢)

رابعاً : العور الخويصة :

وهي العور التي ترتبط فيها الخمرة بالبرق والسييل والشارفتطلق منها
متألقاً : قال الشماخ : (٣)

رَأَيْتُ وَقَدْ أَتَى نَجْرَانَ دُونِي
لِلثَّلِي بِالْغَمِيمِ قُوَّةً نَسَارِ
إِذَا مَا قُلْتُ خَابِيَةَ رَهَاهَا
فَمَا كَادَتْ وَلَوْ رَفَعُوا سَنَاهَا
فَسَبَتْ كَأَنَّنِي سَأَفَهُتْ خُمْرًا
وَلَيْلَى دُونَ أَرْعَلِيهَا التَّيْسِرِ
يَلُوحُ كَأَنَّهُ الشُّقْرَى الْعَبْسُورِ
سَوَادُ اللَّيْلِ وَالرَّيْحِ الدَّيْسُورِ
لِيُبْرِ قُوَّةَهَا إِلَّا التَّبْهِيسِرِ
مَعْتَقَةٌ عَمِيَاهَا تَسْسُورِ

(١) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٢٨٢ .

(٢) - ساعدة بن جوية في شرح أشعار الهدليين : ٣ : ١١٦٥ .

(٣) - ديوان الشماخ : ١٥١ .

خامسا : الصور الخمرية لوصف مظاهر من حياة الجاهلية وقيمها :

١ - وصف عطش الهامة للدم وصياحها بعطش الندامى للخمر وصياحهم عند
التجار :

وَلَوْ جِئْنَا بِحَمَلِنَ الْحَدِيدِ بَيْنَنَا وَمَعَا أَلَا يَا لَعَمْرُو بَعْدَهَا لَشَوَارِ
لُصَاحَتِ تَنَادِي الْهَامِ مِنْهُمْ بِالرُّضَا صِيَاحِ النَّدَامَى حَوْلَ بَيْتِ تَجَارِ (١)

٢ - تشبيه الخمرة بالخير في أمثال الجاهلية وشعرها : فمن امثالهم فسي
نعت البخيل : " ما عنده خل ولا خمر " أي ما عنده من الخير شيء (٢).
قال النمر بن تولب :

هَلَّا سَأَلْتَ بَعَادِيَاءَ وَبَيْتِيهِ وَالْخَلَّ وَالْخَمْرَ الَّتِي لَمْ تَمْنَعِ (٣)

٣ - تحية الملك بالشراب :

وَاسْلَمَ بَرَاوُوقَ حَبِيبُ بَيْتِهِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الْجَيْشُ (٤)

-
- (١) - ديوان عمرو بن معديكرب : ١٠٦ .
(٢) - فصل المقال لابي عبيد البكري : ٣٣٩ .
(٣) - النمر بن تولب : ٧٤ .
(٤) - عمرو بن احمر (تحقيق حسين عطوان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق) : ديوانه : ٩٤ .

فَشَارِبٌ هَبِيْبًا عَلَيْكَ التَّجَارُ مَرْتَعِدًا
فِي رَأْسِ عَمْدَانِ دَارًا مِنْكَ مَحَلَلًا (١)

وقول النابغة :

وَنَسَقِي إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصْرَدٍ
بِزُرْدَاءٍ فِي حَافَاتِهَا الْبَيْتُ كَانِعٌ (٢)

٤ - وصف طيب الأخلاق بطيب الخمر :

لَهُ خَبْطَةٌ فِي الْخَلْقِ لَيْسَتْ بِسُكْرٍ
وَلَا طَعْمُ رُوحٍ يَشْتَهُهُ وَنَبِيْذٌ (٣)

كان هذا رصداً عاماً لنسق ورود الصور الخمرية الصغرى في الشعر الجاهلي ،
وهي كما رأينا تدرج للوصف المادي في غالب الأحيان فلا تسهم في بناء القصيدة
إسهاماً هاماً .

(١) - ديوان أمية بن أبي الصلت: ٤٥٨ .

(٢) - ديوان النابغة : ٣٩ .

(٣) - ديوان الحطيثة : ٣٥٨ : ذكر المحقق في الحاشية هذا البيت دون نسبة .

وصف الخمرة في الشعر الجاهلي

كان لوصف الخمرة - كغيره من أساليب الوصف الفنية في الشعر الجاهلي - تقليد متبع يحكمه ويرسم له حدوداً قلماً خرقها الشعراء . وهذا التقليد يقوم على التصوير المادي الدقيق هادفاً إلى إشباع الحواس، والتمثيل لها دون غيرها . ولهذا كان وصف الخمرة يعتمد في غالبه على وصف لونها وصفاتها ورائحتها وأثرها وعلمية تعتيقها . ولم يتميز الشعراء في هذا الوصف إلا قليلاً . وقد كان الأعشى مميّزاً في هذا المجال إذ جعل من شعره سجلاً لوصف الخمرة مستخدماً كل ما أباحه له هذا التقليد المادي الى حدوده القصوى .

وبما أنّ وصف الخمر كان محكوماً بهذا التقليد في الغالب الأعمّ، وبقوالب فنية معلومة، فقد خسر الكثير من أثره في صنع الصورة الخمرية الكبرى التي تبني القصيدة وتنمّيها . ولهذا خلت القصائد التي تحتوي على الصورة الكبرى من الوصف التقليدي الدقيق للخمر في غالب الأحيان ممّا جعلها تستعيب عنسه بتحوّل المادة الخمرية في القصيدة الى مناخ من مناخاتها أو قناع من أقنعتها . ولعل قصيدة عديّ بن زيد : (بَكَرَ الْعَادِلُونَ فِي وَضْحِ الصُّبْحِ) هي من القصائد القليلة النادرة التي تتكوّن فيها الصورة الخمرية الكبرى من خلال الوصف التصويري الدقيق للخمر .

إنّ القوالب الفنية الجاهزة التي أعدت سلفاً لوصف الخمر قد شتتت الصور الخمرية الكبرى وأعاققتها عن التجمع والتنامي في القصيدة . ولهذا جاءت الصور الوصفية للخمر في منزلة الصور الخمرية الصغرى في غالب الأحيان، وتعدتها أحياناً لتتأرجح بين الصورتين بتردد وحذر . ذلك لان الشاعر يجهد في الوصف فيغفل عن تكوين الصورة الكبرى . ولعل قصيدة علقمة بن عبدة (هَلْ مَا عَلِمْتَ

وَمَا اسْتُودِعَتْ مُكْتَوِّمًا (١) خير مثال لذلك . فالشاعر على رغم جمال الوصف للخمرة وعملية تعتيقها وتصفيقها لم يستطع أن يبوى لهذا الوصف مكانة أساسية في بنية القصيدة ، فأتى بالوصف الخمري كموضوع من موضوعات القصيدة التقليدية ، وهذا القول ينطبق كذلك على قصيدة عبدة بن الطبيب : (هَلْ حَبْلٌ خَوْلَةٌ بَعْدَ الْهَجْرِ مَوْضُولٌ) (٢) وفي مثل هاتين القصيدتين تتجاوز الصورة الخمرية الصورة الصغرى من حيث الاتساع بمعنى أن الأبيات المفردة للمادة الخمرية هي من العدد بحيث تبوى لنفسها مساحة في بنية القصيدة ، تنوع القصيدة وتلونها ، ولكنها لا تشكل طابعها العام .

أما وصف الخمر فقد انصب في غالبه على إبراز صفاتها الخارجية . وقد تكررت الصور في وصف لونها وتشابهت عند الشعراء . وقلما أورد أحدهم صورة تخرج عن التقليد الجاري حينئذ . وقد عاب الناس على عدي بن زيد وصفه الخمر بأنها خضراء (٣) ، إذ أن الصورة الشائعة للون الخمر هي التي تشبهها بدم الذبيح أو دم الغزال . وفي إيراد هذه الصورة التي التزمها غالب الشعراء لم يأت التطوير فيها إلا في حدود قليلة : قال حسان : (٤)

تَبَلَّتْ فَوْأُ أَدُكُ فِي الْمَنَامِ خُرَيْدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَّامِ
كَالْمِسْكِ تَخْلُطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقِ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُكَامِ

وللخمر عند متمم بن نويرة لون الدم الذبيح أيضاً ، إلا أنه أضاف لهذا الصورة

(١) - ديوان المفضليات : ١ : ٧٨٦ - ٨٢٢ .

(٢) - المصدر السابق : ١ : ٢٦٨ - ٢٩٣ .

(٣) - ديوانه : ٦٨ - ٧٢ :

وَالْمُشْرِفُ الْمَشْمُولُ يَسْقَى بِهِ
أَخْضَرَ مَطْمُوثًا كَمَا الْخَرِيصُ

(٤) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ٢٩ .

الشائمة صفة الألق ومزجها بالإشعاع ، فجاء وصفه منجركا بحركة الضم
والتماه :

جفن من الغريب خالص لونه كدم الذبيح إذا بشن مشع (١)

هذا وقد ترددت فكرة تشبيه لون الخمر بحمرة الغزال الذبيح ، قال زهير (٢) :

ذاك وقد أصبح الخليل بهما جاء كميته ما جوائبهما
مثل دم الشادن الذبيح إذا أتاق منها الراوق شاربها

وصفاء الخمر الذي ينتج عن كثرة تصفيقها وتنقيتها باستعمال مختلف الأوانسي
الخاصة قد شكل مادة للوصف عند الشعراء . وفي هذه الناحية أيضا جاء الوصف
مباشرا متكررا ؛ فهي - أي الخمر - " عاتق مثل عين الديك " (٣) ، و " سلاف
كعين الديك صفى سلافها الراوق " (٤) ، و " عقار كماء النبيء ليست بخطمة
ولا خلة " (٥) . والأعشى متميز في هذا المضمون ، إذ يعجب لغرابه صفائها ويحدي
السامع بهذا الإحساس ، إذ يجعل من صفائها ما يشبه الاحجية :

تريك القدي من دوسها وهي دونه إذا ذاقها من ذاقها يتمطق (٦)

وكما رأينا ، فقد وصف الشعراء الخمرة بأنها مشعشة ملشعة ، ولم يزيّدوا
على هذا الوصف شيئا . ويتميز الأعشى أيضا في وصف شعاعها عندما يسخر
المبالغة لابرار هذا الإشعاع :

-
- (١) - ديوان متمم : ٩٨ .
 - (٢) - ديوان زهير بن أبي سلمى : ٢٦٧ .
 - (٣) - حسان بن ثابت : ١ : ٣٠٢ .
 - (٤) - ديوان عدي بن زيد : ٧٨ ، وراجع شرح أشعار الهذليين : ٣ : ١٢٦٩ : المتنخل
ابن صويمر .
 - (٥) - أبو ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٥ .
 - (٦) - الصبح المنير : ١٤٧ .

إِذَا مَا سَرَّحْتَ قَطْعًا سَهَامًا (١)

مَشْعُشَعَةٌ كَأَنَّ عَلَى قَرَاهِمَا

أو يقول :

إِذَا مَا فُتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامُ (٢)

كَأَنَّ شِعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا

وفي وصف رايحتها عمد الشعراء الى ذكر كل أنواع المطيبات ومزجهم بها،
ليشبهوا رايحتها . وهذا ما فعله الأعمش إلا أنه انفرج عن غيره بوصف أرجهسا
العابق المتماعد في أرجاء المكان ، مما أكسب الوصف عنده طفيان مناخه وقسوة
حضور هذا المناخ :

يُصْفِقُ فِي نَاجِدِهَا ثُمَّ تَفْطَبُ

سُلَافٌ كَأَنَّ الزُّعْفَرَانَ وَعِنْدَمَا

أَلَمَّ بِهِ مِنْ تَجْرِ دَارَيْنِ أَرْكَبُ (٣)

لَهَا أَرْجٌ فِي الْبَيْتِ مَالٌ كَأَنَّمَا

وقد ارتبط وصف الخمر بوصف فم الحبيبة ورضابها . وفي غالب الاحيان كان
وصف فم المرأة تعلقة لا ييراد وصف الخمر . واختلفت أساليب الشعراء في هذا
الوصف . فمنهم من ربط بين الصورتين بشكل مباشر يقوم على استعمال أداة
التشبيه المباشرة : قال جرّان العود : (٤)

كَأَنَّهُ مِنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلَسُولٌ

تَجْرِي الشَّوَاكُ عَلَى عَذْبٍ مَقْبَلِهِ

وبرع بعضهم في سوق وصف يبدو مباشرا في ظاهره إلا أنه يتضمّن غير وجه ، كقـسول
عنتره (٥) :

(١) - الصبح المنير : ١٣٥ .

(٢) - الصبح المنير : ١٣٥ .

(٣) - المصدر السابق : ١٣٧ .

(٤) - ديوان جرّان العود : ٥٧ .

(٥) - ديوان عنتره : ٨٩ .

كأس مدام قد حفر بالاسدور

شريك من شعرها إذا ابتسام

اذ تجاوز مجرد وصف السراة وتشبيهه بكأس شراة التي وصف عملية الابتسام ،
والاسنان ،ومفارستها بكأس مليء بالدرر التي يشيرها تمفيق الخمر .

وينظور ارتباط وصف مزج الخمر بوصف رضاب المرأة عند بعض الشعراء
لينخذ روافد جديدة : قال مليح بن الحكم :

نَفِيَّ تَغَادِي ظَلَمَهُ حِينَ تَصْبِحُ
يَعْلَى إِذَا مَا سَاقَطَ الثَّلَجُ يَنْفُحُ
تَزِيدُ بِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا تَصْرُحُ
مِمَّا حَيْثُ يَسْتَعْلِي لَهَا حِينَ تَنْفُحُ (١)

وَحَدَّ أَسِيلُ زَانَهُ مَتَيْسَمُ
بِلُدُنٍ بِهِ تَمْتَأَحُ عَذْبًا كَأَنَّمَا
بِرَاحٍ إِذَا مَا صُفَّتْ فِي رَجَاجَةِ
بِطَعْمَةِ رُجْحٍ بَاتُ تَنْجِحُ مَنَسَهُ

وكما نرى في وصف مليح ، فقد استعار الشعراء لمزج الخمر ماء المطر الذي يستقر
في الاماكن المرتفعة البعيدة ، فلا يطرقة أحد ، ولا يكدره مكدر . وقد ارتبط
هذا الوصف الجغرافي لمستقر الفيث الذي يستعمل في مزاج الخمر كثيرا بالصورة
الخمرية حتى رده الشعراء :

قال الحطيثة :

بِنُظْفَةٍ جَوْنٍ سَأَلَ مِنْهَا الْأَبَاطِحُ
وَأَعْيَاصِ بَدْرِ بَيْنَهُنَّ مَسْرَاحُ (٢)

إِذَا ذُقْتَ فَأَهَا ذُقْتَ طَعْمَ مُدَامَةٍ
عَرِيضٍ جَرَّتْ فِيهِ الصُّبَا بَيْنَ مَنَحَى

وقال الصيب بن علس :

قَامَتْ لَتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قَنَسَاعِ

أَذْ تُسْتَبِكُ بِأَطْلَتِي نَاعِمِ

(١) - شرح أشعار الهذليين: ٣ : ١٠٤٠ .

(٢) - ديوانه : ٣٦١ .

ومها يرف كأنه إذ ذقته
عانية شجت بماء يسراع
أو صوب غادية أدته الصبا
ببزيل أزهر مدمج بسباع (١)

لقد أكثر الشعراء من وصفريقة المرأة بعد الكرى، وحشدوا لذلك كل أنواع المطيبات : فمزجوا الخمرة بماء الغيث البارد والعسل والمسك والكافور والعنبر واللبن والزنجبيل والفاكهة : كالعنب والتفاح والرمان . واختاروا الخمر المعتقة التي طال الزمن عليها وهي في الخابية .

قال سحيم :

كان على أنيابها بعد هجعة
من الليل نامتها سلافا مبردا
سلافة دن أو سلافنة ذارع
إذا صب منه في الزجاج أريدا (٢)

وقال المرقش الأصغر :

وما قهوة صباء كالمسك ريحها
تعلت على الناجود طورا وتقدح
توت في سباء الدن عشرين حجة
يظان عليها قرمد وتروح
سباها رجال من يهود تباعدوا
لجبلان يدنيها من السوق مريح
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا
من الليل بل فوها الذ وأنفح (٣)

وقال امرؤ القيس :

كان المدام وصوب الغمام
يرعل به برد أنيابها
وريح الخزامى ونشر القطر
إذا طرب الطائر المستحسر (٤)

(١) - الصبح المنير : ٣٥٤ ، وراجع أبا ذؤيب : ١ : ١١٥ في وصفه الجميل لهذا الغيث .

(٢) - ديوان سحيم : ٤٠ .

(٣) - المفضليات : ١ : ٤٩٥ .

(٤) - ديوانه : ١٥٧ .

وقال عمرو بن معديكريش :

يَفْعُرُ عَلَيْهِ رَمْسَانٌ بَيْنَيْعٍ (١)

كَأَنَّ عَلَى عَوَارِضِهِنَّ رَاحِسًا
وقال حسان :

يَكُونُ مِرَاجِحَهَا عَسَلٌ وَمَسَاءٌ
مِنَ التَّفَاحِ هَضْرَةٌ اجْتِنَاءٌ (٢)

كَانَ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ
عَلَى أُنْيَابِهَا أَوْ طَعْمِ غَضِيٍّ

وهناك صور خمرية اتصلت بوصف قم المرأة وربقتها ، ولكنها تجاوزتها لتذكر

طريقة تصفيق الخمر ، ومزجها ، وذكر أوانيها ، من هذه الصور : قول لبيد (٣) :

جَنِيًّا مِنَ الرَّمَانِ لَدْنَا وَذَائِلًا
مِنَ النَّاصِعِ الْمُخْتَوِمِ مِنْ خُمْرٍ بَابِلًا
سَنَا رَصْفًا مِنْ آخِرِ الْفَيْلِ سَائِلًا
إِذَا اتَّاقُوا أَعْنَاقَهَا وَالْحَوَامِلَا
بِأَيْمَانِ عَجْمٍ يَنْمِفُونَ الْمُتَسَاوِلَا
سَمِعَتْ لَهَا مِنْ وَاكِفِ الْعَطْنِ وَأَشْلَا

كَأَنَّ السَّمُولَ خَالَطَتْ فِي كَلَامِهَا
لَدِيدًا وَمُنْقُوفاً بِصَافِي مَخِيلَةٍ
يُشْنُ عَلَيْهَا مِنْ سَلَاةٍ بَسَارِقٍ
تُفَمِّنُ بَيْمًا كَالِأَوْزِ ظُرُوفِهَا
لَهَا غُلٌّ مِنْ رَازِقِيٍّ وَكَرْسُفٍ
إِذَا صَفَّتْ يَوْمًا لِأَرْبَابِ رَبَّتِهَا

ان وصف الخمر وأوانيها عند لبيد يتخذ شكل التصوير الدقيق وهي صفة تغليب

على وصف لبيد بشكل عام .

وقال زهير (٤) في وصف أثر الخمر :

جَاءَ كَمِيَّتٍ صَافٍ جَوَانِبِهَا
أَتَاقَ مِنْهَا الرَّأْوِقُ شَارِبِهَا

ذَاكَ وَقَدْ أَصَحَّ الْخَلِيلُ بِمَهْ
مِثْلُ دَمِ السُّادِنِ الدَّبِيحِ إِذَا

(١) - ديوانه : ١٣٨ .

(٢) - ديوانه : ١ : ١٧ . وارجع الى ديوان عدي بن زيد : ٧٦ ، وزهير بن ابي

سلمى : ٣٥ ، والحطيئة : ٣٤١ ، والاصمعيات : ٥٨ .

(٣) - شرح ديوان لبيد : ٢٤٤ .

(٤) - ديوان زهير بن ابي سلمى : ٢٦٧ .

مِنْهَا حَمِيًّا وَكَفَّ صَالِبَهَا
أَجْمَعُ فِي النَّفْسِ مَا يَغَالِبُهَا
كُنْتُ نَطِقُ وَاسْتَعْجَلْتُ عَجَائِبَهَا

دَبَّتْ دَبِيْبًا حَتَّى تَخَوَّنَنِي
عَمَّا تَرَاهُ يَكْفُ مَنْطِقَهَا
عَمَّا قَلِيلٍ رَأَيْتَهُ رِبْدُ الْ

وفي قول الأَعشى معنى شبيهه : (١)

فَقَامَ فَمَبَّ لَنَا قَهْوَةً تَشْكُنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا
كَمَيْتًا تَكْشِفُ عَنْ حَمْرَةٍ إِذَا صَرَّحْتَ بَعْدَ إِزْبَادِهَا

وقال الأَعشى : وتعتبر هذه الأبيات ذروة البراعة في وصف أثر الخمر حينئذٍ ، وكأنها
تدري ما تفعل بالشارب :

وَصَهْبَاءٌ صَرَفِيَّ كَلَوْنَ الْفُصُوصِ بَاكِرَتٍ فِي الصُّبْحِ سَوَّارَهَا
فَطُورًا تَمِيلُ بَيْنَا مَرَّةً وَطُورًا تَعَالِيحُ إِمْرَارَهَا
تُكَادُ تَنْشِي وَلَمَّا تَذُقُ وَتَغْشِي الْمَفَامِئِلَ افْتَارَهَا
تَدْبِلُهَا فِتْرَةً فِي الْعِظَامِ وَتَغْشِي الذُّوَابَةَ فَوَّارَهَا (٢)

(١) - الصبح المنير : ٥٢ .

(٢) - الصبح المنير : ٢١٤ .

الصورة الكبرى في الفصيحة الجاهلية

نماذج للتحليل

١ - قال حسان بن ثابت من الكامل : *

بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبُضِيعِ فحومل
فديار سلمى درسا لم تحلل
بعْدُ البلى آي الكتابِ المجل
والمَدجناتِ من السَّماكِ الأعزل
لمنازلِ درستِ كانَ لم تو هَل
فوقِ الأعرَّةِ عزهم لم ينقل
يُوماً بجلقِ في الزمانِ الأول
مشيَ الجمالِ الى الجمالِ البزل
فربما يطيحُ له بنانُ المفصل
والمَنعمونَ على الضَّيفِ المرمِل
قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المفضل
لا يسألونَ عن السوادِ المقبل
بردى يصفقُ بالرحيقِ السلسل
تدعى ولائدهم لِنَقفِ الحنظل
شمَّ الأنوفِ من الطرانِ الأول
حتى اتكأتِ بمنزلِ لم يوغسل
بين الكرومِ وبين جزعِ القسطل
ثم اذكرتِ كأنني لم أفعل
شمطاً فأصبح كالثغامِ المحسول
في قصرِ دومةِ أو سواهُ الهيكل
صهباءَ صافيةً كطعمِ الفلفل
فيعلني منها ولو لم أنهل

أَسألتِ رَسْمَ الذارِ أم لم تَسألِ
فالمَرَجِ مَرَجِ الصَفيرِ فجاسِمِ
أقوى وعطلِ مِنْهُم فكَأَنَّه
دَمِنَ تَعاقبها الرِّياحِ دُوارِ
فالعَيْنِ عَانيةً تَفِيضُ دُموعها
دارِ لِقومِ قد أراهم مَرَّةً
للهِ دَرُ عِصابةٍ نادمتهم
يمشونَ في الحِللِ المضايفِ نَسجها
الضَّارِبونَ الكَبشِ يهزِقُ بيفيه
والخالِطونَ ففيرهم بَغنيهم
أولادِ جفنةٍ حولِ قَبْرِ أبِيهم
يفشونَ حتى ماتَهزِ كلابهم
يسقونَ من وردِ البَرِيصِ عليهم
يسقونَ دَرِياقِ الرِّجِيقِ ولم تَكُنْ
بيضِ الوجوهِ كَرِيمةً أحسابهم
فعلوتِ من أرضِ البَرِيصِ إليهم
نغدو بناجودَ ومسمعةً لنسا
فلبثتِ أزماناً طوالاً فيهم
إمّا تري راسي تَغَيَّرَ لونه
فلقد يراني موعدي كأنني
ولقد شربتِ الخمرَ في خانوتها
يسعى علي بكاسها متنطف

قَتَلْتُ قَتَلْتُ فَهَاتِيهَا لِمَ تَقْتُلِي
بِزَجَاجَةٍ أَرَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ
رُقُصِ الْقُلُوبِ بِرَاكِبِ مُسْتَعْجِلِ
تَكْوِي مَوَاسِمِهِ جَنُوبِ الْمَمْطَلِي
وَنَسُودِ يَوْمِ النَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِي
وَيُصِيبُ قَائِلُنَا سِوَاءِ الْمَفْصِلِ
فِيهِمْ وَنَفِصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مَعْضِلِ
وَمَتَى نَحْكُمُ فِي الْبَرِيَّةِ نَعْدِلُ
مِنْ دُونِ وَالِدِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلِ
وَيَحُوطُهَا فِي النَّائِبَاتِ الْمَعْضِلِ
بِزَجَاجَةٍ مِنْ خَيْرِ كَرَمِ أَهْدَلِ

إِنَّ النَّبِيَّ نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتَهَا
كَلْتَاهُمَا حَلَبَ الْعُمَيْرِ فَعَاظَنِي
بِزَجَاجَةٍ رُقِصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا
نَسْبِي أَسْبَلُ فِي الْكِرَامِ وَمِدُودِي
وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَيَسُودُ سَيِّدُنَا جِحَاجُ سَادَةِ
وَنُحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمَهْمُ خُطَابَتَهُ
وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابَنَا
وَفَتَى بِحَبِّ الْحَمْدِ يَجْعَلُ مَالَهُ
بِعَطِي الْعَشِيرَةَ حَقًّا وَيَزِيدُهَا
بِأَكْرَمِ لَذَّةٍ وَمَا مَاطَلْتَهَا

تحتار الصورة الخمرية كيف تتسلل في نسيج هذه القصيدة ، أتدخلها من خلال المدح ، أم من خلال الحنين ، أم من خلال التغني ؟ فإن الوجوه الثلاثة تفسح لها في المجال ، ولا يدعيها وجه منها بأكثر مما يدعيها الآخر . القصيدة هذه من القصائد التي تضم عدة موضوعات - وفيها الخمرة - لتصل إلى عدة أغراض في آن معا . ومثل هذه القصائد كثيرة في الشعر الجاهلي . وهي تحتوي على ميزة خطابية غالبية وكأنها أعدت لتلقى على جمع من الناس ، لتنقل اليهم رسالة ما من عدة نواح : كالفخر والمدح من خلال تذكّر الماضي مدعوماً بمجد الحاضر . ولهذا نجد أن المادة الخمرية تنسرب في القصيدة من عدة نواح أيضا . وهذا ما يفرعها ويشتمها ويجعل منها كمصورة خمرية كبرى تشبه الغصون التي تمتد لتخدم غير غرض من أغراض القصيدة ، ولكنها تعجز عن تغيير بنيتها تغييراً جذرياً .

تحتل الخمرة ثلاث محطات في هذه القصيدة : الحزن والحنين إلى الندامى ومدحهم بشربهم الخمر ، ثم فخر الشاعر بشربه الخمرة في الحواشيت ، وأخيراً

حديثه عن نديمه الذي يأتي بعد مدح قومه وتبيلته والفخر بنفسه فتجيء خاتمة
للقصيدة .

وتأتي المحطة الأولى بعد الوقوف المطول بالظل وذكر المنازل . فيصف
ندمانه من الغساسنة في مجالس الخمر بين الكروم، وهم يصفون الخمر بمياه بردى .
ويمدحهم الشاعر بصفات النديم وهي الكرم والجود والشرف . فلما انتهت هذه
المجالس التي كان الشاعر يشاركهم فيها شعر وكأنها لم تكن . وبعد هذه المحطة
يلتفت الشاعر الى مخاطبته ، فيعتذر عن الكبر والشيب باسترجاع ذكريات
الشباب وأبرزها شربه الخمر في الحوانيت ؛ وهي المحطة الثانية . وتتضمن
صورتين لافتتين للنظر : الأولى في البيت الثالث والعشرين إذ يقول للخمار : إن
الخمر التي أعطيتني إياها قد فقدت حذتها بالمزاج فاعطني أفضلها : " قَتَلْتُ
قَتْلَتْ فَهَاتِهَا لَمْ تَقْتُلْ " . والصورة الثانية هي الصورة المادية في وصف السق
الخمر :

بِزَجَاةٍ رَقَمْتَ بِمَا فِي قَهْرِهَا رَقِصِ الْقُلُوصِ بِرَاكِبِ مَسْعَجِلِ

وبعد سبعة أبيات من الفخر بنفسه وبقبيلته تأتي المحطة الثالثة وهي اختيار
النديم المناسب الكريم لتشكّل خاتمة للقصيدة .

٢ - قال أوس بن حجر* من البسيط : (وفي نسبة أبيات منها خلاف : البعض يعزوها

الى عبيد بن الابرص) .

- وَدِعْ لَمَيْسُ وَدَاعُ الصَّارِمِ اللَّاحِي
إِذْ تَسْتَبِيكُ بِمَقُولِ عَوَارِضِهِ
وَقَدْ لَهَوْتُ بِمِثْلِ الرَّثْمِ أَنْسَةَ
كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكُرَى اغْتَبَقَتْ
أَوْ مِنْ مَعْتَقَةٍ وَرَهَاءِ نَشْوَتِهَا
هَبَّتْ تَلُومٌ وَلَيْسَتْ سَاعَةُ اللَّاحِي
قَاتَلَهَا اللَّهُ تَلْحَانِي وَقَدْ عَلِمْتُ
إِنْ أَشْرَبَ الْخُمْرُ أَوْ أَرَزَأَ لَهَا شَمْنًا
وَلَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَحْنِيَّةٍ
دَعِ الْعَجُوزِينَ لَا تَسْمَعْ لِقِيلِهِمَا
كَانَ الشَّبَابُ يَلْهِنَانَا وَيَعْجَبِنَا
إِنِّي أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ صَاحِي
قَدْ نِمْتُ عَنِّي وَبَاتَ الْبَرْقُ يَسْهَرُنِي
- (١) إِذْ فَتَكَتْ فِي فِسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحِ (١)
(٢) حَمَشَ اللَّشَاتِ عِدَابٌ غَيْرُ مَمْلُوحِ (٢)
(٣) تَصَبَّى الْحَلِيمُ عُرُوبٌ غَيْرُ مَكْلَاحِ (٣)
(٤) مِنْ مَاءٍ أَصْهَبَ فِي الْحَانُوتِ نَفَاحِ (٤)
(٥) أَوْ مِنْ أَنْبَابِ رَمَانَ وَتَفَاحِ (٥)
(٦) هَلَا انْتَضَرْتُ بِهَذَا التَّلُومِ إِصْبَاحِي (٦)
أَنِّي لِنَفْسِي إِفْسَادِي وَإِصْلَاحِي
فَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا أَنَّنِي صَاحِي
(٧) وَكَفَّنِ كَسْرَاتِ الشُّورِ وَضَاحِ (٧)
وَاعْمَدِ إِلَى سَيْدِي فِي الْحَيِّ جَعَجَاحِ (٨)
فَمَا وَهَبْنَا وَلَا بَعْنَا بِأَرْبَاحِ
(٩) لِمَسْتَكْفٍ بَعِيدِ النَّوْمِ لَسَواحِ (٩)
كَمَا اسْتَفْءَاءَ يَهُودِيٍّ بِمَضْبَاحِ

- (١) - الصارم : الهاجر القاطع . اللاحي : اللاثم . وفنك في الشر فنوكا : لج فيه
والح .
(٢) - العوارض : جمع عارض : ما عرض من الأسنان وهو ما كان بين الناب والخرس .
لثة حمشه : قليلة اللحم وكانت عندهم مستحبة .
(٣) - الرثم : الطبي الخاص البياض : أنسة : فتاة طيبة النفس . العروب المتحسسة
الى زوجها . مكلاح : عابسة .
(٤) - الغبوق : شراب العشي . النضاح : الراشح ، أو الذي يروي الشرب .
(٥) - ورهاء : حمقاء يعني شديدة قوية . الأنابيب هي الطرائق في الرمان .
(٦) - اللاحي : فاعل من لحي يلحي أي لام .
(٧) - المحنية : ما انعطفت من الوادي . سرة الشور : ظهره . وضاح : أبيض .
(٨) - العجوزين : الأم والأب . الججاج : السيد الكريم .
(٩) - المستكف : المطر الهاطل . لواح من لاح البرق : لمح .
* - القصيدة في ديوان أوس بن حجر : ١٣ - ١٨ .

- يا من ليرق أبيت الليل أرقبه
دان مسف فوق الأرض هيدبه
كان ريقه لما علا شطبا
هبت جنوب بأعلاه ومال به
فالتج أعلاه تم ارتج أسفله
كانما بين أعلاه وأسفله
ينزع جلد الحصى أجش مبترك
فمن بنجوته كمن بمحفله
- (١) في عارض كمضيء الصبح لمصاح
(٢) يكاد يدفعه من قام بالراح
(٣) أتراب أبلق ينفي الخيل رماح
(٤) أعجاز من يسح الماء دلاح
(٥) وضاق ذرعا يحمل الماء منصاح
(٦) ريط منشرة أو ضوء مصباح
(٧) كأنه فاحص أو لأعب داحسي
(٨) والمستكن كمن يمشي بقرواح

- (١) - العارض : السحاب الذي يتعرض على وجه السماء . أو الذي يسبقه برق شديد الوميض .
- (٢) - مسف : شديد الدنو من الأرض . هيدبه : ما تدلى منه . (التاج) : هيدب . السحاب ما تهدب منه إذا اراد الودق كأنه خيوط .
- (٣) - ريقه : مشرفه ليس بمعظمه والأقرب جمع قرب : الكشح ، يقول : ينكشف البرق كما يرمح الأبلق فيبدو بياضه . ينفي الخيل : يطردها . شطب جبل في بلاد بني تميم
- (٤) - الجنوب ريح تأتي بمطر غزير . اعجاز جمع عجز : مؤخر الشيء . المنز السحاب الأبيض . دلاح مثقل بالماء .
- (٥) - التج : صوت وهومن اللجة . منصاح : منشق بالماء . انصاح البرق إذا تصدع .
- (٦) - الريط : ريطه : الملافة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين . منشرة ومنشورة .
- (٧) - أجش : غليظ الصوت : صفة للرعذ الذي يصحب هذا السحاب . المبترك : من ابتترك (أي أسرع في العدو وجد في فيه . الفاحص : هو الذي يقلب وجه التراب كما تفعل القطاة حين تشق أفحوصتها . الداحي الذي يلعب بالمدحاة : وهي خشبة يدحى بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء ، إلا اجتحتفته . فكان هذا المطر يسوق أمامه كل ما يعترضه على وجه الأرض عمل المدحاة .
- (٨) - النجوة : ما ارتفع من الأرض . المحفل مستقر الماء . القرواح الأرض المستوية الظاهرة ، المستكن الذي في بيته .

- كَانَ فِيهِ مِثَارًا جَلَّةً شَرَفًا
هَدَلًا مَشَافِرَهَا بَحَا حَنَا جِرْهَا
فَأَصْبَحَ الرَّوْضُ وَالْقَيْعَانُ مَمْرَعَةً
وَقَدْ أَرَانِي أَمَامَ الْحَيِّ تَحْمِلَنِي
عَيْرَانَةٌ كَاتَانُ الضُّحَلِ طَلَبُهَا
سَقَى دِيَارُ بَنِي عَوْفٍ وَسَاكِنُهَا
شَعْنَا لَهَا مِيمٌ قَدْ هَمَّتْ بِأَرْشَاحِ (١)
تَرْجِي مَرَابِيعَهَا فِي مَحْصَحِ صَاحِبِي (٢)
مِنْ بَيْنِ مَرْتَفِقٍ مِنْهَا وَمَنْطَاحِ (٣)
جَلْدِيَّةٍ وَصَلَتْ دَايَا بِالْأَوَاحِ (٤)
جَرْمِ السَّوَادِيِّ رُضْوَهُ بِمَرَضَاحِ (٥)
وَدَارِ عُلُقْمَةِ الْخَيْرِ بْنِ صَبَّاحِ

- (١) - العشار : التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها . الجلة المسنة من الإبل والشرف الكبار منها . اللهاميم الغزار ويقال ارشحت الناقة اذا اشتد فصيلها وقوي وهو فصيل راسح، وانما ذكرها بذلك ، لأنها تحن .
- (٢) - هدل : مسترخية ، ترجي : تسيم وترعى ، المحصح : المكان المستوي الظاهر . المرباع الناقة التي تضع في ربيعة النتاج وهو أوله وانما يعني أولادها .
- (٣) - المرتفق ماء رأكد قد حبسه شيء يرتفق به . والمنطاح سائل لم يكن له ما يحبسه فسأل . ومكان مرتفق فيه ومنطاح فيه .
- (٤) - الجلداة : الأرض الصلبة ومنها قيل للناقة جلدية . وصلت دأيا بالأواح اي لمت دأياتها وأواحها كما تقول وصلت جاهلية بإسلام .
- (٥) - الجرم نوى النخل . السوادي نخل سواد العراق . أتان الضحل : صخرة تكون على قم التركي فيركبها الطحلب فتكون أشد ملاسة من غيرها . وقيل هي الصخرة بعضها غامر وبعضها ظاهر . العيرانه الناقة الصلبة تشبهها بعير الوحش . المرضاح الحجر الذي يرضح به النوى أي يدق .

إن القصائد الموهوبة من عدّة موضوعات - تكون إحداها الخمرة - كثيرة في الشعر الجاهلي ، ولكن قصيدة أوس بن حجر تتميز عنها بأن تعدّد الموضوعات فيها قد نجح الى حدّ بعيد في خلق وحدة في المناخ العام القائم على تعدّد الحالات النفسية . والقصيدة في ذلك أشبه ببحيرة ، والشاعر يرمي أحجاره على صفحتها محدثاً دوائر مختلفة ، ولكنها تتسع لتنداح في بعضها البعض راسمة إطاراً لمناخ عام . والقصيدة زاهية متألقة ، وللخمرة دورها في هذا الألق . فصورها هنا لا تعتمد على الوصف الدقيق لها بقدر ما تعتمد على الإيحاء كجزء من إيحاء القصيدة العام ؛ فهي تلتصق في إشارات متألقة سخية تتطابق مع ما يوجد به السيل في القصيدة من إشارات ضوئية متألقة ، تماماً كما تتطابق غالب صور القصيدة الفنية مع بعضها البعض محدثة جواً من الصحو - كذلك الآتي بعد السيل ، مع تلالىء الخمر والألق المنبعث من ذكريات الشباب . إن هذا الجوّ من الصحو الذي يخلقه الشاعر من مزيج الصور المشرقة ، والذي تدعمه القافية - الحياء المكسورة - بالصوت والصدى اللذين يوحيان بإشراق الصحو هو الملجأ الذي يرتاح اليه الشاعر ويرتضيه من الصراع الناشئ ، عن الحالات النفسية المختلفة عنده ، وليس الوصول الى الممدوح - كما يتضح في نهاية القصيدة . والدليل على ذلك أن الشاعر يذكر الممدوح في عجز البيت العاشر ولكنه يحجم عن ذلك بغتة ، ويستطرد في وصف السيل وقوته وغازاته وجرفه لكل شيء ، معبّراً عن التردد والسخط في هذا الصراع الدائر في نفسه ، وهو إذ يفرغ في وصف السيل هذه الصور المتلاحقة السريعة الموجية بالتضرمّ والسخط ، والتي تتولد من بعضها البعض بشكل مطرد ، يخلص الى خلق جو من الصحو الشامل المريح . وعندما يستكمل خلق المناخ العام في القصيدة بما يرضي الشاعر يخلص الى ذكر الممدوح ، ويهرع إذ يتخذ من هذا السيل أداة أخرى يوظفها في المدح وهي الاستقساء لمنازل الممدوح ، وهذا تقليد جاهلي شائع .

وأما محطات الصراع المؤرق للشاعر فهي : الحزن إزاء الحب الخائب رغم أن الشاعر يحاول أن يظهر بمظهر الصارم الجازم اللاحي ، والارق الذي تحدّثه

ذكريات الشباب المنصرم ، والخوف إزاء هذا القبر كمصير محتوم . وتخلق هذه المحطات جواً من التردد في إيجاد البديل للراحة الذي يكتمل باكتمال القصيدة فيما بعد . وهذا التردد يعبر عن نفسه في غير موقف : فالشاعر يبدأ بالحديث عن شيء ثم ينصرف عنه بجزم الى شيء آخر : فمن الحب الى ذكريات الشباب ، الى الثورة على الأم والأب ، الى ذكر الممدوح ثم الاستطراد بوصف السيل : فيورد الصور الواحدة تلو الأخرى ، يكرر في ذلك استعمال : " أو " مما يوحي بتسريده . ونرى ان نبض التردد يتصاعد في القصيدة كلما اقتربت من نهايتها ، كاقتراب حلقات الماء من بعضها البعض قبل أن تهمد وتتلاشى لتخلق المناخ العام المريح . وفي هذا الاطار النهائي للقصيدة تكون الخمرة قد اتخذت لنفسها بعداً جديداً ذا طابع فلسفي : فالتغلب على الحزن والتردد والشيخوخة ، وهذا القبر السذي لا يدّته يسهل بمعاقرة الخمر في الحاضر والمقبل من الأيام ، وهذا ما يجعل للخمر حيزاً من الصحو النفسي عند الشاعر وهو يلائم جو الصحو بعد السيل السذي يشيع باكتمال القصيدة .

٣- قال عدي بن زيد لعبد هند بن لخم بن عمر بن كعب بن زيد اللخمي، من السريع : *

- | | | |
|-----|--|---|
| (١) | زِلتَ قَرِيبًا مِنْ سَوَادِ الْخُصُوصِ | أَبْلَغُ خَلِيلِي (عَبْدُ هِنْدٍ) فَلَا |
| (٢) | غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْ عَسِيرِ اللَّصُوصِ | مَوَازِي الْفُورَةِ أَوْ دُونَهَا |
| (٣) | بِالْخَبِّ تَنْدَى فِي أَسْوَلِ الْقَصِيمِ | تَجْنِي لَكَ الْكَمَاءَ رَبْعِيَّتَهُ |
| (٤) | طَيْرٌ وَلَا تَنْكَعُ لَهُوَ الْفَنَيْصِ | تَقْنَمَكَ الْخَيْلَ وَيَصْطَادُكَ الْـ |
| (٥) | حَمْرَاءُ مِنْ خَصِّ كَلْبَرِنِ الْفُصُوصِ | تَأْكُلُ مَا شِئْتَ وَتَعْتَلُّهَا |
| (٦) | سَرٌّ وَجَنِبَتْ ذَوَاتُ الْعَوِيصِ | غَيْبَتْ عَنِّي (عَبْدٌ) فِي سَاعَةِ الشَّـ |
| (٧) | كَأْسٍ وَطُوفٍ بِالْخُذُوفِ النَّحُوصِ | لَا تَنْسِينَ ذِكْرِي عَلَى لَذَّةِ الْـ |
| (٨) | مُجَانِبِ هَدْيِ الْكُذُوبِ اللَّمُوصِ | إِنَّكَ ذُو عَهْدٍ وَذُو مَسْـ |
| | فِي مَوْكَبٍ أَوْ رَائِدًا لِلْقَنْيِصِ | يَا عَبْدُ هَلْ تَذَكَّرْتَنِي سَاعَةً |

- (١) - الخصوص : يافوت : موضع قريب من الكوفة تنسب إليه الدنان : فيقال دن خصي . وقيل بالكوفة ، وقيل بالحيرة ، وبه فسر قول عدي بن زيد .
- (٢) - الفورة : موضع في ديار بني عامر . عمير اللصوص . قرية من قرى الحيرة .
- (٣) - ربعية : في فصل الربيع ، وأول ما يجنى . الخب : سهل بين حزينين تكون فيه الكماء . القميم : جمع قميص ، وهي شجرة تنبت في أصلها الكماء .
- (٤) - النكع : الإعجال عن الأمر . ونكعه عن الأمر : أعجله عنه . تقنمك : تصطاد لك .
- (٥) - الخص : قرية قرب القنادسية ، وفي هامش الغفران أن الخص (بالحاء المهملة) بلد بالشام تنسب إليه الخمر . الفصوص جمع فص ، ويطلق على الخاتم وعلى حدقة العين .
- (٦) - الخذوف من الدواب : السريعة والسمينة . يقول : لا تنس ذكري عند الشرب والصيد . النحوص : الحائل التي لم تلقح ، وقيل هي التي منعها السمن من أن تحمل .
- (٨) - اللصوص الكذوب : الحدوع .

* القميصة في ديوان عدي بن زيد : ٦٨ - ٧٢ .

- يَوْمًا مَعَ الرَّكَبِ إِذَا أَوْضَعُوا
قَدْ يَدْرِكُ الْمَبْطِئُ مِنْ حَظِّهِ
فَلَا يَزُلُّ صَدْرُكَ فِي رِيْبُوبَةٍ
يَا نَفْسُ ابْقِي وَاتَّقِي شَتْمَ ذِي الدِّ
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَأَنَا (ذُو غِنَى)
بَيْتَ جُلُوفٍ بَارِدٍ ظَلُّهُ
وَالرَّبْرَبُ الْمَكْفُوفُ أَرْدَانُهُ
يَنْفَحُ مِنْ أَرْدَانِهِ الْمَسْكَ وَال
وَالْمَشْرِفُ الْمَشْمُولُ يَسْقَى بِهِ
- نَرْفَعُ فِيهِمْ مِنْ نَجَاءِ الْقَلُوصِ (١)
وَالْخَيْرُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيصِ (٢)
تَذَكَّرُ مِنِّي تَلْفِي أَوْ خَلُوصِ (٣)
أَعْرَاضِي إِنْ الْجَلْمُ مَا إِنْ يَنْوُصِ (٤)
مَتَى أَرَى شَرْبًا حَوَالِي أَصِيصِ (٥)
فِيهِ ظِبَاءٌ وَدَوَاخِيلٌ خَوْصِ (٦)
يَمْشِي رُوَيْدًا كَتَوَقِّي الرَّهْيِصِ (٧)
عَنْبَرٌ وَالْعَارُ وَلَبْنَى قَفُوصِ (٨)
أَخْضَرَ مَطْمُوثًا كَمَا الْخَرِيصِ (٩)

- (١) - أَوْضَعُ البعير: أسرع، وأَوْضَعُوا اسرعوا، وأَوْضَعُوا: جدوا، القلوص من الابل الشابة المستمرة على السير، النجاء الإسراع.
- (٢) - يسبق جهد الحريص: يفوته.
- (٣) - أي لا تزال ترتاب بالشيء من أعدائي، ومن أمري: خلوص: تخلصي.
- (٤) - النوص: الهرب.
- (٥) - الأصيص: أسفل الدن، ويعني به أصل الدن.
- (٦) - جُلُوف جمع جلف وهو الدن الذي لا شيء فيه، الطباء: أباريق ضخام الدواخيل جمع دُوخلة سقيفة تنسج من خوص يجعل فيها التمر، يريد أن البيت مبني بالدنان المكسورة، ويظلمونها بالخصف والظباء.
- (٧) - الربرب الطبي أو البقرة وقيل القطيع من بقر الوحش وقيل من الطباء، ولا واحد له، تشبه به النساء المكفوف الذي كف بديباج أي خيط عليه، الرهيص الذي أصابته رهمة فهو يمشي رويدا.
- (٨) - لبنى: شجرة لها عسل يتبخر به، قفوص اسم لموضع ينبت اللبنى أو بلد بالشام يجلب منه العود.
- (٩) - المشرف: إناء شرب، المشمول الطيب، العطموث الذي طمث بمسك، الخريص السحاب والماء البارد.

- ذَلِكَ خَيْرٍ مِنْ فَيُوجِ عَلْسِي الْـ
وَمُرْتَقَى نَيْقٍ عَلَى نَقْنَقٍ
لَا يَشْمِنُ الْبَيْعُ وَلَا يَحْمِلُ الْـ
أَوْ مِنْ نَسُورٍ حَوْلَ مَوْتَى مَعَاً
- بَابِ وَقَيْدَيْنِ وَغِلِّ قَمْرُوسٍ (١)
أَدْبَرَ عَوْدٍ فِي إِكَّافٍ قَمُوسٍ (٢)
رَدَفًا وَلَا يُعْطِي بِهِ قَلْبَ خُصُوسٍ (٣)
يَأْكُلُنَ لَحْمًا مِنْ طَرِيٍّ الْفَرِيصِ (٤)

في هذه القصيدة تتقمص الخمرة مناخاً غالباً يسري مع أبياتها ببطء تفرضه تلك الحسرة أو الغصة المنبثقة من انسياب الذاكرة وانفلاتها من واقع الحاضر المتمثل في الأسر والقيود . فالقصيدة صراع بين قطبين : وجع الذاكرة وقساوة الحاضر : يرفد كل منهما الآخر بطريقة فذة ، إذ يظهر ألق الأول بشاعة الثاني ويعرّبه ، وتقوي كتابة الثاني من ألق القطب الأول ونفاذه . والصورة الخمرية غالبية : لأنّ الذاكرة في انسيابها وانفلاتها من حدود الواقع تختار أن تحسّط في محطة الندام والصيد المترفة . ولكن خطّ انسيابها إلى هذه المحطة متّسم بالمرارة والغصة مما يفسر البطء في الوصف : فالشاعر يريد ابلاغ صديقه بحاله . وهو يرشد الرسول إلى هذا الخليل ببطء . ثم يبطن أكثر وهو يصف رفاهيّة هذا الصديق في القنص والصيد وشرب الخمر ، وكأنه يشتهي ذلك ويتلمّظ به فسيبطء في محاولة منه لأسر ذكريات لذة هذه الأشياء لقربها إلى نفسه وحبّه لها .

- (١) - الفيوج : جمع فيج وهو الحارس أو رسول السلطان . الغلّ : الطوق من حديد . القروس المؤذي .
(٢) - النيق : الحبل أو خشبة يحملون عليها المعذب . النقنق : الظليم . العود الكبير السن . الإكاف البردعة . القموس : الدابة تقمص بصاحبها أي تشب .
(٣) - أثمرت البيع : سميت له سعراً . القلب ها هنا : قلب النخلة .
(٤) - الفريص : أو داج العنق ، واحده فريصة .

وتكشف الحسرة عن نفسها في البيت الحادي عشر . فالشاعر وهو يتحدث عن حـظ المصطاد يوماً الى بشاعة حظه التي أدت به الى الأسر . ويحاول أن يقنع نفسه بالصبر ، والإحجام عن شتم الناس . وهنا تعبّر الصورة الخمرية الكبرى عن نفسها إذ تكون التعويض المريح عما يهتمل في صدر الشاعر من غيظ ، وذلك بتذكّر أيام لذته المترفة في شرب الخمر بحنين عجيب . ويصف بيت الشراب فيختار أبسط البيوت وأحقرها : إنه بيت مصنوع من الدنان المكسورة ومغطى بسعف النخيل . ولكنه في الوقت نفسه أجمل البيوت لشرب الخمر : لأن الشاعر على غناه لا يطلب أكثر من ذلك وهو في الأسر ، ولأن بيت الشراب على هذا النحو بالإضافة الى وصف نسائه وعبق رائحة المسك فيه المنبعثة من النساء الجميلات والخمر الخضراء المطموثة بالمسك هي من أكثر الصور الحسية في الشعر الجاهلي . ربما أوردها الشاعر هنا للتعويض بإشباع الحواس عن الألم الناتج عن قساوة القّد الذي هو فيه . والأبيات الثلاثة الأخيرة تتسم بالبطء الشديد في التعبير الذي يعبر عن قساوة الحاضر وطول الأيام واستحالتها في الأسر :

بَابٌ وَقَيْدِينَ وَغِلٌّ قُرُوصٌ
أَدْبَرُ عُودٍ فِي إِكْفِ قَمُوصٌ

ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ فَيُوجِ عَلْسَى الْـ
وَمَرْتَقَى نَيْقٍ عَلَى نَقْنَسَقِ

ويبقى أن القافية : الصاد الساكنة تضي على القصيدة مزيداً من الغمّة ورنين الحزن .

٤- قال الاعشى من الوافر : *

عرفت اليوم من تيا مقاما
فهاجت شوق محزون طروب
ويوم الخرج من قرماء هاجت
وهل يشتاق مثلك من رسوم
وقد قالت قتيلة إذ رأتني
أراك كبرت واستحدثت خلقا
فإن تك لمتي يا قتل أضحت
واقصر باطلاي وصحوت حتى
فإن دوائر الأيام يفني
وقد أقري الهموم إذا اعترتني
مفرجة يئط النسع فيهما
إذا ما رعتها بالزجر أجت
تشق الليل والسبرات عنها
وتقتال النسوع بجوز قرم
إذا ما الاثمات ونين حطت
وأدكن عاتق جحل سبحل
من اللاتي جملن على الروايا
مشعشة كان على قراها
تخيرها أخو عانات شهسرا
يومل أن تكون له شرا
فأعطينا الوفاء بها وكنا

بجوق أو عرفت لها خياما
فأسبل دمه فيها سجاما
صباك حمامة تدعو حماما
عفت إلا الأياصر والشماما
وقد لا تعدم الحساء داما
وودعت الكواعب والمدامما
كان على مفارقها شماما
كان لم أجر في ددن غلاما
تتابع وقعها الذكر الحامما
عدافرة مضبرة عقامما
أطيب السمهرية إن تقامما
أجيج مملم يزفي نعامما
بأتلح ساطع يشري الزمامما
مواشكة إذا ما اليوم صامما
على العلات تجتزع الإكامما
صبحت براحه شربا كرامما
كريح المسك تستل الزكامما
إذا ما سرحت قطعا سهامما
ورجى أولها عاما فعامما
فأغلق دونها وعلا سوامما
نهين ليمثلها فينا السوامما

كَأَنَّ شِعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا
وَبَيْضَاءُ الْمَعَاصِمِ الْفَالَهُو
حَلَفْتُ لَكُمْ عَلَى مَا قَدْ نَعَيْتُمْ
وَشَيْكَا ثُمَّ تَابَ إِلَيْهِ جَمْعٌ
لِيَلْتَمِسَنَّ بِلَادَكُمْ بِمَجْرٍ
عَرِيضٍ يَعْجُزُ الصَّحْرَاءُ عَنْهُ
يَقُودُ الْمَوْتَ يَهْدِيهِ إِيَّاسُ
تَبَارِي ظِلُّ مَطَرِدٍ مَمْرٍ
أَخُو النُّجْدَاتِ لَا يَكْبُو لِيُضْرَ
لَهُ يَوْمَانِ يَوْمَ لِعَابِ خُودٍ
مَنْبِرٍ يَحْسِرُ الْغَمْرَاتُ عَنْهُ
إِذَا مَا عَاجَزَ رَشْتُ قَسْوَاهُ
كَفَاهُ الْحَرْبِ إِذْ لَقِحَتْ إِيَّاسُ
إِذَا مَا سَارَ نَحْوَ بِلَادِ قَسُومِ
تَرُوحُ جِيَادَهُ مِثْلَ السَّعَالِي
كَصَدْرِ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ صِقَالُ

إِذَا مَا فَتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا
خَلُوتُ بِشَكْرِهَا لَيْلَا تَمَامَا
بِرَأْسِ الْعَيْنِ إِنْ نَفِضَ السَّقَامَا
لِيَلْتَمِسَنَّ بِلَادَكُمْ إِلَى مَا
يَشِيرُ بِكُلِّ بَلْقَعَةٍ قَتَامَا
وَيَشْرَبُ قَبْلَ آخِرِهِ الْجَمَامَا
عَلَى جِرْدَاءٍ تَسْتَوْفِي الْحَزَامَا
إِذَا مَا هَزَّ أَرْعَشَ وَاسْتَقَامَا
وَلَا مَرِحَ إِذَا مَا الْخَيْرُ دَامَا
وَيَوْمَ يَسْتَمِي الْقَحْمَ الْعِظَامَا
وَيَجْلُو ضَوْءَ غُرْتِهِ الظَّلَامَا
رَأَى وَطَأَ الْفِرَاشَ لَهُ فَنَامَا
فَاعَلَى عَنِ نَمَارِقَةٍ فِقَامَا
أَزَارَهُمُ الْمَنِيَّةُ وَالْحَمَامَا
جَوَافِرُهُنَّ تَهْتَضُمُ السَّلَامَا
إِذَا مَا هَزَّ مَشْهُورَا حَسَامَا

في هذه القصيدة تتفرد الصورة الخمرية الكبرى بأنها تقوم على أساس وصف الخمر - باعتبارها إحدى موضوعات القصيدة - على أساس جديد خرج فيه الشاعر عن التقليد المألوف في وصف الخمر : فطور الصورة في وصف شعاعها ، واستطرد الى قصة صاحبها ، ووصف وعائها بأسلوب جميل يعتمد على اللفظ والايقاع . ولهذا تشغل الخمرة هنا حيزاً في بنية القصيدة ، ولكنها لا تمد لنفسها جذوراً بعييدة لتتغلغل في بنية القصيدة بأكملها . والسبب في ذلك تعدد الموضوعات في القصيدة ، وهذه صفة تلازم قصائد الأعشى كلها . فقصائده لا تتميز بالبراعة في مد الصورة

الكبرى في أرجاء القصيدة، ولكن في جعل شعره سجلاً حافلاً بـصور الخمرة، وقاموساً
للفاظها وأوانيتها، وكل ما يتصل بها .

والشاعر يستقدم هذه الصورة الخمرية إلى القصيدة بواسطة أسلوب جميل
عبر عنه بالحوار بينه وبين صاحبه، وفي الحوار نبرة التحدي مما يستدعي
الذاكرة لتنشيط معيده زهو الشباب وطيب الشراب، فتحدث الشاعر عن لذات
الشباب، وهي في الأساس الخمرة، لأنه يمرّ سريعاً بوصف المرأة في بيت واحد (٢٣) ،
بينما يفرد لرحلة الناقفة ستة أبيات تمتاز بالقوة وسرعة الحركة مما يوحي بالشباب
وزخمه ويربط بين الصورتين. وعندما يصف الشاعر الوعاء الضخم للشراب الذي
كان يقدمه للندامى، نجد أنه يصفه بايقاع قوي جازم مبتور مما يوحي بالسرعة
وهي صورة تتفق وصورة وصف الناقفة من حيث القوة والزخم : وَأَدَّكُنْ عَاتِقُ جَحْشِلِ
سَبَحِلِ ..

أما وصف الخمرة فينصب على راحتها وشعاعها . والوصف يتسم بالنفاس
والقوة ؛ لأنه يتجه إلى الحواس . ويتسم كذلك بالمبالغة الجميلة ؛ والمبالغة
هنا هي الأسلوب الفني الذي يستعمله الشاعر ليصف الخمرة من خلال التقليد بدايةً
ثم يخرق هذا التقليد بالمبالغة التي تطلق خياله . فهي كريح المسك تستل الزكاما،
وهي مشعشة " كأن على قراها إذا ما سرحت قطعاً سهاما " وتتجلى المبالغة في
وصف شعاعها بقوله :

كأن شعاع قرن الشمس فيها إذا ما فت عن فيها الختاماً

وهي صورة جديدة في وصف شعاع الخمر لأن غيره من الشعراء لم يصف شعاعها بالشمس .
هذا حظ الصورة الخمرية في قصيدة الأعشى . وهي كما رأينا تدرج مع غيرها
من الصور كالوقوف بالمنازل وتذكر الحبيبة، ثم ذكريات الشباب وأخيراً المسدح ،
والشاعر يبوئه مكانة هامة في بنية القصيدة .

٥- قال أبو ذؤيب الهذلي من الطويل : *

- أبِالضَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءِ حَدَثِكَ الَّذِي
زَجَرَتْ لَهَا طَيْرَ الشَّمَالِ فَإِنَّا تَكُنْ
وَقَدْ هَفَّتْ مِنْ أَحْوَالِهَا وَأَرْدَتْهَا
ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ فَلَمَّا تَجَرَّمَتْ
عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهِ
فَقُلْتُ لِقَلْبِي يَا لَكَ الْخَيْرِ إِنَّمَا
وَأَقْسِمُ مَا إِن بَالَةَ لَطِيمِيَّةٌ
وَلَا الرَّاحُ رَاحَ الشَّامِ جَاءَتْ سَبِيئَةً
- جَرَى بَيْنَنَا يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ رِكَابَهَا (١)
هُوَ الَّذِي تَهْوَى يَمْسُكُ اجْتِنَابَهَا (٢)
سِنِينَ فَأَخَشَى بَعْلَهَا وَأَهَابَهَا (٣)
عَلَيْنَا يَهُونَ وَاسْتَحَارَ شَبَابَهَا (٤)
سَمِعَ فَمَا أَدْرِي أَرشُدُ طَلَابَهَا
يَدْلِيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ جَابَهَا (٥)
يَفُوحُ بِبَابِ الْفَارِسِيِّينَ بَابَهَا (٦)
لَهَا غَايَةٌ تَهْدِي الْكِرَامَ عَقَابَهَا (٧)

* القصيدة في شرح أشعار الهذليين : ١ : ٤٢ - ٥٥ .

- (١) - الذي جرى بيننا : يعني جاء وذهب وهو ما سنح وبرح . استقلت ، احتملت .
ركابها : إبلها .
- (٢) - طير الشمال : أراد طير الشوم . يريد : إن صدق هذا الطير السنيح سيمسبك
اجتنابها : تباعدها .
- (٣) - من أحوالها : من حولها . أخشى بعلها : أي يخاف أن يتهمه بها . أهابها :
كانه يستحي أن يواجهها .
- (٤) - تجرمت : تكلمت . علينا بهون : بهوان . وأنني كنت أتصغر واتضاءل لمن هو
دونني في سببها . استحار شبابها : تمّ وتحير وجرى منها الشباب كل مجرى .
- (٥) - الموت الجديد : المغافص الذي يجيء على حين غرة .
- (٦) - بالة : وعاء الطيب . لطيمة منسوبة إلى اللطيمة : عير تحمل الطيب .
- الفارسيون تجار : وكل شيء يأتيهم من ناحية العراق فهو عندهم فارسي . بابها
أي فم وعائها .
- (٧) - الراح الخمر ، سبيئة : مشتراة . غاية راية ينصبها الخمار ليعرف أنه تاجر
خمر . يشترئها الكرام عقابها رايتها .

- عقار كماء النبي ليست بخمطية
توصل بالركبان حيناً وتولف الـ
فما برحت في الناس حتى تبينت
فطاف بها أبناء آل معتب
فلما رأوا أن أحكمتهم ولم يكن
أتوها بربح حاولته فأصبحت
باري التي تاري لدى كل مغرب
باري التي تاري اليعاسيب أصبحت
جوارسها تاري الشعوف دوايبها
إذا نهضت فيه تمعد نفرها
يظل على الثمرا منها جوارس
- ولا خلة يكوي الشروب شهابها (١)
جوار ويغشيها الأمان ربابها
ثقيفا بزأ الأشاء قبايبها (٢)
وعز عليهم بيعها واغتصابها (٣)
يحل لهم إكراهها وغلابها
تكفت قد حلت وساغ شرابها (٤)
إذا اصفر ليط الشمس حان انقلابها (٥)
إلى شاق دون السماء ذوايبها (٦)
وتنمب ألهاب مصيف كرابها (٧)
كقتر الغلاء مستدراً صيايبها (٨)
مراضيع صهب الریش زغب رقابها (٩)

- (١) - عقار التي تعاقب الدن . كماء النبي وهو ما قطر من اللحم أراد لصفائها .
خمطة التي أخذت طعم الإدراك ولم تدرك . الخلة الحامضة ، شهابها : نارها
وحدثها .
- (٢) - بزأ : ظهر منقاد هليظ . الأشاء : النخل .
- (٣) - أبناء آل معتب : من ثقيف . ولم تحل لهم لأنهم في شهر حرام .
- (٤) - تكفت : تقبض .
- (٥) - أري : عمل النحل . اي العسل ممزوجة بالخمير . ليط الشمس : قشرها .
- (٦) - اليعاسيب : النحل .
- (٧) - جوارسها : الجرس ؛ أكل النحل الثمر والشجر . الشعوف : رؤوس الجبال .
ألهاب جمع لهب : الشق في الجبل . مصيفاً كرابها : الكربة : فصل مسا
بين الجبلين ؛ مصيفاً : أمابها مطر الصيف .
- (٨) - إذا نهضت هذه النحل في هذا الموضع أي طارت فيه وتمعد نفرها أي شق علس
بعضها وأجهدته بتر : نصال سهام الاهداف : فترة . (الغلاء من أعالیه مغلاة
إذا راميته) . مستدراً : ذاهب ؛ صيايبها : قواصدها . أي تجيء منفلة ليست
بمسترخية . مستدراً : أي كأنه مجتمع ليس بمننشر .
- (٩) - الثمرا : هضبة بشق الطائف مما يلي السراة . مراضيع صغار النحل .

- فلما رآها الخالدي كأنها
أجذبها أمرا وأيقن أنه
فقل تجنبها حرام وراقسه
فأعلق أسباب المنية وارتضى
تدلى عليها بين سب وخطبة
فلما اجتلاها بالأيام تحيرت
فأطيب براح الشام مرقا وهذه
لما إن هما في محلة بارقية
بأطيب من فيها إذا جثت طارقا
رأتني صريح الخمر يوما فسوتها
ولو عثرت مندي إذن مالحيها
ولا هزها كلي لبعده نقرها
- حصي الخذف تهوي مستقلا إياها (١)
لها أو لأخرى كالطحين ترابها (٢)
دراها مبيها عرفها وانتصابها (٣)
ثقوفته إن لم يخنه انفضابها (٤)
بجرداء مثل الوكف يكبو فرابها (٥)
ثبات عليها ذلها واكتسابها (٦)
معتقة مهباء وهي شياها (٧)
جديد حديث نعتها وانتصابها (٨)
من الليل والتفت ملي شياها (٩)
بقران إن الخمر شئت معابها (٩)
بعثرتها ولا أسي جوابها (١٠)
ولو نبحتني بالشكاة كلابها (١١)

- (١) - حصي الخذف : كأنها حصي الخذف في مغرها تسقط : كلما استقلت في الجبل
زلت ورجعت .
- (٢) - مزم بشأنها وقال إنه سيعل مكان النحل (العسل) أو يهوي الى التراب .
- (٣) - حرام : اسمه : أي تجنب هذه الشهدة . فأعجبه عرفها : أي عرف الشهدة
ودراها .
- (٤) - ثقوفته : لبقائه في العمل ان لم يخنه انقطاع حبله .
- (٥) - الخيطة : دراعة يلبسها المشتار . والسبب : أن يفرط وتدا ثم يشد فيه
حبلًا فيتدلى به الى العسل . المغرة جرداء ملساء لا يثبت عليها ظفر الغراب .
- (٦) - اجتلاها : طردها . الأيام الدخان . تحيرت لا تدري أين تذهب . والشبات :
جمع ثبة : وهو القطعة من القوم ومن كل شيء . الاكتساب : الحزن .
- (٧) - وهذه : أي والشهادة . شياها : تمزج بها .
- (٨) - يعني الخمر والعمل في محلة منسوبة الى بارق منحوتة حبيشا .
- (٩) - قران : واد . يقول : أصحاب الخمر شئت مرة من أجل أنهم مشغولون من أنفسهم
في الحوانيت .
- (١٠) - لحييتها : لمتها : ولا ساءها جوابي .
- (١١) - هذا مثل : أي لم يأتها مني أدى . الشكاة : القول القبيح . لو نبحتني
بالشكاة كلابها : أي ولو شتمني سفاوها ومن يقر بها .

تتدبّر الصورة الخمرية الكبرى في قصيدة أبي ذؤيب بانها تتجاوز الوصف
المألوف للخمر، وتمتد جذورها البعيدة في القصيدة بأكثر مما يبدو للقارئ للوهلة
الأولى، لتشكّل المفتاح لوحدة عضوية فريدة في القصيدة الجاهلية. فالصورة هنا
قناع لموضوع واحد يتحدث عنه الشاعر بمواربة بارعة. وهذا القناع لا يمثل الفكرة
الأساسية في هذا الموضوع بشكل مباشر، وإنما يلّمح اليها، ويوحى بها، لأن التصريح
قد يشل القصيدة، وهو بالتأكيد يفقدها أثرها وبراعتها الفنية على حد سواء،
وهذه القصيدة هي المثال الأكيد بأن الصورة الخمرية الكبرى أصيلة في القصيدة،
وبأن القصيدة لا تكون إلا بها.

الشاعر يتحدث هنا عن حبه لهذا المرأة. وهو حب ممنوع ومحرم لأنها
امرأة متزوجة (البيت الثالث). وهو حب دونه صعب كثيرة قد يعترضها هذا
" الموت الجديد "، ولكن هذه الصعاب هي التي تحفزه الى هذا الحب تماماً كما
تحفز تلك الشهادة المستحيلة حراماً الخالدي وتتحدى براعته وشجاعته: فيحصل
عليها أو يصير تراباً مسحوقاً كالطحين إذا ما سقط في الهاوية، وهذه المرأة
بالذات هي الأثيرة بين غيرها من النساء الكثيرات الجميلات لأنها المحرّمة:
مثل تلك الخمر التي تجيء من البلاد البعيدة بحراسة شديدة: فهي آمنة لأنها
تؤمّل بالركبان حيناً وتؤمّف الجوارح، وهي آمنة أكثر، لأن اصحابها قد استقسموا
بالأزلام فأعطتهم الأمان، وهي آمنة أخيراً لأنها محرّمة: لا يستطيع أحد الحصول
عليها بالقوة لأن الوقت كان في الأشهر الحرم. وتصل هذه الخمر آل معتب من ثقيف
رثقيف اصحاب الخمر في الجاهلية - كما رأينا - وهي متوفرة بينهم لأنهم يزرعون العنب
ويصنعون الخمر، ولكنهم يريدونها بالقوة لأنها محرّمة. فتعجزهم فيدفعون فيها
النفيس من المال حتى لا يلحقهم العار من اغتصابها بالقوة (لأنهم في الأشهر
الحرم). فلما حلت لهم مزجوها بعسل كان اختياره أمراً شبيهاً بالمستحيل،
لأن الشهادة كانت في جبل عال سفوحه شديدة الانحدار. والمعوبات التي يدرجها
الشاعر في اختيار هذه الشهادة المتحدية، وكذلك تلك المحفة النضرة الحديثة

النحت والإنتاج تبالغ في إظهار طيبة هذه الخمر العريزة ولذتها .

والقصيدة مترابطة الى حد بعيد . فإن كل بيت فيها يرفد الوحدة العضوية في القصيدة التي لا تنشأ الا في ظل هذا الفهم للقصيدة . فالبيت الأول هو ذكر رحيل هذه المرأة وفراقها ، وهو بالتالي المحرّض للقصيدة : لأنّ الشاعر غير واثق من لقاءه لهذه المرأة المتزوجة . أمّا الأبيات الخمسة التالية ففيها مفتاح هذا القناع إذ يفهمنا الشاعر أنّ المرأة متزوجة : وأن حبّها يقرب من الموت . ثم يصف صعوبات هذا الحب دون التصريح بالسافر حتى لا يهتدى القارئ بسرعة الى مفتاح القصيدة إذ يقول :

فقلت لقلبي يا لك الخير انما يدّيك للموت الجديد حبابها .

إن براعة الشاعر تكمن في أنه أدرج الصورة الخمرية بشكلها التقليدي . أدرجها من خلال وصف ريقة المرأة ، ولكنه ذهب - بعد ذلك - بعيداً حين وظف هذه الأداة الفنية ، وسخرها لإحداث تطوير أساسي في بنية القصيدة .

يبقى أن نبحث في الأبيات الثلاثة الأخيرة في القصيدة ومدى ارتباطها بالوحدة الفنية فيها . الشاعر لا يرتوي بما قاله ، أليس هذا شأن الإنسان في مواجهته مع المحرّمات والممنوعات ، التي لا يفهم - بفطرته - لها معنى ؟

وهو يشكو حبيبته بأنها لامته لسكره وعثرته ، ثم يقول لنا انه لم يكن ليلومها لو عثرت عنده . هل هذا مألوف عند الجاهليين ؟ أم ترى الشاعر يطالب حبيبته والناس على حد سواء بالتسامح معه لانه خرق المألوف ؟

ولا بدّ أخيراً من التوقف أمام المحطات الرمزية الهامة في قصيدة أبي ذؤيب ، فقد أسهمت هذه المحطات في إحكام نسيج القصيدة إسهاماً بعيداً ، وفي إظهار التطابق بين موضوع القصيدة والصورة المعبرة عنه ، مما يدلّ على أنّ الشاعر

يتحدث عن موضوع واحد بصورة ترمز إليه ، ولا بد من الإشارة إلى أن الصورة الخمرية
وصورة اختيار العسل هما قناع واحد لأن الشائبة تجيء رافداً للصورة الأساسية
الأولى :

الحبيبة

١- أبالصرم من أسماء حدك السدن
جرى بيننا يوم استقلت ركابها

٢- وقد طفت من أحوالها وأردتها
سنين فأخشى بعلمها وأهلها

٣- عصاني إليها القلب إنني لأمره
سميع فما أدري أرشد طلابها

٤- فقلت لقلبي يا لك الخير إنما

يدلّيك للموت الجديد حبابها

الخميرة

توصل بالركبان حيناً وتوَلَّف الـ
جواراً ويغشيها الأمان ربابها

فطاف بها أبناء آل معتب
ومز عليهم بيعها واغتصابها

فقيل تجنبها حرام وراقه
ذراها مبيناً عرفها واغتصابها

فاعلق أسباب المنية وارضى
ثقوفته إن لم يخنه انقضابها

١ - إن استعمال الرمز الماورائي في كلا الحالين يؤكد وحدة الموضوع : الاستقسام
بالقداح لمعرفة الاتي لان الحال صعبة وشاقة و زجر الطير في حال الفراق
لمعرفة إمكانية اللقاء ، والاستقسام بالقداح للاستعانة بمعرفة إمكانية
السفر دون مخاطر .

٢ - حركة الطواف حول الحبيبة توحى بالحيرة والمراوغة والعجز ولكنها لا توحى
بالتخلي ، وهي حركة تتطابق مع الحركة حول الخمر .

٣ - التساؤل حول الرشيد والغواية هو تساؤل العارف، ولهذا يتأكد في الحالة المقابلة باستخدام الرمز الأساسي في القصيدة " تجنبها حرام " . أن اسم الخالدي حرام هو من الوضوح والمباشرة بحيث يتلبس القصيدة برمتها ويشير الى ماهية هذا الحب

٤ - الموت الجديد رمز لمعاناة شاقة في هذا الحب وهي معاناة لا تشبه الموت المعروف ولهذا أطلق عليها الشاعر الموت الجديد بكل ما يحمل من رهان وتحذّر، وهذا ما عبر عنه مباشرة في البيت المقابل .

والتعبير عن نواحي الناس بتجنب هذا الحب أو هذه الشهادة . باستعمال الفعل الماضي المبني للمجهول : " فقل تجنبها حرام " هو تعبير مجتزأ مختصر بالمقارنة مع الوصف المسهب للدائد هذا الحب أو هذه الخمرة الممزوجة بالعسل ، وكان الشاعر يحاول أن يجد لنفسه العذر في استمراره في هذا الحب الممنوع رغم اللوم والعدل .

ونلاحظ أنّ الأبيات التي تختص بوصف حالة الحب تحمل أسئلة مهتارة مراوغة ، أما الأبيات المقابلة ففيها أجوبة واضحة مباشرة ، ومواقف حاسمة أساسها إشباع العاطفة بكل ما تعنيه من حب وجرأة وتحذّر . بينما تحمل الأبيات الأولى هواجس العقل والضمير . ويدل ذلك على براعة الشاعر في نسج القناع المناسب لموضوعه ، وهذا ما يبعد القصيدة عن المباشرة المملة .

(بكر العاذلون في وضح الصبح) على نحو أشمل ، إلا أنه في قصيدة الأعرشى تأتي الصورة على أساس الوصف جزءاً من قيمة الصورة الخمرية الكبرى في القصيدة ، بينما يشكل السغني بالخمر من خلال سرد ذكريات الشباب المنصرمة حيزاً هاماً من قيمة الصورة الخمرية الكبرى ، وهذه ظاهرة متكررة كثيراً في القصيدة الجاهلية .

خامساً: تتلَبُّسُ الصورة الخمرية الكبرى شكل القناع لموضوع آخر كما في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي ، وهي تتميز ببراعة فذة بحيث تتطابق ملامح القناع مع ملامح الموضوع نفسه محققة وحدة عضوية فريدة في القصيدة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن استخدام أسلوب القناع على النحو الذي جاء في قصيدة أبي ذؤيب يتسم بمحاولة فنية متقدمة لإحداث تغيير أساسي في بنية القصيدة ، وبهذا الأسلوب تنفص الصورة الخمرية السرى أعلى مراحل تطورها حينئذ .

خاتمة

لم يكن تعاطي العرب للأشربة المسكرة في الجاهلية يقتصر على الخمس المستوردة، وخمر التجار من يهود ونصارى وأعاجم، بل لقد صنع العرب أشربتهم بأنفسهم . وكان انتباذهم لمختلف مواد الخمر دليلاً على حبهم للشراب المسكر . ولهذا تعددت أشربتهم وتنوعت موادها، فكانت لهم خمور من التمر أطلقوا عليها اسم الفُفيخ، ومن العسل وهي البتخ، ومن الذرة والشعير وهي المُر، كما كانت لهم أشربة من القمح ومن بعض النباتات الموجودة في الجزيرة كالكُكب . أما الخمر من الأعناب فقد فضلها العرب على غيرها من الأشربة وخصوها باسم الخمر، وأطلقوا على سائر الأشربة اسم النبيذ تمييزاً لها .

هذا وقد تركت الخمر وسائر الأشربة المسكرة أثراً هاماً في حياة العرب الاقتصادية في الجاهلية من حيث الزراعة والصناعة والتجارة . أما الزراعة، فقد تميّزت الجزيرة العربية بمناطق عرفت منذ القدم بالخصوبة وبوفرة المياه . وكان أبرزها اليمن الخضراء وشمال الحجاز والطائف واليمامة والمدينة وغيرها . وقد تبين لنا مكانة الأعناب في العملية الزراعية الكثيفة في اليمن التي عرفت ما يفوق عشرين نوعاً من الأعناب المختلفة الأحجام والألوان . أما في سائر أنحاء الجزيرة فقد تميّرت الطائف بزراعة الأعناب وتعددت أنواعها واستعمل العنب في صناعة الخمر . وهناك مناطق أخرى في الجزيرة اهتمت بزراعة العنب بمستوى أدنى من اهتمام الطائفيين كـبعض مناطق شمال الحجاز واليمامة وعدد من أودية الجزيرة .

أما الحبوب المختلفة من ذرة وقمح وشعير فقد كثر في اليمن، وفي مناطق شمال الحجاز كـفدلتوتيماء وخيبر، وبعض أنحاء المدينة . وشهرة الجزيرة بالنخيل

والتمور تفوق البحث التفصيلي في زراعته وتغني عنه وليس أدلّ على ذلك من شهرة المدينة بحواشط النخيل، ومأرب والجوف واليمامة والواحات الكثيرة المنتشرة في الصحراء، مما جعل من التمور مادة متوفرة للانتباد فكانت غالب خمور العرب من التمر .

إنّ زراعة العرب لمواد الخمر وتوفّر هذه المواد قد بسّرت صناعة الخمسر المحليّة الى حد بعيد . وقد عرف العرب أدوات لصناعة الخمر كالعواصر ، وأواني الانتباد المختلفة كالحنتم والنقيير والدبّاء والمزفت والجرار الخضر والمهارييس وغيرها . وتفننوا في انتباد الأشربة وذلك بخلط مختلف المواد المنتبذة رغبة منهم في شدة إسكارها ، كما تفننوا في تطيب هذه الأشربة وتعتيقها . وكانت لهم أنواع من أنبذة التمور اختلفت شدتها وسورتها وموادها الاضافية . اماخمسر العسل فقد تميّن بها أهل اليمن لوفرة العسل فيها ، كما اشتهرت بها أمكنة أخرى في باقي الجزيرة كبلاد هذيل وحِداد بني شِبابة ، وغزوان من جبال الحجاز . ويبدو أنّ العسل كان متوفراً أيضاً في مكة والطائف .

ولم تكن صناعة الخمر المحليّة رافداً للسلع التي حملتها قوافل قريش في تجارتها البرية ، وانما شكّلت الخمر احدى أهم السلع المستوردة في هذه التجارة . ويبدو أنّ السبب وراء ذلك يرجع إلى ولوع العرب بالخمر المستوردة من مصادرها البعيدة ، وهي فكرة يؤيدها ذلك المخزون الكبير من الشعر الجاهلي الذي يذكر الخمر المستوردة ويمدحها . يضاف الى ذلك أنّ الخمر المحليّة لم تشكّل فائضاً عن الاستهلاك المحلي لتوظّف في عملية التمدير . ولما كانت تجارة الخمر رابحة لشدة اقبال الناس عليها ، كثر تجّارها وتعدّدت أنواعهم من عرب وعجم ونبط ويهود ونعاري . وكانت الخمر الآتية في عملية التجارة تعرف في الأسواق العربية في الجاهلية التي كانت تقام على مدار السنة ، وفي الحانات ، وفي التجّارة المتنقلة بين القبائل ومدن الجزيرة . وقد تعدّدت مصادر الخمر المستوردة وهي

الشام والعراق وفارس وحوض الفرات وغيرها . وكانت أثمان الخمرة في الجاهلية مرتفعة جداً إذا ما قيست بغيرها من السلع الاستهلاكية المطلوبة حينئذٍ . وقد كان سبب الخمر يتم بمقايضتها بأفضل النبيق والبعران على قيمتها في حياة الجاهليين . وربما يرجع ذلك إلى النفقات الكثيرة التي تستلزم نقلها إلى الجزيرة إضافة إلى دفع الخفارة وغيرها ، أو لعله يرجع إلى كثرة الطلب عليها إذ أنها تنفذ قبل ورود قافلة أخرى .

ولما كان أثر الخمرة بارزاً في مختلف مرافق الحياة الاقتصادية التسيحية حكمت الحياة العربية في الجاهلية كان لا بد أن يتغلغل هذا الأثر إلى حياة العرب الاجتماعية حينئذٍ ويحكم سلوكهم في الشراب ، ويطور عندهم مفهوماً لتعاطي الخمر منسجماً مع المفهوم الأخلاقي البدوي السائد القائم على فكرة المروءة . كما أن انتشار الأثرية بينهم قد جعل من فكرة الشراب شيئاً أسمى من مجرد وسيلة لقضاء الوقت باللهو والمتعة . ويدل على ذلك أوقات شرب الخمر عندهم وكثرتها بحيث تشمل يومهم كله ، وتؤثر بالتالي على كافة أوجه نشاطهم . لهذا شربوا الخمرة في أيام السلم وفي حروبهم وأسفارهم ومجالسهم ، وفي زياراتهم للحانات والاديرة . وارتبطت الخمرة عندهم بغيرها من اللذات كالغناء والزنا والميسر ارتباطاً وثيقاً . وكان لهم نظام خاص لمجالس الشراب ومستلزماتها من سقاة وقيان وأدوات شرب . وكان نميب المرأة الحرة في هذه المجالس يكاد يكون منعدماً . وقد تركت الخمرة آثاراً هامة في حياة العرب الاجتماعية انقسمت بين إيجابية وسلبية . فأما الآثار الإيجابية فمنها أن الخمرة قد ارتبطت بفضائل عربية هامة كالجود والشجاعة والامانة ، وكانت دافعاً هاماً لممارسة هذه الفضائل . ولما كانت هذه الفضائل أساس المفهوم الأخلاقي القبلي ، كان ارتباط الخمرة بها على هذا الشكل سبباً في حبهم للخمر واتبالهم عليها ضمن حدود لا تخل بالمعيار الخلقي العام ، ولهذا كرهوا السكر الشديد القبيح ونهوا عنه .

أما الآثار السلبية المتعلقة بالخمرة فهي السكر والعريضة والزنا والانتحار بشربها صرفاً للخلاص من العار . وغالباً ما كان العار المشار اليه يتأتى من خرق واضح للأعراف المتوارثة كما يدل انتحار أربعة من سادة العسرب بشرب الخمر الصرف .

وكان للخمرة أثر هام في حياة العرب الدينية في الجاهلية إذ كانت تتخذ قرابين للاصنام . وربما ارتبطت الخمرة بأحد الأوثان في الجاهلية بناءً لاشارات جاءت في الشعر الجاهلي من جهة، ونظراً لقيمتها في حياة العرب كما رأينا . أما تحريم الخمر في الجاهلية ، في وقت سبق التحريم الاسلامي ، فمردّه أخلاقي فسي الغالب الاعم على الرغم من وجود حافز تديني عند قلة من العرب ، وتأثر البعض بشعائر قديمة كانت تحرم الخمر . ودليلنا على ذلك أن هالبية الذين حرّموا الخمر في الجاهلية إنما حرّموها لاسباب لا تتّصل بالدين بقدر ما ترتبط بالمعيار الاخلاقي القبلي . وقد كان التحريم عقاباً يفرضه الرجل على نفسه لاخلاله بالأعراف المرسومة . وهناك نوع آخر من التحريم للخمر ولكنه تحريم مؤقت ارتبط بتحريم سائر اللذات في حالة الشار . فاذا أدرك الموتور شاره أبيحت له من جديد .

هذا وقد ارتبطت الخمر بغيرها من لذات الجاهلية ارتباطاً وثيقاً ، وشكلت معها مفهوماً عفويّاً ذا طابع فلسفي ؛ فكانت فكرة مبادرة اللذات سلاحاً نفسياً مريحاً للتغلب على فكرة الموت والشيخوخة والمصير المجهول المائل في خيال البدوي .

وكان للخمرة دور هام في الشعر الجاهلي . فقد رفدت الصور الخمرية المختلفة سائر الصور في نسيج هذا الشعر ، وخدمت غالباً أغراض القصيدة الجاهلية . واستعملت هذه الصور الخمرية في التشبيهات التوضيحية لغيرها من مرافق الحياة الجاهلية . وتنقسم هذه الصور الى صور صغرى وأخرى كبرى . وقد أفردت رسداً عاماً لنسق ورود الصور الصغرى في الشعر وبرهنت على مادية الوصف والتشبيه

فيها كجزء من التقليد المادي الذي ينسحب على الشعر الجاهلي بمعظمه .
أما الصورة الكبرى فقد أثبت مدى إسهامها في تطوير بنية القصيدة وذلك يتدرج
من كونها تشكل مناخاً من مناخات القصيدة ، الى كونها المفتاح لوحدة عضوية
فريدة في القصيدة الجاهلية كما برزت في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي (ابالصرم
من اسماء حدثك الذي) . وقد اعتمدت قصائد معينة وحللتها لدرس كيفية ورود
الصورة الخمرية الكبرى في الشعر الجاهلي .

ملحق

بأسماء الخمس حسب صفاتها ومصادرها

أسماء الخمر حسب صفاتها

أولاً : أسماءها بحسب أوقات شربها :

١ - الصُّبُوح : ما يشرب صباحاً (١) . قال امرؤ القيس (٢) :

نَزَعْتَهُ كَأْسَ الصُّبُوحِ وَلَمْ
أَعْمَلْ مَجْدَةَ عَذْرَةَ الرَّجَسِ

وقال الحادرة (٣) :

فَسَمِي مَا يَدْرِيكَ أَنْ رَبِّ فِتْيَةٍ
مُحَمَّدٍ فَعَقِبَ الصُّبُوحِ عِيُونَهُمْ
بَاكَرَتْ لَذَنَّهُمْ بِأَدَاكُنْ مَتَسْرِعٍ
بِمَرَى هُنَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ وَمُسْمَعٍ

٢ - القَيْل : شرب نصف النهار (٤) . قالت أمّ تَابِطُ شَرَا تَرْشِيهِ (٥) :

وَأَبْنَاهُ وَأَبْنُ اللَّيْلِ
لَيْسَ بِزَمِيلٍ لَيْسَ بِزَمِيلٍ
شُرِبَ لِلْقَيْلِ

٣ - الغُبُوق : ما يشرب مساءً (٦) ، قال عمرو بن الأهتم (٧) :

فَبَاتَ لَنَا مِنْهَا وَلِلضَّيْفِ مَوْهِنًا
شِوَاءَ سَمِينِ زَاهِقٍ وَعُغْبُوقٍ

٤ - التَّغْلِيْس : الشرب في ظلمة آخر الليل (٨)

(١) - الأزمنة والامكنة : ٢ : ٦٥ .

(٢) - ديوانه : ٢٣٩ .

(٣) - ديوان المفضليات : ١ : ٥٩ .

(٤) - الأزمنة والامكنة : ١ : ٦٦ .

(٥) - شرح أشعار الهدليين : ٢ : ٨٤٦ .

(٦) - الأزمنة والامكنة : ٢ : ٦٥ .

(٧) - ديوان المفضليات : ١ : ٢٥٣ .

(٨) - قطب السرور : ٣٢٤ .

٥ - الجاشرية : وهي شرب السحر :

وَنَدْمَانٍ يُزِيدُ الْكَاسَ طَيْبًا سَقَيْتِ الْجَاشِرِيَّةَ أَوْ سَقَى لِسِي (١)

٦ - التمهق : يقال ما زال يتمهق إذا شرب يومه أجمع (٢)

ثانياً : التعتيق :

- الخندريس : سميت به لقدمها ، ومنه حنطة خندريس للقدمية . وقال أبو حنيفة :

لا تكون خندريساً حتى يتبين القدم عليها في راحتها فتنشم (٣) . وهي

معربة من الرومية (٤) ، وقيل من الفارسية (٥) .

قال الاعشى : (٦)

مَضَى لِي شِمَانُونَ مِنْ مَوْلِدِي كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حَسَابِهَا
فَأَصْبَحَتْ وَدَعَتْ لَهَا الشَّبَابَ وَالْخَنْدَرِيْسَ لِأَصْحَابِهَا

وقال عنترة (٧) :

تَطُوفُ عَلَيْهِمْ خَنْدَرِيْسٌ مَدَامَةٌ تَرَى حَبَّابًا مِنْ فَوْقِهَا حَبِينَ تَمْرَجُ

- الرحيق : قال ابن الأعرابي : الرحيق : هي ما عتق من الخمر (٨) .

(١) - الأزمنة والامكنة : ٢ : ٦٨ .

(٢) - المصدر السابق : ٢ : ٦٩ .

(٣) - المخصص : ١١ : ٧٤ وفي البلغة : ٩٢ : "اسم من اسمائها يدل على العتق" .

(٤) - المعرب : ١٢٤ .

(٥) - المعرب : ١٢٤ .

(٦) - الصبح المنير : ١٢٢ .

(٧) - ديوانه : ٣٥ .

(٨) - المخصص : ١١ : ٧٤ .

- العَاتِقُ والعَتِيقُ : قال أبو عبيد : القديمة ، وقيل التي لم يفضّ ختامها .
وقال أبو حنيفة : إذا مضى لها حول فقد عُتِّقَتْ وعَتِّقَتْ ، وقد عَتَّقَتْ
ثم ما أديمت من الزمان . وقال أبو علي : أن تكون العَتِيقُ القديمة
أولى لأن العتق القدم في الموات من كل شيء ، وقيل العتيق القديم
من جميع الأشياء ، والعتيق الطلاء والخمر (١) . قال حسان بن
شابت (٢) :

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى الحَانُوتِ يَمْبَحِنِي مِنْ عَاتِقٍ مِثْلَ عَيْنِ الدَّيْكِ شَعْشَاعِ

وقال الحادرة (٣) :

بُكِرُوا عَلَيَّ بِسِحْرِهِ فَصَبَحْتَهُمْ مِنْ عَاتِقِ كَدَمِ الغَزَالِ مُشَعَّعِ

وقال قيس بن الخطيم (٤) :

لَهُ سَجْلَانٌ : سَجْلٌ مِنْ مَرِيحٍ وَسَجْلٌ تَرِيكَةٌ بِعَتِيقِ خَمْرٍ

وقال عنبرة (٥) :

كَذَبَ العَتِيقُ وَمَاءٌ شَنِ بَارِدٍ إِنْ كُنْتُ سَأَلْتِي غُبُوقًا فَاذْهَبِي

- العَانِسُكَةُ (٦) : من أسماكها التي تدلّ على الكبر .

(١) - المخصص ١١ : ٧٦ .

(٢) - ديوانه : ١ : ٣٠٢ .

(٣) - ديوان المفضليات : ١ : ٥٩ .

(٤) - ديوانه : ١٢٤ .

(٥) - ديوانه : ٢٠ .

(٦) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

- العجوز (١) : من أسماءها التي تدل على العتق .

- العُقَار والعُقَارِيَّة : قال الأصبعي : يقال لها العُقَار لأنها عاقرت الدنّ زماناً (٢).

وقال ابن السكيت : سميت بذلك لأنها عاقرت الدن - أي لازمته ، وقال بعضهم : كلا أرض بني فلان عُقَار . أي يعقر الماشية - فمن ثم قيل للخمر عُقَار لأنها تعقر شاربها . قال أبو حنيفة : القول الأول أشبه لأنّالم نجد العرب سمّت الخمر عُقَاراً على جهة الدنّ لها (٣) . وقال الأعمش : (٤) :

لَهُ خُلِقَ عَلَى الدَّهْرِ يَمْفُو كَمَا رَقَّتْ عَلَى دَهْرِ عُقَارٍ

وقال المرقش الأصغر: (٥)

كَانَ فِيهَا عُقَارًا قَرَفًا نَشَّ مِنَ الدَّنِّ فَالْكَأْسُ رَدُومٌ

وقال بشر بن أبي خازم: (٦)

فَبِتْ مَسْهَدًا أَرْقًا كَأَنِّي تَمَشَّتْ فِي مَفَاطِلِي العُقَارُ

وقال عطية الربابي: (٧)

كَأَنِّي أَطْبَحْتُ عُقَارِيَّةً تَمَعَّدَ بِالمَرءِ صِرْفًا عُقَارًا

(١) - البلغة : ٩٢ ، وجاء في المخصص : ٨١ : ١١ : " العجوز : الخمر " .

(٢) - البلغة : ٩٣ .

(٣) - المخصص : ١١ : ٧٥ .

(٤) - الصبح المنير : ٢٤٣ .

(٥) - ديوان المفضليات : ١ : ٥٠٤ .

(٦) - ديوانه : ٦٥ .

(٧) - ديوان المفضليات : ١ : ٨٣٧ .

- المُدَامُ والمُدَامَةُ : قال ابن السكيت : سميت كذلك لأنها أديمت في طرفها ،
وقال أبو حنيفة : سميت بذلك لأن صاحبها أدامها أي عتقها (١) . وقال
الطائفي : والمُدَامَةُ الخمر الكثيرة بين الرجال لا تنزف لكثرتها (٢) .
قال امرؤ القيس : (٣)

إِذَا ذُقْتَ فَاهَا قَلْتَنظَمَ مُدَامَةً مَعْتَقَةً مِمَّا يَجِيءُ بِهِ التَّجَسُّرُ

وقال بشر بن أبي خازم : (٤)

لِيَأْلِي نَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ كَأَنَّ رَضَابَهُ وَهَنَا مُسَدَامٌ

وقال عمرو بن معديكرب : (٥)

وَكَانَ طَعْمَ مُدَامَةٍ جَبَلِيَّةٍ بِالْمَيْسِكِ وَالْكَافُورِ وَالرَّيْحَانِ
وَالشَّهْدِ شَيْبٍ بِمَاءٍ وَرَدٍ بَارِدٍ مِنْهَا عَلَى الْمُتَنَفِّسِ الْوَهْنَانَ

- المَعْتَقَةُ : الخمر التي أطيل حبسها في الدن (٦) . قال أوس بن حجر (٧) :

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكُرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ مَاءِ أَصْهَبٍ فِي الْحَانُوتِ نَضَّاحٍ
أَوْ مِنْ مَعْتَقَةٍ وَرَهَا نَشُوتَهَا أَوْ مِنْ أَنْابِيبِ رَمَانَ وَتَفَّاحٍ

(١) - المخصص : ١١ : ٧٥ .

(٢) - البلغة : ٩١ .

(٣) - ديوانه : ١١٠ .

(٤) - المفضليات : ١ : ٦٤٩ ، وديوانه : ٢٠٢ ، (الرواية هناك : " يَرِفُ كَأَنَّهُ وَهَنَا مُدَامٌ " .

(٥) - ديوانه : ١٨٤ .

(٦) - البلغة : ٩٣ .

(٧) - ديوانه : ١٤ . ورهاء : حمقاء أي شديدة ، قوية .

ثالثاً : تسميتها بأول ما يبزل منها :

- الأنسف : قال أبو حنيفة : " الأنف أول ما يبزل من الخمر " (١) . وقال
امروء القيس : (٢)

أَنْفٌ كَلُونِ دَمِ الْغُرَالِ مَعْتَقٌ مِنْ خَمْرِ عَانَةٍ أَوْ كُرُومِ شِبَامٍ

- الخرطوم : من أسماء الخمر ، وهو أول ما ينزل منها قبل أن يداس عنبها (٣) ،
وقال الطائفي : الخرطوم اسم من اسمائها . وقال الاصمعي : أول ما
يخرج من الدن إذا بزل . وخرطوم الخمر زعم حذها حين تنحدر من
الابريق . قال ، والخمر نفسها اسمها الخرطوم (٤) . قال علمقصة
ابن عبدة : (٥)

قَدْ أَشْهَدَ الشَّرْبَ فِيهِمْ مِزْهَرَ رَنِمٍ وَالْقَوْمَ تَصْرَعُهُمْ صِهْبَاءُ خَرْطُومٍ

- الرحيق : وهي الرقاق ، وصفوة الخمر (٦) . قال بشر بن مرشد : (٧)

وَتَرَاهُمْ يَغْشَى الرَّفِيفُ جِلْوَدَهُمْ طَنْزِينَ يَسْقُونَ الرَّحِيقَ الْأَصْهَابَ

وقال حسان بن ثابت : (٨)

(١) - المخصص : ١١ : ٨٠ .

(٢) - ديوانه : ١١٥ .

(٣) - المخصص : ١١ : ٧٨ .

(٤) - البلغة : ٩٢ .

(٥) - ديوانه : ٦٨ .

(٦) - المخصص : ١١ : ٧٤ ، وذكرت في البلغة : ٩١ .

(٧) - المفضليات : ١ : ٥٥٥ ، والبيت في الحاشية .

(٨) - ديوانه : ١ : ٧٤ .

يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ السَّبْرِ يَصُّ عَلَيْهِمْ
بَرْدِي يُصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

- السُّلَافُ والسُّلَافَةُ : اسم للخمر . والسُّلَافُ والسُّلَافَةُ الخالص منها .

الأصمعي : هو أول ما يبزل منها (١) . وقال ابن السكيت : ما سأل
منها من غير أن تعصر . وقال أبو حنيفة : إذا كانت أول ما بزلت
أو قدحت فهي سلاف ، وقال ، وإذا انقعت الزبيب أياماً فأول ما يرفع
من عصارتها السُّلَافُ ثم يصب الماء فيكون ما يخرج بعد الماء نظلاً (٢) .
قال أبو ذؤيب الهذلي : (٣)

كَانَ عَلَى فِيهَا عَقَارًا مُدَامَةً
سُلَافَةٌ رَاحَ عَتَقَتَهَا تَجَارُهُهَا

- العنفوان : قال أبو حنيفة : " الأنف أول ما يبزل من الخمر وكذلك العنفوان (٤) " .

- الناجود : أول ما يخرج من البزال إذا بزل الدن (٥) ، سميت الخمر به (٦) :

كَأَنَّمَا الْمَسْكُ نَهَبَى بَيْنَ أَرْحَلِنَا
مِمَّا تَضَوُّعُ مِنْ نَاجُودِهَا الْجَارِي

(١) - البلغة : ٩٢ .

(٢) - المخصص : ١١ : ٧٨ .

(٣) - شرح أشعار الهدليين : ١ : ٧٣ .

(٤) - المخصص : ١١ : ٨٠ .

(٥) - المخصص : ١١ : ٧٨ .

(٦) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

رابعاً : الخمر الصُّرْفُ والخمر المَمْرُوجِيَّة :

- الشُّمُوس : قيل : سميت الخمر شُمُوساً لشماسها عند المزاج لأنها تنافر الماء إذا شَجَّتْ به وتَمَيَّزُ وترمي بالحَبَابِ رمي السهام (١) .

- صُرَاحٌ وَصُرَاحِيَّةٌ : الخمر الخالصة التي لم تشب بمزج (٢) .

- صُرْفٌ : الخمر إذا شربت بغير مزاج (٣) . قال امرؤ القيس (٤)

لَقَدْ أَصْبَحَ الْفِتْيَانُ مَهْبَاءً صِفْوَةً مَعْتَقَةً صُرْفًا إِذَا الْبَدِيكُ أَحْرًا

وقال الأعشى (٥)

وَصَهْبَاءُ صُرْفٍ كُلُّونِ الْقُصُوصِ سَرِيحٍ إِلَى الشَّرْبِ أَكْسَالَهُمَا

وقال عبيد بن الأبرص (٦)

إِذَا اتَّكَوْا فَادَارَتْهَا أَكْفَهُمْ صُرْفًا تَدَارُ بِأَكْوَاسٍ وَأَقْدَاحٍ

- صَفْوُ الْفِضَالِ : قال الأعشى (٧)

وَالشَّارِبِينَ إِذَا الذُّوَارِعُ غُولِيَّتْ صَفْوُ الْفِضَالِ بِطَارِفٍ وَتِسْلَادٍ

(١) - المخصص : ١١ : ٧٧ .

(٢) - المخصص : ١١ : ٨٨ .

(٣) - المخصص : ١١ : ٨٨ .

(٤) - ديوانه : ٢٦٥ .

(٥) - الصبح المنير : ١١٧ .

(٦) - ديوانه : ٤٩ .

(٧) - الصبح المنير : ٩٩ .

- الطَّلَاءُ " الذي لم يمزج . وأنشد للطائفي : (١)
حَسَبْتُ طَّلَاءَ الْخَمْرِ حِينَ شَرِبْتَهُ بِدَوْمَةِ شَرِبِ الرَّائِبِ الْمَتَفَرِّقِ "

وقال عبيد بن الأبرص : (٢)
" . الْخَمْرُ تَكْنَى الطَّلَاءُ كَمَا الدُّبُّ يَكْنَى أَبَا جَعْدَةَ "

- العُسَيْقَةُ : الشراب الكثير الماء الرديء (٣)

- المُرُوحُ : الخمر التي تمرح في الإناء عند المزاج (٤) . قال أبو ذؤيب (٥) :
مَصْفَقَةٌ مَصْفَاةٌ عَقَارٌ شَامِيَةٌ إِذَا جَلِيَتْ مَرُوحٌ

- المُشَعَّعَةُ : الممزوجة . كل شيء مزج فأرق مزجه فهو مشعع (٦) . قال عمرو
ابن كلثوم (٧) :
مُشَعَّعَةٌ كَأَنَّ الْحَصَى فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِيْنَا
وقال لبيد : (٨)

مُشَعَّعَةٌ مِمَّا تَعْتَقُ بَابِلَ

- المُعْرَقُ : الممزوج . "عرق من ماء أي ليس بكثير" (٩) .

-
- (١) - البلغة : ٩١ .
 - (٢) - ديوانه : ٢١ .
 - (٣) - المخصص : ١١ : ٨٨ .
 - (٤) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
 - (٥) - شرح أشعار الهدليين : ١ : ١٧١ .
 - (٦) - البلغة : ٩٠ .
 - (٧) - شرح القصائد العشر : ٢٨٤ .
 - (٨) - شرح ديوان لبيد : ٢٥٦ .
 - (٩) - نهاية الارب : ٤ : ٨٧ .

- المقطَّب: من القطب؛ "القطب خلط الخمر بالماء ومن ذلك يقال جاء القوم قاطبة أي جميعاً" مختلطين بعضهم ببعض" (١). قال بشر بن أبي خازم: (٢)

وقهوة تنشق المستام نكهتها صهباء صافية من خمر دي نطف
يقول قاطبها للشرب: قد كلفت وما بها ثم بعد القطب من كلف

- النطاف والنطافة: قال بشر بن أبي خازم (٣)

كان نطافة شيبت بمسك هدوءاً في ثاياتها برأح

خامساً: تسميتها بحسب لونها:

- أخضر: لم يصف أحد من العرب الخمرة بالخضرة سوى عدي بن زيد، وقد عيب عليه ذلك، قال: (٤)

والمشرف المشمول يسقى به أخضر مطموتا كماء الخريص

- الارجوانية: "الخمر الحمراء فإذا قنأت حمرتها فهي الارجوانية" (٥)

- أم ليلي: إذا كانت الخمر سوداء قيل لها أم ليلي (٦).

- أمهق: من المهق، وهو بياض في زرقه (٧)، يقال شراب أمهق.

-
- (١) - فقه اللغة: ١٤١ .
(٢) - ديوانه: ١٥٩ .
(٣) - ديوانه: ٤٤ . وورد في البلغة في شذور اللغة: ٩٢: ان النطاف والنطافة من اسماء الخمر.
(٤) - ديوانه: ٧١ .
(٥) - المخصص: ١١: ٧٨ .
(٦) - المخصص: ١١: ٨١، والبلغة: ٩٢ .
(٧) - المخصص: ١١: ٧٩ .

- الجرباء : من أسمائها (١)

- الجربال : سميت الخمر جربالاً لحرمتها (٢)، والجربال " صبغ أحمر، ويقال جربان وقيل هو ماء الذهب .. وزعم الأعمى أنه رومي معرب " (٣). قال الأعشى : (٤)

وصهباء مرف كلون الفصوص سريع إلى الشرب أكسالها
تريك القذى وهي من دونه إذا ما تمفق جربالها
شربت إذا الراح بعد الأصيل طابت ورفع أطلالها

- الخمراة : من أسمائها . قال عدّي بن زيد : (٥)

إذ عبقته خمراة صافية والخمر وهل يهيم شاربها

- الزرجون : فارسية معربة، وأصله " زركون " أي لون الذهب . والزرجون العنب بلغة أهل الطائف (٦).

- سخامية : " السخامي من الخمر ، الذي يضرب الى السواد " (٧)

- الصقراة : اسم من أسمائها (٨)، قال أمية بن أبي الصلت : (٩)

(١) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

(٢) - المخصص : ١١ : ٧٨ ، والبلغة : ٩٢ .

(٣) - المعرب : ١٠٢ .

(٤) - الصبح المنير : ١١٧ .

(٥) - ديوانه : ٤٨ .

(٦) - المعرب : ١٦٥ .

(٧) - لسان العرب مادة : (سخم) .

(٨) - البلغة : ٩٢ .

(٩) - ديوانه : ٦٨١ .

يَسْقُونَ فِيهَا بَكَّاسٍ لَذَّةٍ أَنفِصَاءٍ
صَفْرَاءٍ لَا نَزْفَ فِيهَا وَلَا سَكْرًا

- الصهباء: التي عصرت من عنب أبيض، وذلك إذا ضربت إلى البياض، وقال أبو حنيفة: إذا رقت حمرتها كثيرا فلم تر إلا يسيرا فهي صهباء: اسم لها كالعلم (١). قال امرؤ القيس (٢):

فَظَلَّلْنِي فِي رَوْضَاتٍ مُّحْنِيصَةٍ بَيْنَ الْعِضَاهِ وَسَامِقِ الْبَقْلِ
فَسَقَيْنَنِي صَهْبَاءً صَافِيصَةً وَشَرَّنِي حَذَّ الشَّمْسِ بِالْعَقْلِ

- الكلفاء: الكلف: " أن تعلقو الخمر الحمراء لعم سود وبذلك قيل لها كلفاء، وهي اشتداد الحمرة إلى السواد" (٣).

- الكميت: الحمراء إلى الكلفة (٤)، فإذا اشتدت حمرتها حتى تضرب إلى السواد فهي كلفاء. وقيل لون الخمر إلى الكمة (٥) قال امرؤ القيس (٦):

أَسْقِيَا حَجْرًا عَلَى عِلَاتِهِ مِنْ كَمِيَّتٍ لَوْنُهَا لَوْنُ الْعَلِقِ
وَقَالَ الْأَعَشَى: (٧)
كَمِيَّتٌ عَلَيْهَا حَمْرَةٌ فَوْقَ كَمْتَةٍ يَكَادُ يَفْرِي الْمِسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا
وَقَالَ أَيْضًا: (٨)

كَمِيَّتًا تَكْشِفُ عَنْ حَمْرَةٍ إِذَا صَرَّحْتَ بَعْدَ إِزْبَادِهَا

-
- (١) - المخصص: ١١ : ٧٧ ، والبلغة : ٩١ .
 - (٢) - ديوانه : ٢٦٣ .
 - (٣) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
 - (٤) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
 - (٥) - البلغة : ٩٣ .
 - (٦) - ديوانه : ١٩٤ .
 - (٧) - الصبح المنير : ٦٠ ، وحماتها : حميت .
 - (٨) - الصبح المنير : ٥٢ .

- ماتع : شراب ماتع إذا اشتد حمرة (١).
- المدمة : الخمر الحمراء (٢).
- وردة : إذا رقت الخمر قليلاً في لون الورد الأحمر قيل لها وردة (٣).
- سادسا : تسميتها بحسب طعمها :
- البسيلة : الخمر الحامض وقيل الكريه . وهي ما يبقى في الأنية من شراب القوم فيبيت فيها (٤).
- الحادقة : الخمر الحامضة إذا جاوزت القروس وقويت فهي حادقة (٥).
- الخلّة : الخمرة الحامضة (٦) . قال أبو ذؤيب : (٧)
- عَقَارُ كَمَا فِي النَّبِيِّ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ وَلَا خَلَّةٌ يَكْوِي الشَّرْبُ شَهَابَهَا
- الخمطة : الخمر التي تغيّر طعمها وفيه حلوة ، وقيل الخمطة التي أخذت شيئاً من الريح كريح التفاح ، وقيل هي الحامضة مع ريح (٨) ويقال للخمر ليست بخمطة ولا خلّة (٩) - كما في بيت أبي ذؤيب . قال

-
- (١) - المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٢) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٤) - المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٥) - المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٦) - المخصص : ١١ : ٧٩ .
(٧) - شرح أشعار الهدليين : ١ : ٤٥ .
(٨) - البلغة في شذور اللغة : ٩٣ .
(٩) - المخصص : ١١ : ٧٥ .

المتنخل الهدلي (١) :

مَشْعَعَةٌ كَعِينِ الدِّيكِ لَيْسَتْ إِذَا ذَبَقْتُ مِنَ الخَلِ الخُمُساطِ .

- ربيعة : قال المرقش الأكبر: (٢)

بِأَخُولِ مَا بَدْرِيكَ رَبَّتْ حَرَّةٌ خُودِ كَرِيمَةٍ حَيْسَهَا وَنَسَائِهَا
قَدْ بَتَّ مَالِكُهَا وَشَارِبُ رِيَّةٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ كَرِيمَةٍ بِبِائِهَا

- السُّخَامُ ، والسُّخَامِيَّةُ : الخمر اللينة السلسة من قولهم شُخِمَ سُخَامٌ (٣) ، قال الأعمى : (٤)

فَبِتَّ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ سُخَامِيَّةٍ حَمْرًا ، تَحَسِبُ عِنْدَمَا

وقال ربيعة بن مقروم (٥) :
وَفَتِيَّانِ صِدْقٍ قَدْ صَبَحَتْ سَلَافَةٌ إِذَا الدِّيكِ فِي جَوْشٍ مِنَ اللَّيْلِ طَرِبَا
سُخَامِيَّةٍ صَهْبَاءَ صَرْفًا وَتَارَةً تَعَاوَرُ أَيْدِيَهُمْ شَوَاءَ مَضْهَبِيَا

- سُلْسُلٌ وَسُلْسَالٌ : إذا كانت الخمر سهلة الدخول في الحلق : (٦)

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ وَذِكْرَهُ أَشْهُى إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (٧)

- السَّهْوَةُ : الخمر اللينة السهلة ، وكل سهل سهو (٨) .

(١) - شرح أشعار الهدليين : ٣ : ١٢٦٩ .

(٢) - ديوان المفضليات : ١ : ٤٨٠ .

(٣) - المخصص : ١١ : ٧٧ .

(٤) - الصبح المنير : ٢٠٠ .

(٥) - الاصمعيات : ٢٢٤ .

(٦) - المخصص : ١١ : ٧٧ .

(٧) - أبو كبير الهدلي واسمه عامر بن الحليس ، شرح أشعار الهدليين : ٣ : ١٠٦٣ .

(٨) - المخصص : ١١ : ٧٧ .

- الطُّسْتَةُ : الخمر اللذيذة (١). قال حميد بن ثور (٢) :

سَيَكْفِيكُمْ جَلٌ مِّنَ اللَّيْلِ وَابِعٍ وَصَهْبَاءٌ لِلْحَاجِّ الْمَشْتِ ظَلُوبٍ
رُكُودِ الْحَمِيَا طَلَّةً شَابَ مَاءُهَا لَهَا مِنْ عَقَارِءِ الْكُرُومِ رَبِيبٌ

- المَادِيَّةُ : الخمر سميت بذلك لسهولة مدخلها ، ومنه قيل غسل مادي (٣) .

قال عوف بن عطية الربابي : (٤)

بَلَّافَةٌ صَهْبَاءٌ مَادِيَّةٌ يَفِضُ الْمَسَابِيءَ عَنْهَا الْجَرَارَا

- المَرَاءُ : " من قولك هذا أمرى من هذا أي أفضل " (٥)

- المَرَاءُ : قيل ضرب من الأشرية : وروى :

بشس الصحة وبشس الشرب شربهم إذا جرى فيهم المزاء والسكر

قال السكري : " والصواب المَرَاءُ بالفتح لأنها أمر الأشرية أي
أفضلها ، وبالضم فهي المَرَّةُ ولا خير فيها لأنها آخذة في حد الحموضة
وهي بين الحامضة والحلوة ، التي تحذي اللسان ليس من الحموضة " (٦)

قال الأعشى : (٧)

فُعَجِبْتُ ...

مِنْ شَرِبَهَا الْمَرَاءُ مَا اسْتَبْطَنَتْ مِنْ إِشْرَابِهَا

-
- (١) - المخصص : ١١ : ٧٧ -
 - (٢) - ديوانه : ٥٢ -
 - (٣) - المخصص : ١١ : ٧٨ -
 - (٤) - المفطليات : ١ : ٨٣٨ -
 - (٥) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ -
 - (٦) - المخصص : ١١ : ٧٦ -
 - (٧) - الصبح المنير : ١٧٩ ، هكذا ورد -

- الممطار والممطرة : وقد اختلف فيها . فقال قوم انها الخمر الحامض (١) ، وفي

المعرب : " الممطار من صفات الخمر يقال هو رومي معرب ويقال
مسطار بالسین أيضاً ، وهي التي فيها حلوة " (٢) . قال عدي بن
الرقاع : (٣)

مَمْطَرَةٌ ذَهَبَتْ فِي الرَّأْسِ نَشْوَتَهَا كَأَنَّ شَارِبَهَا مِمَّا بِهِ لَمَمٌ

سابعاً : تسميتها بحسب ما تحدثه في شاربها :

- الإثم : اسم من أسماء الخمر " وقع عليها لما في شربها من الإثم " (٤)

- الحمق : اسم وقع عليها لما في شربها من الحمق (٥) .

- الحميأ : اسم من أسماءها لما تسببه من سؤرة الشراب وصدمة في الرأس ،

وَحَمِيًّا كُلُّ شَيْءٍ شَدَّتْهُ (٦) . قال الشماخ بن ضرار : (٧)

فَبِتْ كَأَنِّي سَافَهْتُ خَمْرًا مَعْتَقَةً حَمِيَّاهَا تَدُورُ

- الخنديس : جاء في المعرب : " قال قوم إنها معربة من الفارسية وانما هي

كندريش أي ينتف شاربها لحيته لذهاب عقله ، فعربت خندريس " (٨) .

(١) - المخصص : ١١ : ٧٥ .

(٢) - المعرب : ٣٢١ ، وفي نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ : الممطار بالضاد أيضاً .

(٣) - البيت في المخصص : ١١ : ٧٥ .

(٤) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٤ .

(٥) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٤ .

(٦) - البلغة في شذور اللغة : ٩٣ .

(٧) - ديوانه : ١٥٢ .

(٨) - المعرب : ١٢٤ .

- السراج: سميت الخمر راحاً لأن صاحبها يرتاح إذا شربها - أي يهش للسخاء والكرم،

وكل خمر راح (١) . قال الأعشى: (٢)

لُعْمَرُكَ إِنْ الرَّاحِ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا لِمَخْتَلِفِ غَدِيَّتِهَا وَعَشَاتِبِهَا
لَنَا مِنْ فُحَاهَا خَبَتْ نَفْسِي وَكَأَبَةً وَذِكْرِي هَمُومٌ مَا تُغَبُّ أَدَاتِهَا
وَعِنْدَ الْعَشِيِّ طَيِّبَ نَفْسِي وَلَذَّةً وَمَالٍ كَثِيرٌ غَدُوةً نَشْوَاتِهَا

وقال امرؤ القيس: (٣)

وَأَقَامَ يَسْفِي الرَّاحُ فِي هَامَاتِهِمْ مُلِكٌ يَعْلُ بِشْرِبِهَا تَعْلِيلاً

- رياح: يقال للراح أيضا رياح، وقيل لأنها تكسب صاحبها الأريحية أي خفة العطاء (٤).

- الشموس: سميت الخمر كذلك لأنها تجمع بصاحبها (٥)، شبهت بالدابة التي تجحجج براكبها (٦).

- الشمول: لأنها تشمل الناس بريحها (٧)، ولأن لها عصفة كعصفة الشمال (٨)، وقال أبو حنيفة: "سميت شمولا لأنها تشتمل على العقل فتذهب به" (٩). قال الأعشى (١٠):

-
- (١) - المخصص: ١١ : ٧٤ .
 - (٢) - الصبح المنير: ٦١ .
 - (٣) - ديوانه: ٣٦٠ .
 - (٤) - المخصص: ١١ : ٧٤ .
 - (٥) - البلغة: ٩٢ .
 - (٦) - نهاية الأرب: ٤ : ٨٧ .
 - (٧) - المخصص: ١١ : ٧٤ .
 - (٨) - البلغة: ٩١ .
 - (٩) - المخصص: ١١ : ٧٤ .
 - (١٠) - الصبح المنير: ١٦٢ .

وشمول تحسب العيين إذا
صفحت وردتها نور الذب --ج

وقال الحليفة (١):

وتبسبم عن عذب مجاج كأنه
نفاقة مزن صفقت يشم--ول

-- الترقف: اسم للخمر، وهي التي يقرقف عنها صاحبها تأخذه عنها رعدة (٢)

وقال أبو عبيد: اسم للخمر، وأندر أبو عمرو من يتول لانها تترقف
يعني ترعد الناس (٣). قالهـدي بن زيد (٤):

بائرتين ترقف كدم الجو
في تريك التذي كميست رجيت

وقال جرّان السود (٥):

كأن شاياما العذاب ورينتها
ونشوة فمينا خالنتهن قرقف

وقال أيضا (٦):

وبتنا كانا بيئتنا لئيمة
من المسك أو خوّارة التريم قرقف

-- قرقف: لغة في القرقف، وأنشد في المخصص (٧):

كأن قرقفنا بكاء تفسر

-- تفسر: لغة في الترقف أيضا (٨).

(١) - ديوانه : ٥ .

(٢) - البلغة : ٩٣ .

(٣) - المخصص : ١١ : ٧٤ .

(٤) - ديوانه : ٧٧ .

(٥) - ديوانه : ١٥ .

(٦) - ديوانه : ٢١ .

(٧) - المخصص : ١١ : ٧٤ .

(٨) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٦ .

- القَهْوَةُ : من أسماء الخمر ، لأنَّ شاربها يقهيه عن الطعام أي لا يشتهيهِ (١) .

قال الأعشى : (٢)

فَقَامَ فَمَبَّلْنَا قَهْوَةَ تَسْكُنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهِمَا

وقال عدي بن زيد : (٣)

أَصْبَحَ الْقَوْمُ قَهْوَةً

مِنْ كُمَيْتٍ مُدَامَةً

فِي الْإِبَارِيقِ تَحْتِئِدِي

حَبْدًا تَلُوكَ حَبْدًا

وقال المرقش الأصغر : (٤)

وَمَا قَهْوَةٌ صِهْبَاءٌ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا

تَوَتْ فِي سِبَاءِ الدَّنِّ عَشْرِينَ حِجَّةً

سَبَّأَهَا رِجَالٌ مِنْ يَهُودٍ تَبَاعَدُوا

بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا إِذَا جِثَّتْ طَارِقًا

تَعَلَى عَلَى النَّاجُودِ طُورًا وَتَقْدَحُ

شَيْطَانٌ عَلَيْهَا قَرَمَدٌ وَتَسْرُوحُ

لِحَيْلَانٍ يَدْنِيهَا مِنَ السُّوقِ مَرْبِحُ

مِنَ اللَّيْلِ بَلَّ فُوهَا أَلْدُ وَأَنْصَحُ

- اللَّهُوَةُ : سميت للهوة لأنها تلهي شاربها (٥) قال عبيد بن الأبرص : (٦)

وَلَهُوَةٌ كُرْضَابِ الْمِسْكِ طَالَ بِهَا

فِي دَنْهَا كَرَّ حَوْلَ بَعْدَ أَحْوَالِ

- المُدَامُ : سميت بذلك لأنَّ صاحبها أدامها أي عثقها ، وقيل سميت بذلك لأنها

تُدَامُ فَلَا تَمَلُّ (٧) .

(١) - المخصص : ١١ : ٧٤ ، والبلغة : ٩١ .

(٢) - الصبح المنير : ٥٢ .

(٣) - ديوانه : ١٢٦ .

(٤) - المفضليات : ١ : ٤٩٥ .

(٥) - المخصص : ١١ : ٧٧ .

(٦) - ديوانه : ١١٠ .

(٧) - المخصص : ١١ : ٧٥ .

- النِّسَاءُ ، والنِّسَاءُ : والنساء ما أنسا العقل ، ويقال لكل مسكر نساء (١) . قال

عروة بن الورد : (٢)

سَقَوْنِي النِّسَاءَ ثُمَّ تَكْنَفُونِي
عُدَاةَ اللِّمِّ مِنْ كَذِبٍ وَذُورٍ

وقال تائب شرا : (٣)

وَحَرِّمْتَ النِّسَاءَ وَإِنْ أَجَلَّتْ
بِشُورٍ أَوْ بِمِزْجٍ أَوْ لِصَابٍ
حَيَاتِي أَوْ أَزُورِ بَنِي عَتِيرٍ
وَكَاهِلِيهَا يَجْمَعُ ذِي ضَبَابٍ
إِذَا وَفَعْتَ لِكَعْبٍ أَوْ خَشِيمٍ
وَسَيَّارٍ يُسَوِّغُ لَهَا شُرَابِي

شامنا : أسماء أخرى للخمر في المصادر :

- أُمُّ الْخُلِّ : من اسمائها . وروى : (٤)

رَمَيْتُ بِأُمِّ الْخُلِّ حَبَّةَ قَلْبِي
فَلَمْ يَنْتَعِشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ

- أُمُّ زَنْبِقٍ : من اسمائها المعموم بها (٥)

- بِنْتُ الْكُرُومِ : قال عنتره : (٦)

كَاعِبٌ رِبْقَهَا الَّذِي مِنَ الشَّهْرِ
حِ إِذَا مَا زَجَّتْ بِنْتُ الْكُرُومِ

(١) - أورد ذلك محقق ديوان عروة بن العبد نقلًا عن الأصمعي ولم يذكر المصدر ، ديوان عروة (تحقيق عبد المعين الملوحى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،

مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم) : ٥٨ .

(٢) - ديوان عروة : ٥٨ .

(٣) - ديوانه : ٧٣ .

(٤) - المخصص : ١١ : ٧٩ .

(٥) - المخصص : ١١ : ٧٨ ، ونهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

(٦) - ديوانه : ١٦١ .

- البهوري : من أسماءها . ذكرها النووي (١) .
- الرازقي : سميت نسبة الى الرازقي وهو نوع من العنب (٢) .
- الراوق : والراوق في الأصل : " هو كل ما صُفيت به الخمر " (٣) وقد يكون اسماً للخمر : قال عمرو بن أحمز الباهلي (٤) :

وَأَسْلَمَ بِرَاوُوقٍ حَبِيبٌ بِهِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الْجَبْر

والراوق هنا الخمر وليس اناءها ، فالعرب تحيي الملوك بالشراب .

- السبأ والسبيئة : وهي المشتراة . يقال سبأت الخمر : اشتريتها (٥) . قال امرؤ القيس (٦) :

كَانَ التَّجَارُ أَصْعَدُوا بِسَبِيئَةٍ مِنْ الْخَمْرِ حَتَّى أَنْزَلُوهَا عَلَى يَسْرٍ

- الطابئة : من أسماء الخمر . ذكرها ابن سيده (٧) .

- الطوس : من أسماء الخمر . ذكرها النووي (٨) .

- العفارطة : اسم من أسماءها (٩) .

-
- (١) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .
- (٢) - البلغة في شذور اللغة : ٧٥ .
- (٣) - المخصص : ١١ : ٨١ .
- (٤) - ديوانه : ٩٤ .
- (٥) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .
- (٦) - ديوانه : ١١١ .
- (٧) - المخصص : ١١ : ٧٧ .
- (٨) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .
- (٩) - البلغة : ٩٢ ، ونهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

- العَلِقُ : الخمر . وروى : (١)
إِذَا ذُقْتَ قَاهَا قَلْتَ عِلْقَ مَدْمَسٍ
أُرِيدُ بِهِ قَيْلَ فُغُودٍ فِي سَابِرٍ
- عَلِيْقُ : اسم للخمر . قال لبيد : (٢)
اسقِ هَذَا وَذَا وَذَاكَ وَعَلِقُ
لَا تَسْمُ الشَّرَابَ إِلَّا عَلِيْقَا
- الْفُرْبُ : من أسماء المعموم بها (٣) .
- الْكُأْسُ : اسم من أسماء . قال كعب بن زهير : (٤)
إِذَا غَلَبَتْهُ الْكُأْسُ لَا مَتَّعِيْنَ
حُصُورٌ وَلَا مِنْ دُونِهَا يَتَبَسَّلُ
- المَابِيَّةُ : سميت كذلك كان التجار يابون بيعها (٥) .
- مُشْمُولَةٌ : تسمى الخمر أيضا مشمولة وهي " التي عرّضت للشمال فهدت " (٦) ،
قال عدّي بن زيد : (٧)
نَادَمْتُ فِي الدَّيْرِ بِنِي عَلِقَمَا
كَانَ رِيحُ الْمَيْسِكِ فِي كَأْسِهَا
عَاطِيَتُهُمْ مُشْمُولَةٌ عِنْدَمَا
إِذَا مَزَجْنَاهَا بِمَاءِ السَّمَاءِ
- النَّاطِلُ : وقيل الناظر : ما يبقى في المكيال . وفي أمثال العرب : " ما بها
طلّ ولا ناظر " ، فالطلّ اللبن ، والناظر الشراب (٨) .

-
- (١) - المخصص : ١١ : ٧٩ ، والعلق : النفيس من كل شي .
(٢) - ديوانه : ٣٦٥ .
(٣) - المخصص : ١١ : ٧٨ ، ونهاية الارب : ٤ : ٨٧ .
(٤) - ديوانه : ٤٤ .
(٥) - المخصص : ١١ : ٧٨ .
(٦) - المخصص : ١١ : ٧٤ .
(٧) - ديوانه : ١٦٦ .
(٨) - المخصص : ١١ : ٧٩ .

تاسعاً : الخمر الأعجمية :

- الإسفنط والرساطون :

فالإسفنط والإسفنط والإسفنط والإسفنط ، اسم من أسماء الخمر " وروي لي عن ابن السكيت إنه قال : هو اسم بالرومية معرب وليس بالخمر ، وإنما هو عمير عنب . قال : ويسمى أهل الشام الإسفنط الرساطون ، يطبخ ويجعل فيه أفواه شم يعتق . وروي لنا عن ابن قتيبة الإسفنط والإسفنط الخمر . وقال ابن أبي سعيد الإسفنط والإسفنط قالوا هي أعلى الخمر وأصفاها " (١)

و" في اللسان عن أبي منصور الأزهري : " أهل الشام يسمون الخمر الرساطون و سائر العرب لا يعرفونه . قال : وأراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام ، ومنهم من يقلب السين شينا فيقول رساطون " (٢) ، " وفي القاموس : " الإسفنط بالكسر وتفتح الفاء : المطيب من عمير العنب أو ضرب من الأشرطة ، أو أعلى الخمر سميت لأن الدنان تسفطها أي تشرب أكثرها أو من السفيط ، اللطيب النفس " ، ونقل في اللسان عن الجوهرى انه فارسي معرب وعن الأصمعي أنه عن الرومية " (٣) .

وقد ذكرت العرب الإسفنط في أشعارها . قال الأعشى : (٤)

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنْ الزَّنَجِيلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا
وإِسْفِنَطُ عَانَةٌ بَعْدَ الرَّقَادِ شَكُّ الرَّصَافِ إِلَيْهَا عُديراً

(١) - المعرب : ١٨ ، وذكرت في : البلغة مع تفسير مشابه : ٩١ ، وفي المخصص :

١١ : ٧٦ .

(٢) - هذه حاشية محقق المعرب الأستاذ أحمد محمد شاکر : ص ١٨ .

(٣) - حاشية المحقق : ١٨ . وجاء في فقه اللغة : ١٦٥ : أن الإسفنط والرساطون

أشربة رومية .

(٤) - الصبح المنير : ٦٨ .

وقال (١) :

يَعْلَمُ مِنْهُ فَوْقَ تَبَلَةٍ بِالْإِسْفِنْطِ قَدْ بَاتَ عَلَيْهِ وَطَّلُ

- البَادِقُ : " ضرب من الأشربة فارسي أصله باده : أي باق " (٢)

- البَخْتِج : ضرب من الأشربة . فارسي (٣) .

- الجُرِّيَال : رومي معرّب ، ويقال جريان بالنون . وقيل هو ما ء الذهب (٤) ، وبه سميت الخمر .

- خندريس : قال ابن دريد انها رومية معربة ، وقال قوم انها معربة من

الخيديقون : شراب رومي (٦) . الفارسية (٥) .

- الترياقة والدرياقة : رومية معربة . وهي الخمر . قال حسان بن ثابت (٧) :

مِنْ خَمْرٍ يَجِيئُهَا تَخِيْرَتُهَا
دِرْيَاقَةٌ تَوْشِكُ فِترِ الْعِظَامِ

وقال ابن مقبل (٨) :

سَقَتْنِي بِصِهْبَاءٍ دِرْيَاقَةٍ
مَتَى مَا تَلَيْنُ عِظَامِي تَلِينُ

- الزرجون : اسم للخمر . فارسي معرب ، أصله " زركون " أي لون الذهب (٩) .

(١) - الصبح المنير : ١٩١ .

(٢) - المعرب : ٨١ .

(٣) - نهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

(٤) - المعرب : ١٠٢ .

(٥) - المعرب : ١٢٤ .

(٦) - فقه اللغة : ١٦٥ .

(٧) - ديوانه : ١ : ١٠٦ .

(٨) - ذكر البيت في المعرب : ١٤٢ لابن مقبل ، وهو في الصبح المنير ديوان الأعشى :

٢٠٩

(٩) - المعرب : ١٦٥ .

- الطَّرَاقُ : لغة في الدَّرِيَّاقِ ، رومي معرب (١) .

- الفَيْهَجُ : من أسماء الخمر (٢) .

- القَنْدِيدُ : مثل الإسْفَنْطِ (٣) ، قال الأعشى (٤) :

بِبَابِلَ لَمْ تَعَصْرَ فُجَاعَاتِ سَلَاةٍ تَخَالِطُ قَنْدِيدًا وَمِسْكًَا مَخْتَمًا

- المُطَّارُ : من صفات الخمر ، " يقال هو رومي معرب ، ويقال هو مُسَطَّارٌ ببالسين أيضًا ، وهي التي فيها حلوة " (٥) .

عاشراً : أسماء الخمرة بحسب مصادرها كما وردت في الشعر الجاهلي :

- أذرعَات : " بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ينسب اليه الخمر " (٦) ، قال أبو ذؤيب (٧) :

فَمَا إِنْ رَحِيقَ سَبْتِهَا التَّجَا رَ مِنْ أذْرِعَاتِ فَوَادِي جُدْرَ

وقال النمر بن تولب (٨) :

كَانَ مَدَامَةً مِنْ أذْرِعَاتِ وَمَاءُ الْمَزْنِ وَالْعَنْبِ الْقَطِيفَا
عَلَى أَنْيَابِ جَمْرَةٍ بَعْدَ وَهْنِ إِذَا مَا خَالَطَ النَّسْمَ الرَّشِيفَا

(١) - المعرب : ٢٢٣ .

(٢) - المخصص : ١١ : ٧٨ ، ونهاية الأرب : ٤ : ٨٧ .

(٣) - البلغة : ٩١ .

(٤) - الصبح المنير : ٢٠٠ .

(٥) - المعرب : ٣٢١ .

(٦) - معجم البلدان : ١ : ١٣٠ ، ومعجم ما استعجم : ١ : ١٣١ .

(٧) - شرح أشعار الهذليين : ١ : ١١٥ .

(٨) - ديوانه : ٧٧ .

وقال بشر بن أبي جازم (١) :

كَمَيْتَا لَوْنَهَا لَوْنُ الرَّعَافِ

كَأَنَّ مَدَامَةً مِنْ أَدْرُعَاتِ

- خمور الأندرين: " اسم قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم . وقال الأزهري:
الأندر قرية بالشام فيها كروم وجمعها الأندرين " (٢) .

قال عمرو بن كلثوم :

وَلَا تَبْقَى خَمْرُ الْأَنْدَرِينَا

إِلَّا هَبِّي بِمَخْنِكَ فَاصْبِحِينَا

- باب أفان : قال أمشئ نهشل : (٣)

وَقَدْ شَوَى نَعْفَ حَوْلِ أَشْهَرَا جَدَا
بِبَابِ الْفَانِ يَبْتَارُ السَّلَامِيمَا

- البابلية ، وهي المنسوبة الى بابل : قال عدي بن زيد : (٤)

مِنْ خَمْرِ بَابِلَ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِ
بِأَنْاءِ ذِي كَرَمٍ كَقَضَبِ الْحَالِبِ

هَذَا وَرَبُّ مَسُوفِينَ صَبَحْتَهُمْ
بَكَرُوا عَلَيَّ بِسِحْرِهِ فَصَبَحْتَهُمْ

وقال الأعمش : (٥)

كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبَتَهَا جَرِيالَهَا

وَسَبِيئَةُ مِمَّا تَعْتَقُ بَابِلَ

وقال لبيد : (٦)

يَحَادِرُ مِنْ سَرَايَا وَاهْتِيَالَ
عَتِيقُ الْبَابِلِيَّةِ فِي الْقِلَالِ

كَأَنَّ سَحِيلَهُ شَكْوَى رُئَيْسِ
تَبْكِي شَارِبٍ أَسْرَتْ عَلَيْهِ

وقد ذكرتها العرب كثيرا .

(١) - ديوانه : ١٤٣ .

(٢) - معجم البلدان : ١ : ٢٦٠ .

(٣) - الصبح المنير : ٣٠٧ .

(٤) - ديوانه : ١١٧ .

(٥) - الصبح المنير : ٢٣ .

(٦) - ديوان لبيد : ٨٤ .

- بَانَقِيَا: ناحية من نواحي الكوفة (١) ذكرتها العرب . قال بشر بن أبي خازم (٢):

فَلَدَ أَرَانِي بِبَانَقِيَا مُتَكِفَا يَسْعَى وَلِيدَانِ بِالْحَيْثَانِ وَالرَّفْدِ
وَالهَوَا تَنْشِقُ الْمُسْتَامَ نَكْهَتَهَا مَهْبَاءَ صَانِقَيْنِ خَمْرٍ ذِي نَطَسِ

- خمر بصرى: " بصرى بالشام من أعمال دمشق وهي نعبة كورة حوران " (٣) .
قال النابغة (٤):

كَانَ مَشْعَمًا مِنْ خَمْرٍ بَصْرِي نَعْمَتُهُ الْبُخْتُ مَشْدُودِ الْخِتَامِ

- البقاعية: قال الطائي (٥):

بِقَاعِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْنَا كَوْمُوسَهَا فَتَبْدِي الَّذِي يُخْلِي وَتُخْلِي الَّذِي نَبْدِي

- خمر بعلبك: قال عمرو بن كلثوم (٦):

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتَ بِبَعْلَبَكِ وَأُخْرَى فِي دِمَشْقٍ وَقَاصِرِينَا

- بنات مشيع: " قرى معلومة بالشام تنسب اليها الخمر الجيدة " . قال الأمشي (٧):

مِنْ خَمْرٍ عَانَةٌ أَمْرَقَتْ بِمِزَاجِهَا أَوْ خَمْرٍ بِأَبْلِ أَوْ بِنَاتٍ مَشِيْعَا

- خمر بيت رأس: كَانَتْ خَبِيْثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجِهَا عَسَلٌ وَمِوَاءٌ

(١) - ياقوت : ١ : ٣٣١ .

(٢) - ديوانه : ١٥٩ .

(٣) - ياقوت : ١ : ٤٤١ .

(٤) - ديوانه : ١٣١ .

(٥) - معجم ما استعجم : ١ : ٢٦٣ ، والبقاع بالشام تنسب اليها الخمر الجيدة .

(٦) - شرح القصائد العشر : ٢٨٥ .

(٧) - معجم ما استعجم : ١ : ٢٨٠ ، ولم يذكرها ياقوت .

على أنيابها أو طعم فصي
من التفاح هقرة اجتناء (١)
وقال أيضا: (٢)
شجت بمهباء لها سورة
من بيت رأس عتقت في الخيام

وقد ذكرتها العرب كثيرا . وهي " اسم لقريتين في كل واحدة منهما
كروم كثيرة ينسب اليها الخمر احدهما بالبيت المقدس . . . والاخرى من نواحي
حلب " (٣) .

- خمر بيسان : " هي مدينة بالأردن بالفور الشامي بين حوران وفلسطين
واليهما فيما أحسب ينسب الخمر " (٤) قال حسان بن ثابت (٥) :

من خمر بيسان تخيرتها
درياقة توشك فتر العظام

- خمر جذر : هو واد بين حمص وسلمية تنسب إليها الخمر (٦) وإياها عنى أبو
دؤيب .

- الحارية : تنسب إلى الحيرة : قال الأمشي : (٧)

من زقاق التجر من باطية
جونة حارية ذات روح

- الحانية : تنسب إلى الحانات أينما كانت :

-
- (١) - ديوان حسان بن ثابت : ١ : ١٧ .
 - (٢) - ديوانه : ١ : ١٠٦ .
 - (٣) - معجم البلدان : ١ : ٥٢٠ .
 - (٤) - ياقوت : ١ : ٥٢٧ .
 - (٥) - ديوانه : ١ : ١٠٦ .
 - (٦) - ياقوت : ٢ : ١١٣ .
 - (٧) - الصبح المنير : ١٦٢ .

كأس عزيين من الاعناب عتقها
لبعض أربابها حانية حوم (١)

- خمر حديجاء : قرية بالشام نسب إليها عدي بن الرقاع الخمر المقدية : (٢)

مقدية صهباء تشخن شربها
إدا ما أرادوا أن يروحوا بها صرعى
عمارة گرم من حديجاء لم تكن
منابتها مستحدثات ولا قرعسا

- خمر حمى : جاء في هامش المحقق لديوان عدي بن زيد " وعن هامش الفسفران :

ان الحصى بالشام تنسب إليه الخمر " (٣) .

- الخسرواني (خسروشاه) :

قال عدي بن زيد (٤) ، ونسب البيت الى الأعشى (٥) :

وشراب خسرواني إذا
ذاقه الشيخ تغنى وارجحن

- خمر الخصى : وهي قرب القادسية (٦) ، قال امرؤ القيس (٧) :

كان التجار أهدوا بسبيئة
من الخصى حتى انزلوها على يسر

وقال عدي بن زيد : (٨)

تأكل ما شئت وتعتلها
حمراء من خص كلون الفصوص

(١) - المخصص : ١١ : ٧٨ ، والبيت لعلقمة بن عبدة ، ديوان المفضليات : ١ : ٨١٢ ،

وروي (لبعض أحيائها) .

(٢) - معجم البلدان : ٢ : ٢٢٢ .

(٣) - ديوان عدي بن زيد : ٦٩ .

(٤) - ديوانه : ١٧٢ .

(٥) - ديوانه : ٢٢٧ .

(٦) - ياقوت : ٢ : ٣٧٥ .

(٧) - ديوانه : ١١١ .

(٨) - ديوانه : ٦٩ .

- الشَّامِيَّة : نسبة الى الشام ، قال أبو ذؤيب الهذلي (١) :

مصفاة مصفاة عقسار
شامية إذا جليت مسروح

- خمر كروم شَبَام : قال امرؤ القيس (٢) :

فطللت في دمن الديار كأنني
نشوان باكره صبوح مسدام
أنف كلون الغزال معتق
من خمر عانة أو كروم شَبَام

- صرخدية : نسبة الى صرخد " بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة

حصينة . واليه ينسب الخمر " (٣) . قال سحيم عبد بني الحساس (٤)

ويضا كان حصا مزنة
تهادى به صرخديا رصافا
كان القرنفل والزنجبيل
ل والمسك خالط جفنا قطافا
يخالط من ريقها قهوة
سناها الذي يستبها سلافا

- الخمير الصليبية ، وخمير صريفون : قال الاعشى (٥) :

صليبية طيبا طعمها لها زبد بين كوب وذن

ويروي ياقوت البيت : صريفية .. " وصريفون في سواد العراق " (٦)

- العانية : منسوبة الى عانة " بلد مشهور بين الرمة وهيت يعد من أعمال الجزيرة ، وجاء في الشعر عانات كأنه جمع بما حوله ونسبت العرب اليه

(١) - شرح أشعار الهذليين : ١ : ١٧١ .

(٢) - ديوانه : ١١٥ .

(٣) - ياقوت : ٣ : ٤٠١ ، ومعجم ما استعجم : ٣ : ٨٣١ ، نسب اليها الخمر الجيدة .

(٤) - ديوانه : ٤٤ .

(٥) - الصبح المنير : ١٥ .

(٦) - ياقوت : ٣ : ٤٠٣ .

الخمير (١) قال المسيب بن علس: (٢)

إِذْ تَسْتَبِيكُ بِأَمَلْتِي نَامِمْ
قَامَتْ لِتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعِ
وَمَهَا يُرْفُ كَأَنَّهُ إِذْ دَقَّتْهُ
عَائِنَةٌ شَجَتْ بِمَاءِ يُرَاعِ

وقال الأعمى: (٣)

كَانَ جَنِيًّا مِنَ الزُّنَجِيْلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا
وَأَسْفِنَطُ عَانَةً بَعْدَ الرِّقَادِ شَكَّ الرِّصَافُ إِلَيْهَا فَدِيْرًا

- خمير غزاة: قال أبو ذؤيب (٤):

سَلَاةٌ رَاحَ فَمَنْتَهَا إِذَا وَءٌ
مَقْبِرَةٌ رَدَفَ لِمَوْءِخِرَةِ الرَّحْلِ
تَزُوْدُهُا مِنْ أَهْلِ بَصْرَى وَغَزَاةٍ
عَلَى جَسْرَةٍ مَرْفُوعَةٍ الذَّيْلِ وَالْكَفْلِ

ولا أعرف فيما إذا كانت الخمير تصنع في غزاة أم أنها كانت مجرد سوق للخمر .

- خمير فارس: قال مالك بن حريم الهمداني: (٥)

كَانَ جِنَا الْكَافُورِ وَالْمِسْكَ خَالِصًا
وَبَرْدِ السُّدَى وَالْأَقْحَوَانِ الْمَنْزَعَا
وَقَلَّتَا قُرَّتْ فِيهِ السُّحَابَةُ مَاءَهَا
بِأَنْبِيَابِهَا وَالْفَارِسِيَّ الْمَشْعَعَا

وقال الأعمى: (٦)

-
- (١) - ياقوت: ٤ : ٧٢ .
 - (٢) - الصبح المنير: ٣٥٤ .
 - (٣) - الصبح المنير: ٦٨ .
 - (٤) - شرح اشعار الهذليين: ١ : ٩٤ .
 - (٥) - الاصمعيات: ٦٣ .
 - (٦) - الصبح المنير: ٢٤٨ .

تدع الفتى ملكا يميل مصرعا

من قهوة باتت بفارس صفوة

- الخمر المنسوبة إلى فلسطين : قال الأعشى : (١)

من الليل شربا حين مالت طلايتها
على ريدات النبي حمش لثاتها

متى تسق من أنيابها بعد هجعة
تخله فلسطينا إذا ذقت طعمه

- خمر قاصرين : قال أمية بن أبي الصلت : (٢)

وأخرى قد شربت بقاصرينا

وكأس قد شربت بماء تلج

- خمر لند : أنشد ابن الأعرابي :

تكر غريبة من خمسر لند

فبت كأنني أسقى شمولا

ولند قرية بالشام (٣) " قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين " (٤) .

- خمر مآب : " مآب مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ينسب إليها الخمر :

قال حاتم الطائي :

جنوب السراة في مآب الى زغر
له المشرب الصافي ولا يعرف الكدر " (٥)

سقى الله رب الناس سخا وديمة
بلاد امرئ لا يعرف الدم بيته

- المقددي : شراب ينسب إلى مقد قرية بالشام ينسب إليها الخمر . " وهي

من قرى البثنية، وهي أطيب بلاد الله خمرا، ومنها كانت تصطفي

ملوك غسان الخمر، ولذكر خمرا في العرب تركوا النسب وسموها المقددي .

وقال ابن دريد : المقددي والمقددي : شراب من عسل " (٦) .

(١) - الصبح المنير : ٦٠ .

(٢) - ديوانه : ٥١٤ .

(٣) - معجم ما استعجم : ٤ : ١١٥٣ ، والبيت فيه .

(٤) - ياقوت : ٥ : ١٥ .

(٥) - ياقوت : ٥ : ٣١ .

(٦) - معجم ما استعجم : ٤ : ١٢٥٠ ، وياقوت : ٥ : ١٦٥ .

قال عدّي بن الرقاع : (١)

مَقْدِيَّةٌ صِهْبَاءٌ تَشْخِنُ شَرِبَهَا إِذَا مَا أَرَادُوا أَنْ يَرُوحُوا بِهَا صَرَعَى

- خمر هجر : لقد ورد في الأغاني في قصة أسر عمرو بن ملك أحد فرسان بكر

للمهل : " ومرّ تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر ، وكان صديقا للمهل

يشترى منه الخمر ، فأهدى إليه وهو أسير زق خمر . " (٢)

(١) - ياقوت : ٥ : ١٦٥ .

(٢) - الاغاني : ٦ : ١٢١ .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- دواوين الشعر:

- أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، ضبط وتعليق الاب لويس شيخو اليسوعي ،
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٦ م .
- ديوان ابن مقبل ، تحقيق عزة حسن ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ،
١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت ، تحقيق حسن باجودة ، دار التراث ، القاهرة ،
١٣٩١ هـ - ١٩٧٣ م .
- ديوان أبي محجن الثقفي ، نشره صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ،
١٩٦٦ م - ١٣٧٩ هـ .
- ديوان أمية بن أبي الملت ، تحقيق عبد الحفيظ السطلي ، المطبعة التعاونية ،
دمشق ، ١٩٧٧ م .
- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ،
١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي ، تحقيق عزة حسن ، مطبوعات مديرية احياء التراث
القديم ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ديوان جران العود النميري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م .

- ديوان حسان بن ثابت (٢-١) ، تحقيق وليد عرفات ، لندن، ١٩٧١م .
- ديوان الحطيثة، تحقيق نعمان أمين طه ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٨ هـ -
١٩٥٨م .
- ديوان حميد بن ثور الهلالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ،
القاهرة، ١٣٧١ هـ - ١٩٥١م .
- ديوان خفاف بن ندبة ، حققه نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧ .
- ديوان ذي الاصبع العدواني (حرشان بن محرت) ، تحقيق عبد الوهاب محمد علي
العدواني ومحمد نايف الدليمي ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .
- ديوان سحيم عبد بني الحساس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب
المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م .
- ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٣٨٧ هـ -
١٩٦٨م .
- ديوان شعر الحادرة ، تحقيق ناصر الدين الاسد ، دار صادر بيروت ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .
- ديوان شعر الحارث بن حلزة اليشكري ، تحقيق فريتس كرنكو ، المطبعة الكاثوليكية
بيروت ، ١٩٢٢م .
- ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي ، تحقيق فريتس كرنكو ، المطبعة الكاثوليكية
بيروت ، ١٩٢٢م .
- ديوان شعر المشقب العبدي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .
(مجلد معهد المخطوطات العربية ، مجلد ١٦) .
- ديوان الشماخ بن فرار الديباني ، تحقيق صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ،
مصر ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .
- ديوان طرفة بن العبد البكري ، تحقيق ماكس سلغسون شالون ، باريس ، ١٩٠٠م .

- ديوان الطفيل الغنوي ،تحقيق محمد عبد القادر أحمد ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،
١٩٦٨م .

- ديوان عبيد بن الابرص ،دار صادر ،ودار بيروت،بيروت ،١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .

- ديوان عدي بن زيد العبادي ،تحقيق محمد جبار المعيب ،دار الجمهورية لوزارة
الثقافة والارشاد ،بغداد ،١٩٦٥م .

- ديوان عروة بن الورد ،تحقيق عبد المعين الملوحي،وزارة الثقافة والارشاد
القومي ،مطبوعات مديرية احياء التراث القديم .

- ديوان علقمة الفحل ،تحقيق لطفي الصقال ودربة الخطيب ومراجعة فخر الدين
قباوة ،دار الكتاب العربي ،حلب ،١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

- ديوان عمرو بن قميئة ،تحقيق خليل ابراهيم العطية ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،
١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

- ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي ،صنعة هاشم الطعان ،وزارة الثقافة والاعلام ،
مديرية الثقافة العامة ،المؤسسة العامة للصحافة والطباعة . التاريخ
والمكان غير مذكورين .

- ديوان عنثرة بن شداد ،تحقيق عبد المنعم شلبي ،وقدم له ابراهيم الابياري ،
المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة .

- ديوان قيس بن الخطيم ،تحقيق ناصر الدين الاسد ،مكتبة المدني ،القاهرة ،
١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .

- ديوان معن بن أوس المزني ،صنعة نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامسن ،
دار الجاحظ ،بغداد ،١٩٧٧م .

- ديوان النابغة الذبياني ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف ،مصر ،
١٩٧٧م .

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .
- شرح ديوان كعب بن زهير ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق احسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ م .
- شعر ابي زبيد الطائي ، تحقيق نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٨٦ هـ -
١٩٦٧ م .
- شعر تأبط شرا ، تحقيق سلمان داود القره غولي وجبار تعبان جاسم ، مطبعة
الاداب ، العراق ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- شعر عمرو بن احمر الباهلي ، تحقيق حسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،
دمشق ، التاريخ غير مذكور .
- شعر مالك ومتمم ابني نويرة ، تحقيق ابتسام مرهون الصفار ، بغداد ، ١٩٦٨ م .
- شعر النابغة الجعدي ، تحقيق عبد العزيز رباح ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- شعر النمر بن تولب ، صنعة نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٨٨ هـ -
١٩٦٨ م .
- الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الامشي والاشهبين الاخرين ، تحقيق
غويار ، بيانة ، ١٩٢٧ م .
- ٢- المجاميع الشعرية :**
- الاصمعيات ، اختيار الاصمعي ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة ،
دار المعارف ، التاريخ غير مذكور .
- ديوان المفطليات بشرح ابن الانباري ، تحقيق تشارلس لبيال ، المطبعة الكاثوليكية
بيروت .
- الحماسة للبحتري ، تحقيق الاب لويس شيوخو ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

- شرح اشعار الهدليين، تحقيق عبد الستار فراج ومراجعة محمود محمد شاكر، دار العروبة
القاهرة، ١٣٦٣ هـ - ١٩٦٥ م.

- شرح القصائد العشر الطوال للشبريزي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،
مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

٣- المصادر الاخرى :

- القرآن الكريم .
- الارمنة والامكنة للمرزوقي، (١-٢ في مجلد واحد) ، دائرة المعارف، حيدر آباد
الدكن، ١٣٣٢ هـ .
- الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، مصر،
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م.
- الاصنام لابن الكلبي، تحقيق احمد زكي مع شروح لروزنبرغ، ليبزغ، هســـــــرا
سوفيتس، ١٩٤١ م .
- الاغانى لابي الفرج الامصهاسي (١ - ٢٥) ، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠١ هـ -
١٩٨١ م.
- الامالي لابي علي القالي، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٢٦ م .
- المبلغ في شذور اللفظة، نشرها اوغست هفترولويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية،
بيروت، ١٩٠٨ م .
- تاريخ العرب العاربة من القبطانية من كتاب نشوة الطرب في جاهلية العرب،
لابن سعيد المغربي (ج ١)، تحقيق
Manfred Kropp, Ludwigshafen/ Rhein, Heidelberg, 1975.
- تاريخ المستبصر لابن المجاور، صححها اوسكر لوفغرين، ليدين، بريل، ١٩٥١ - ٥٤ .
- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن للواسمي،
المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦ هـ .

- الجامع الصحيح للترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ،
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- جمهرة الامثال لابي هلال العسكري (١-٢) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد
المجيد قطامش ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ،
١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م .

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيغاشي ، هذب ابن منظور ، حققه احسان
عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .

- سنن ابي داود ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- سنن النسائي بشرح السيوطي ، المطبعة المصرية بالازهر .

- صحيح البخاري بشرح الكرماني ، المطبعة البهية المصرية ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

- صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالازهر ، ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م .

- صفة جزيرة العرب للهمداني ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، مركز الدراسات
والبحوث اليمني - صنعاء ودار الاداب - بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- العقد الفريد لابن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين و ابراهيم الابياري وعبد السلام
هارون ، (ج ٦) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ -
١٩٤٩ م .

- غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام ، مراقبة محمد عبد المعيد خان ، دار
المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٤٨ هـ - ١٩٦٤ م .

- فصل المقال في شرح كتاب الامثال لابي عبيد البكري ، حققه وقدم له احسان عباس
وعبد المجيد عابدين، دار الامانة ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- فقه اللغة للشعالبي ، تحقيق الشيخ رشيد الدحداح ، باريس ، ١٨٦١ م .
- قطب السرور في أوصاف الخمور للرقيق النديم ، تحقيق احمد الجندي ، مجمع
اللغة العربية بدمشق .
- الكامل في التاريخ لابن الاثير (٢-١) دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٣٨٥ هـ -
١٩٦٥ م .
- كتاب الاشربة لابن قتيبة ، تحقيق محمد كرد علي ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ،
١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، نشره صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، مكتبة
النهضة المصرية ، (لا ت) .
- كتاب النبات للدينوري (الجزء الثالث والنصف الاول من الجزء الخامس) ،
حققه برنهارد لفين ، دار شتايتز ، فيسبادن ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، وقطعة من
الجزء الخامس ، عني بنشرها ب . لوين ، ليدن ، بريل ، ١٩٥٣ م .
- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- المحبر لابن حبيب ، صحته ايلزه ليغتن شتيتز ، دائرة المعارف العثمانية ،
حيدر آباد - الدكن ، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
- المخصص لابن سيده ، (١١-١٢) ، بولاق ، ١٣١٦ هـ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ، حققه شارل بلا ، منشورات الجامعة
البنانية ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

- مسند أحمد بن حنبل ، المكتب الاسلامي - دار صادر ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٨٩ هـ -
٠م١٩٦٩

- معجم البلدان لياقوت الرومي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- معجم ما استعجم للبكري ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

- المعرب للجواليقي ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١ هـ .

- المعمران للسجستاني ، تحقيق جولد سيهر ، ليدن ، بريل ، ١٨٩٩ م .

- منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء الكلام العرب من العلوم
لنشوان بن سعيد الحميري ، تصحيح عظيم الدين احمد ، وزارة الاعلام والثقافة ،
صنعا ، ١٩٨١ م .

- المنمق لابن حبيب ، صحه خورشيد أحمد فارق باشراف محمد عبد المعيد خان ،
حيدر آباد - الدكن ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- الميسر والقдах لابن قتيبة ، نسخه وصحه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية
القاهرة ، ١٣٤٢ هـ .

- نهاية الارب في فنون الادب للنويري (ج-٤) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م .

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي ، مكتبة الاداب والمؤيد بمصر
١٣٢٦ هـ .

٤ - المراجع :

- أسواق العرب في الجاهلية والاسلام للافعاني ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٣٥٦ هـ -
٠م١٩٣٧

- تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ، (ج٨) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية ومدر الاسلام، اسراييل ولفنسسون ،
مصر ، ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م .
- تطور الخمريات في الشعر العربي ، جميل سعيد ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٥م .
- العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ، بتعليق حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة .
- العرب في سوريا قبل الاسلام لديسو ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، مراجعة
محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
- مجلة المجمع العلمي العراقي (ج٤) ، ١٩٥٦م .
- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . للاب لويس شيخو مطبعة الابهاء اليسوعيين
بيروت ، ١٩١٢ - ١٩٢٣ .
- اليمن وحضارة العرب ، عدنان ترسيبي ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت .

٥ - المراجع الاجنبية :

- Encyclopedia of Islam, ed.M.Th. Houstsma, T.W. Arnol,
R. Basset, and R. Hartmann.Old ed ,
Leiden, Brill, 1913.
- Goldziher, Ignaz. Muslim Studies, vol.I, ed. S.M. Stern ,
from German by C.R. Stern, London, George
Allen & Unwin lid, 1967.
- Robertson Smith,W.Religion of the Semites . New ed. Rev.
London, Black, 1923.
- Semple, E.G. Influences of Geographic Environment ,
New York, Henry Halt & Co., London : Constable
& Company Ltd., 1947.
- Strabo, Geography, Vol.VIII, Harvad & Cvillian Hememann, Ltd.
London, 1954.

محتويات الرسائل

الصفحة

٢	تقديم
١	<u>الفصل الاول</u> : الخمر في الحياة الاقتصادية
٢	١ - الزراعة : زراعة الاعناب والنخيل والحبوب (التي تصنع منها الخمر) في الجزيرة العربية :
٢	أ - في اليمن
١٤	ب - في سائر مناطق الجزيرة وأبرزها الطائف
٣٦	٢ - صناعة الخمر والاشربة والانبذة في الجزيرة العربية :
٣٧	أ - صناعة الخمر في الجزيرة العربية
٤١	ب - صناعة الانبذة وسائر الاشربة - اوعية الانتباد - خمر العسل
	٣ - تجارة الخمر في الجزيرة العربية
	التجارة البرية - الاسواق - الحانات - تجار الخمر - مصادر الخمر
٥٦	- اثمان الخمر
٧٠	<u>الفصل الثاني</u> : الخمر والحياة الاجتماعية والدينية
٧١	١ - أوقات شرب الخمر ومجالاتها :
	الحانات والاديره وغيرها . الساقى والمغنية
٨٠	٢ - مجالس الندامى وآدابها : حلقات الشراب وانواعها - آداب الشراب
٨٨	٣ - اثر الخمر في الحياة الاجتماعية :
	الاثار الايجابية : علاقة الخمر بالجود والشجاعة والامانة
	الاثار السلبية : علاقة الخمر بالعردة والزنا ، والانتحار
	بشرها صرفا .

الصفحة

- ٩٨ ٤ - الخمر في حياة العرب الدينية في الجاهلية
أبعاد تحريم الخمر الاخلاقية والدينية
- ١١٠ ٥ - الخمر ولدات الجاهلية الاخرى :
اقتران فكرة الهروب من الموت بمعايرة اللذات
- ١١٥ الفصل الثالث : الخمر في الشعر الجاهلي
- ١١٦ ١- الصورة الخمرية الصغرى والصورة الخمرية الكبرى من حيث ارتباطها
بباقي القصيدة
- ١١٨ ٢ - الصورة الخمرية في خدمة مختلف اغراض الشعر الجاهلي
- ١٢٣ ٣ - الصور الخمرية الصغرى ومادية التشبيه في الوصف :
رصد للصور الخمرية الصغرى ونسقتها في الشعر الجاهلي .
- ١٣٢ ٤ - وصف الخمر في الشعر الجاهلي وصوره
- ١٤٠ ٥ - الصورة الخمرية الكبرى في القصيدة الجاهلية :
نماذج للتحليل
- ١٦٣ خلاصة عامة
- ١٦٥ - خاتمة
- ١٧٠ - ملحق بأسماء الخمر حسب صفاتها ومصادرها :
- ١٧١ ١ - أسماء الخمر حسب اوقات شربها
- ١٧٢ ٢ - أسماء الخمر من حيث التعتيق
- ١٧٦ ٣ - تسميتها بأول ما يبزل منها
- ١٧٨ ٤ - الخمر الصرف والخمر الممزوجة
- ١٨٠ ٥ - أسماء الخمر حسب لونها

الصفحة

- ١٨٣ ٦ - اسماؤها حسب طعمها
- ١٨٦ ٧ - تسميتها بحسب ما تحدثه في شاربها
- ١٩٠ ٨ - اسماء اخرى لها في المصادر
- ١٩٣ ٩ - الخمر الاعجمية
- ١٩٥ ١٠ - اسماء الخمر حسب مصادرها كما وردت في الشعر الجاهلي
- ٢٠٤ - المصادر والمراجع
- ٢١٣ - محتويات الرسالة
-